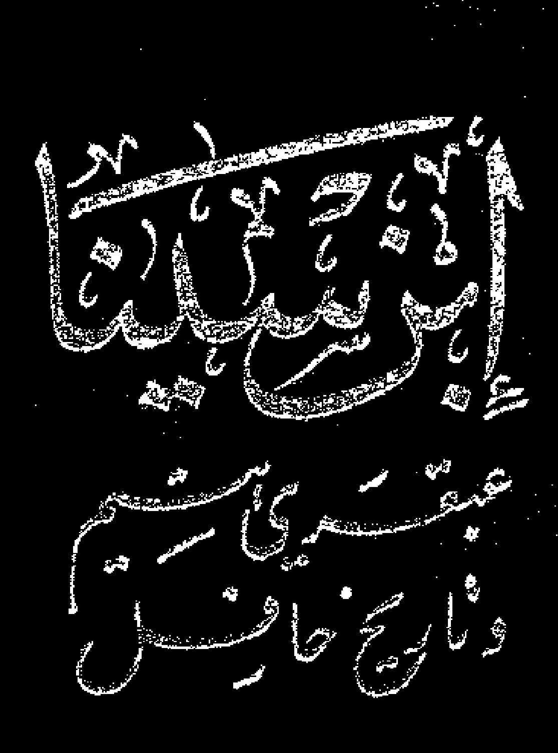
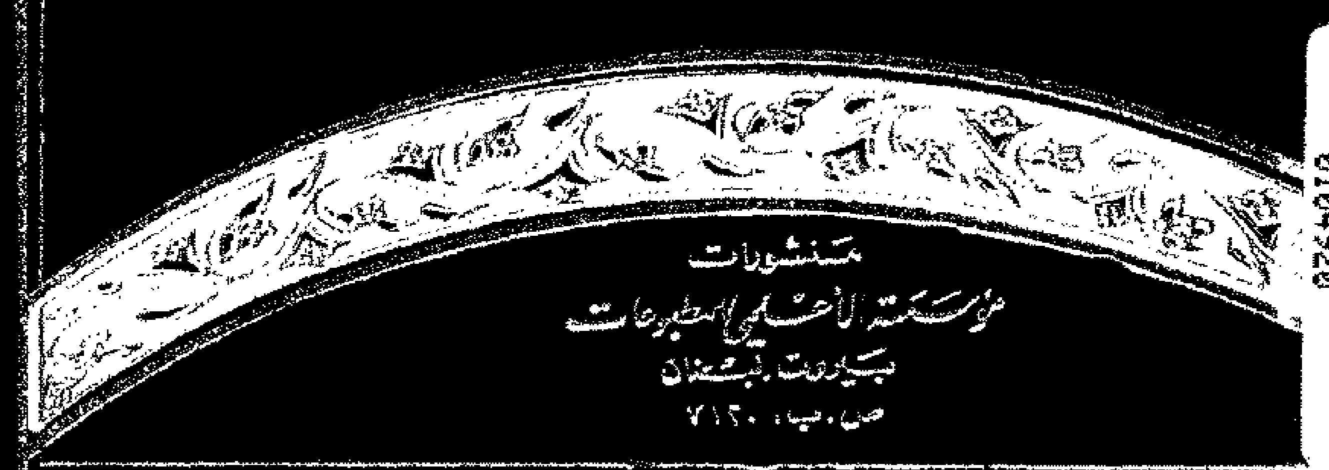




تأليف

الشيخ محمد رضا الحكيمي الحائري





إبن سينا

عبقري يتيم وتاريخ حافل

إبن سينا

عبقري يتيم وتاريخ حافل

تأليف

الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي

الحائري

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٩٩١ م - ١٤١١ هـ

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:

بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٢٠

الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

تمهيد وتقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

* لقد اهتمت الشريعة الإسلامية بحفظ الصحة اهتماماً بالغاً حتى اشتهر عن صاحب الرسالة ﷺ قوله :

«لا خير في الحياة إلا مع الصحة»، وقوله ﷺ :

«إنَّ في صحة البدن فرح الملائكة ومرضاة الرب وتثبيت السنة» .

وكم لـه ﷺ من كلمات حث بها المسلمين على مراعاة الصحة في أبدانهم في مختلف شؤونها وفروعها ، ولم تدرك يومئذ أسرار تلكم النصائح فقبلوها على أنَّها لا تخلو عن حكمة ، وربما فسروا بعضها تفسيراً بعيداً ، أو خاطئاً لقلة ما يعينهم على معرفة كنهها وانعدام وسائل الإكتشافات الطبية الحديثة .

وإنَّ كلمة واحدة من كلمه الطيب ﷺ قالها للطبيب الذي أرسله المقوقس صاحب مصر مع ما أرسله من الهدايا ، فبقي الطبيب برهة لم يراجعه أحد في فنه ، فسئل النبي عن سر ذلك ، فقال ﷺ : «نحن

(*) من مقدّمة بقلم الفاضل الجليل السيد محمد مهدي الخرسان على كتاب «طب النبي ﷺ» تأليف أبي العباس المستغفري ؟

قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع» ، هذه الكلمة أدهشت العالم الانكليزي مستر (داز) فقال مبدياً إعجابه بالنبي ﷺ : «ويكفي أنَّ قوله المأثور : «نحن قوم لا نأكل حتى نجوع، وإذا أكلنا لا نشبع» وهو الأساس الذي بني عليه علم الصحة ولا يستطيع الأطباء على كثرتهم ومهارتهم أن يأتوا اليوم بنصيحة أثمن من هذه» .

وهكذا كل كلماته وتشريعاته ﷺ التي تعتبر بحق هي أساس الصحة ، فإنّه قد عالج الأمراض النفسية والعصبية العضوية والجراحية بشتى العلاج ، ومنه الوسائل الوقائية ، كالصيام واجتناب إتيان النساء في المحيض وتحريم الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر وغير ذلك من الوسائل ببيان يتناسب وعقلية المجتمع يومئذ ، فمثلاً نجده ﷺ تناول الصحة الغذائية بأحاديثه الكثيرة ، وما للأصناف المختلفة من الفواكه والخضر والحبوب والبقول واللحوم وغير ذلك ، بل وحتى أنواع الطيب وسائر المشروبات من فوائد وما قد ينجم عن استعمالها بصورة غير صحيحة من مضار ، وما يترتب على استعمالها بصورة صحيحة من صحة ونمو يوفران للجسم اداء وظائفه الحيوية والنفسية .

بل ويمكن القول أنّه ﷺ فرض قوانين العزل والمحاجر الصحية بكلمة واحدة استفاد منها أعلام الطّب ذلك وتلك هي كلمته ﷺ : «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها» .

فقد اعتبر اطباء الإسلام هذا الحديث فتحاً جديداً فدرسوه وتعمقوا في دراسته حتى وضعوا على ضوئه قوانين العزل والمحاجز تجنباً من العدوى .

وإنّ أقواله ﷺ : «المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء» و«المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة وإذا سقمت صدرت العروق بالسقم» و«ما ملأ

ابن آدم وعاءً شرّاً من بطنه يحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه» و«إياكم البطنة فإنّها مفسدة للبدن ومورثة للسقم ومكسلة عن العبادة» .

فهذه المجموعة الطيبة الطبية أكدت باصرار على ضرر التخمة والنهم ، وأنّهما أساس الداء ، وإنّها لتستمد ذلك من قوله تعالى : ﴿كلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾ ولقد قررت أبحاث الطب العلاجي والوقائي أنّ أعظم قاعدة لحفظ الصحة هي العمل بالآية الشريفة ، كما وقد ثبت طبياً أنّ النهم والتخمة والشره أسباب تفتك بالمعدة وتحطم الكبد وتفني القلب ، وتسبب تصلّب الشرايين ، والذبحة الصدرية ، وارتفاع ضغط الدم ، والبول السكري ، وغير ذلك من الأمراض الفتاكة ، وأنّه لا وقاية من ذلك ولا علاج لها إذا اصيب بها الانسان ـ والعياذ بالله ـ إلا الحد من شهوة الأكل وعدم الاسراف فيه وفي الشرب .

ونظراً لما يعتقده المسلمون كافة بما صح عن النبي ﷺ من الطب وأنّه أنجع العلاج وأصدقه حيث أنّ صاحبه قد استمده عمن أوجد الداء والدواء ، وقدّر المرض والشفاء ، إذ أنّه ﷺ لا يشبه سائر الاطباء ، فإنّهم يمكنهم أن يعرفوا سير الأمراض ومدتها ، وسببها وعلاجها بمعرفتهم بعض السنن الطبيعية ، فإن أصابوا فهو المطلوب ، وإن اخطأوا فلنقص في علمهم ، وأما رسول الله ﷺ فلا يمكن أن نتصوّر فيه ذلك لأنّه مستمد في علمه من المبدع الأول لخلق الانسان العالم به من يوم هو نطفة إلى أن يأتي عليه أجله .

وقد استعرض القرآن الكريم كثيراً من الأبحاث الطبية كعلم الأجنة والتشريح وعلم الصحة الغذائي والعلاج الوقائي ، وغير ذلك مما لا يسع المقام بيانه ولا يعرف القرآن إلا من خوطب به .

وللأطباء دورٌ كبير في توضيح وتطبيق الكثير من تلك الأصول

الـواردة في الكتاب العـزيز وعلى لسـان النبي وعترتـه الـطاهـرين عليهم سلام اللّه أجمعين .

وكـذلـك مـا استفـادوه من تجـارب وسيعـة في مجـالات الـطب والتطبّب والذي جلّه نابعٌ من غزارة علمهم وتأييـد الجليل (جلّت قـدرته) لهم ومن هؤلاء الـطبيب الشهير ـ في مجـالات عديـدة ـ بل أمير الأطبـاء «أبـو علي» حسين بن عبـد اللّه بن سينـا ؛ والـذي سنحـاول في هـذا الكتـاب أن نمرّ ـ معـاً ـ على كثير من المقـامـات العلميـة والعـلاجيـة الصادرة منه ؛ ممّا فيه دلالة واضحة على مدى حذاقته وفطنته .

وقـد بذلت جُهـداً في التحصيل على قـدر أكبر ممّـا يـرتبط بـ «ابن سينـا» بالخصـوص في مجالات عـلاجه وذكـائه ، ليتنـاسب المسمى مع اسمـه علّ القـارىء الكريم ـ وفي أي رتبـة كان من المعلومـات ـ يستفيد بالكثير من ذلك ـ إذا لم أقل بجميعه ـ والله الهادي إلى سواء الطريق .

وكليّ أمـل أن يتحفني القارىء النبيـل بما يـراه ـ خلال جـولته في الكتاب ـ من نقد وله جزيل شكري سلفاً .

الفصل الأوَّل

ابن سينا
حياته ونبذ من حالاته

ذكاء الفيلسوف
الشيخ الرئيس إبن سينا[1]

هو ألمع إسم في تاريخ العلم والفكر والطب ، ومن أكبر الفلاسفة المسلمين ، الذين برزوا في الفلسفة والطبيعيات والطب ، وهو من الذين دفعوا عجلة الفكر والعلم إلى الامام في خطوات كثيرة . وكان إبن سينا من أشهر الفلاسفة جميعاً وأعظمهم ذكراً وأبعدهم أثراً . ولا ريب أن ذكاءه المفرط ، وذاكرته العجيبة ، ووعيه الشامل كان ذلك من الأسباب الرئيسية في تغلبه على تلك العقبات التي تحول دون تأليفه وتصنيفه .

وقد نقل صاحب الروضات أشعاراً له ـ بالفارسية ـ في مدح إمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ منها :

---

(١) أبو علي» حسين بن عبد الله بن سينا . ولد حوالي (٣٧٠ ـ ٩٧٩ م) وتوفي سنة (٤٢٨ ـ ١٠٣٧ م) .

ابن سينا :

بكسر السين المهملة واشباع الياء والنون الممالة إلى الالف المقصورة كما ضبطه ابن خلكان ؛ اصله من أفشنة بخارا .

وذكر تلميذه الشيخ ابو عبيد الجوزجاني كما في «تلخيص الآثار» قال : حدثني استاذي أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا ان أباه كان من بلخ ، انتقل إلى بخارا في زمن نوح بن نصر الساماني ، وتصرف في الأعمال وتزوج بافشنة فولدت بها .

بر صفحهٔ چهره ها خط لم يزلي معكوس نوشته است نام دو علي
يك لام ودوعين بادوياي معكوس از حاجب وعين وأنف باخطّ جلي

ومن الرباعيات له أيضاً :

تابادهٔ عشق در قدح ريخته اند واندرپي عشق عاشق انگيخته اند
درجان وروان بو علي مهر علي چون شير وشكر بهم در آميخته اند

هذا عن مذهبه ، وأما سائر حالاته وصفاته ففي الروضات أيضاً نقلاً عن كتاب (سلّم السموات) للشيخ أبي القاسم بن الشيخ أبي حامد بن الشيخ أبي نصر الحكيم الشيرازي الكازروني ، عند ذكره لهذا الرجل : كان تلميذاً لتصانيف الفارابي ، واستاذاً للحكماء الإسلاميين ، ولم ينتفع أهل الحكمة النظرية والأطباء بعد ارسطاطاليس وأفلاطون الالهي من احد مثل ما انتفعوا من آثاره وتعليقاته ولذا لقبوه بالشيخ الرئيس ، وقد خالف الفارابي في بعض المطالب الحكمية مثل مفهوم القضية الذهنية، وجالينوس في بعض المسائل الطبية مثل قوله بأن جراحة السل لا تقبل الالتيام لأنها في عضو متحرك وهي الرئة ، والتيام المتحرك لا يتيسر إلا بالسكون ، فنقضه بسل الغنم فإن التيامه أمر محسوس .

وذكر البيهقي في تاريخه أن الشيخ أصلح كثيراً في الاهوية المختلفة والامكنة المتباعدة جراحة السل وعالجها بالورد المقند واللبن الحليب ، ومذهبه كمذهب أرسطا طاليس وأكثر الحكماء المشائين أن حقيقة الواجب تعالى شأنه وجود خاص متعين بذاته المقدسة ، وصفاته الكمالية التي هي عين ذاته مثل العلم والقدرة والحياة والارادة وهو من ادراك كمالاته الذاتية في لذة سرمدية ، كما أنه يتحصل شعاع الشمس من نفس الشمس ظهر من نور حقيقة ذلك الوجود الأقدس بمقتضى علمه وارادته جوهر مجرد محيط بجميع الموجودات التي هي تحت الملكوت الأعظم ، إحاطة العلة بمعلولها وهو الذي يسمونه بالعقل الأول والمعلول الأول .

مذهبه(*) :

مهما اختلفت الآراء حول عقيدة «ابن سينا» فإن هناك أُموراً ينبغي أن لا تفوت من حسابنا ، وكلها تلقي ضوءاً على قصة مذهبه ، ويؤلف مجموعها عنصراً هاماً في إنارة السبيل .

إن في مصنفات «ابن سينا» من التعابير والاساليب والأفكار ما يتفق مع كثير من أفكار الشيعة وتعابيرهم ، وفيها ألفاظ وعبارات تشبه كثيراً ألفاظاً وعبارات شيعية .

فهناك في مؤلفاته إيماءات وإشارات إلى اعتبار الأفضلية في الخليفة ، واعتبار العصمة ، وإلى وجوب النص عليه ، وسوى ذلك مما لا يقول به غير الشيعة عادة .

ومن أمثلة ذلك قوله في رسالته «المعراجية» المطبوعة على هامش الإلهيات «الشفاء» في إيران سنة «١٣٠٣ هـ » ج ٣ ص٦٥٤ ، الذي يفيد امتياز علي بن أبي طالب عليه السلام على غيره من الصحابة وإن منزلته منهم منزلة المعقول من المحسوس ، قال فيها ما تعريبه :

«أشرف الناس وأعز الانبياء ، وخاتم الرسل صلى الله عليه وآله وسلم ، قال لمركز الحكمة ، وفلك الحقيقة ، وخزانة العقل ، أمير المؤمنين «علي بن أبي طالب» صلوات الله وسلامه عليه ، الذي كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس : إذا تقرب الناس إلى خالقهم بأنواع البر ، تقرب أنت إليه بأنواع العقل تسبقهم» ومثل هذا الخطاب لا يليق ولا يصح إلا أن تكون المخاطبة مع كريم رفيع القدر عظيم المجد مثله ، وفي الحديث «يا علي إذا عنّي الناس أنفسهم في تكثير العبادات فعنّ نفسك في إدراك المعقول حتى تسبقهم كلهم» فلا جرم لما صار علي عليه السلام ببصر البصيرة العقلية مدركاً للأسرار كلها ، ولذلك قال عليه السلام :

(*) اقتبسنا موضوع البحث عن مذهبه من كتاب «فلاسفة الشيعة» للعلامة الشيخ عبد الله نعمة .

«لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً» .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«قدر الانسان وشرفه لا يكون إلا بالعلم»[1] .

ومن تلك الكلمات قوله :

«إن هذا الشخص الذي هو النبي ليس مما يتكرر وجود مثله في كل وقت . فإن المادة التي تقبل كمال مثله تقع في قليل من الامزجة ، فيجب ـ لا محالة ـ أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد دبر لبقاء ما يسنه ويشرعه في أمور المصالح الانسانية تدبيراً عظيماً»[2] .

وهذا يدل على أن النبي لا يهمل إقامة من يقوم مقامه الذي يكون بمثابة حلقة ثانية عنه ، وامتداد لرسالة يشرحها ويفسرها ويطبقها .

وقوله :

«. . إن النبي من عند اللّه تعالى ، وبارسال اللّه تعالى ، وواجب في الحكمة الالهية إرساله . وإن جميع ما يسنه فإنما هو مما وجب من عند اللّه أن يسنه ، وان جميع ما يسنه من عند اللّه تعالى»[3] .

وهذا صريح في مذهب الشيعة ، الذين لا يجوزون أن يكون ما يسنه النبي باجتهاده ومن عند نفسه على خلاف غيرهم الذين يجوزون ذلك ، كما قال اللّه سبحانه : **﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى﴾**[4] .

---

(١) انظر توفيق الطبيب ص ٢٠٦ ـ ٢٠٧ .

(٢) عن الشفاء ج ٢ الفن الثالث عشر في الالٰهيات ، المقالة العاشرة الفصل الثالث ص ٦٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٥٠ .

(٤) سورة النجم آية ٣ ـ ٤ .

وقوله :

«والاستخلاف بالنص أصوب ، فإن ذلك لا يؤدي إلى التشعب والتشاغب والاختلاف»[1] .

وهذا هو مذهب الشيعة في وجوب النص .

وقوله :

« . . ورؤوس هذه الفضائل عفة وحكمة وشجاعة ، ومجموعها العدالة ، وهي خارجة عن الفضيلة النظرية ، ومن اجتمعت له معها الحكمة النظرية فقد سعد، ومن فاز مع ذلك بالخواص النبوية ، كاد أن يصير رباً إنسانياً ، وكان يحل عبادته بعد الله تعالى ، وهو سلطان العالم الأرضي وخليفة الله فيه . . »[2] .

وهو إيماء إلى اعتبار العصمة والافضلية في خليفة الله في الأرض . مما يوافق مذهب الشيعة .

كل ذلك يسلمنا إلى نتيجة واضحة لا ريب فيها ، هي ان «ابن سينا» كان شيعي العقيدة جزماً ، ويتلاشى أمام ذلك احتمال أنه كان سنياً .

•

وتميل الادلة إلى إثبات أن ابن سينا لم يكن اسماعيلياً . فقد صرح هو نفسه بانه لم يكن يقبل أقاويل الإسماعيلية بقوله كما سبق :

« . . وكانوا ربما تذاكروا بينهم ، وأنا اسمعهم ، وادرك ما يقولونه ، ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني إليه . . » .

وإن آراءه ومؤلفاته قد خلت من كل اتجاه إسماعيلي ، ولم نعثر فيها على شيء من الآراء التي تلتقي بالفكرة الباطنية ، أو بالروح الإسماعيلية .

---

(١) عن آخر فصل من إلهيات الشفاء ، انظر توفيق التطبيق ص ٦٧ .
(٢) المصدر ص ٩٠ .

وذلك كله يبدد الرأي القائل أنه كان إسماعيلياً ، ويرجح بقاءه على التشيع الخالص .

وقد تكون آراؤه في اعتبار النص والعصمة والأفضلية في الخليفة من مرجحات كونه شيعياً إمامياً .

ويؤيد ذلك أن الطهراني في الذريعة ذكره في مؤلفي الشيعة ، وذكر مؤلفاته في كتابه المذكور .

كما عالج (صدر الدين علي بن فضل الله الجيلاني) الطبيب المعاصر للامير أبي القاسم الفندرسكي الفيلسوف المعروف ، قضية تشيع «ابن سينا» ووضع كتاباً بذلك اسماه (توفيق التطبيق في إثبات ان الشيخ الرئيس من الامامية الاثني عشرية) أخرجه وعلق عليه وطبعه الدكتور محمد مصطفى حلمي سنة ١٩٥٤ م) .

ويبدو من ملاحظة الكتاب ان الأدلة التي أوردها مؤلفه الجيلاني ، لا تتسع لإثبات دعوى الجيلاني وهي أن ابن سينا كان إمامياً اثنا عشرياً . نعم إن النصوص التي أوردها في كتابه المذكور تؤكد تشيعه بوجه عام .

ويقال : إن أكثر فقهاء العامّة في زمان هذا الشّيخ جرؤا على تكفيره لما قد برز منه في كتاب الشّفآء من القول بقدم العالم ونفي جسمانيّة المعاد وأمثال ذلك ، وقد اعتذر عنه بعض الطّائفة بأن مقصده لمّا كان في ذلك الكتاب تحرير مطالب المتقدّمين لم يمكن الإيراد به عليه ، بخلاف ما أورد في الاشارات ، فإنّه الصّادر عن حقيقة ما في قلبه ، وخال عن أمثال ما ذكر من الكفريّات بل مصرح بخلافه ولنعم ما قال بالفارسيّة في حق نفسه :

كفرچه منی گزاف وآسان نبود محكم تر از إيمان من إيمان نبود
در دهرچو من يكيّ وآن هم كافر پس درهمه دهريك مسلمان نبود

وقد يسند إليه أيضاً الذّهاب إلى استحلال المدام للانفس الكاملة والمواد القابلة بشروط مقررّة زعماً منه إن بسقيه إنّما يتقوى ما في الجبلة ، ويتحرّك ما في الغريزة ، إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً ، كما قال المثنوي :

باده ني برهر سري شر ميكند آنچنان را آنچنانتر ميكنند

قيل ولهذا لم يكن له عند الحكمآء عظيم موقع ، ولا اعتمد على تحقيقاته في الفنّ ولا أدخل في درجات المعلّمين إليه ولا اسند إليه أم عنه فيما استتبعناه إلى الآن .

نبذ من حالاته :

كان ملك المشرق وخراسان في ذلك الزمان الأمير نوح بن منصور فعرض له مرض اعجز الاطباء . وكان اسمه اشتهر في التوفر على العلم والقراءة . فسألوا الأمير احضار أبي علي فحضره وشاركهم في معالجته فوسم بخدمته . وصار أول حكيم توسم بخدمة الملوك . وكان الحكماء قبل أبي علي[1] يترفعون عن ذلك ولا يقربون أبواب السلاطين .

فسأل الأمير نوح بن منصور الرئيس أبو علي الاذن له في دخول دار له فيها بيوت الكتب فنال الإيجاب فطالع من جملتها فهرست كتب الاوائل وطلب ما احتاج إليه فرأى من الكتب ما لم يقرع[2] اسماع الناس اسمه لأبي نصر الفارابي وغيره . فقرأ تلك الكتب وظفر بفوائدها وعرف مرتبة كل رجل في علمه من المتقدمين .

فاتفق احتراق تلك الدار ، واحترقت الكتب بأسرها ، وقال

---

(١) في الاصل قبل ذلك .

(٢) في الاصل يقرأ وفي القفطي وابن أبي اصيبعة : ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس .

بعض خصمساء أبي علي إنـه أحـرق تلك الكتب ليضيف تلك العلوم والنفائس إلى نفسه ، ويقطع أنساب تلك الفوائد وأربابها والله أعلم .

فلما بلغ أبو علي سنة ثمـان عشرة من عمـره فـرغ من العلوم كلها ، ولم يتجدد لـه بعدهـا شيء ، وكان في جـواره رجل يقـال له أبـو الحسن العـروضي[1] ؛ فسألـه أن يصنف كتـابـاً جـامعاً في هـذا العلم ، فصنف لـه المجموع وذكـر اسمـه فيـه ، وأثبت فيـه سـائر العلوم سـوى الرياضي [فإنه ليس فيه زيادة مرتبة وسعادة في العقبى][2] .

و(كـان) في جـواره أيضـاً رجـل يقـال لـه أبـو بكـر البـرقي الخـوارزمي[3] فقيه زاهـد مفسر مـائـل إلى هـذه العلوم ، فسـألـه شـرح الكتب فصنف لـه كتـاب الحـاصـل والمحصـول . وكـان في بيت كتب بوزجان منه نسخة فقدت . وأتم كتاب الحـاصل والمحصـول في عشرين مجلدة . وصنف لـه كتابـاً في الأخلاق وسمـاه البر والاثم . ورأيتـه عنـد الإمام محمد الحارثان السـرخسي رحمه الله بخط رديء مقـرمط في سنة أربـع وأربعين وخمسماثـة ثم مات والـده وسن أبي علي اثنتان وعشـرون سنة[4] .

وتصـرفت (به) الأحـوال ، وتقلد عملاً من أعمـال السلطان . ولمـا

---

(١) ذكره أبو حيان التوحيدي في الامتاع والمؤانسة (ج ١ ص ٥٩) في معرض المثل بقوله : «وعلى أبي الحسن العروضي في استخراج المعمى» والغالب أنه هو لأن الكنية والزمن واحد وان كان التقليب بالعروضي كثير .

(٢) العبارة التي جعلناهـا بين علامتين غيـر موجـودة في تاريـخ الحكمـاء وطبقـات الأطباء .

(٣) قال في كشف الظنون : ديوان البرقي وهو أبو بكر أحمـد بن محمد الخـوارزمي المتوفى سنة ست وسبعين وثلاثمائـة قال ابن مـاكولا رأيت لـه ديوان شعـر اكثره بخط تلميذه ابن سينا الفيلسوف .

(٤) التصحيح من مطبوعة لاهور .

اضطربت أُمور السامانية دعته الضرورة إلى الخروج من بخارى والانتقال إلى كركانج[1] والاختلاف إلى خوارزم شاه علي بن مأمون بن محمد وكان أبو الحسن السهلي المحب لهذا العلم بها وزيراً . وكان أبو علي على زي الفقهاء بطيلسان وعمامة (تحت الحنك) ، فأثبتوا له مشاهرة تقوم كفاية مثله .

انتقاله عن خوارزم :

ثم دعت الضرورة أيضاً إلى الانتقال عن خوارزم والتوجه تلقاء نسا وباورد[2] ثم إلى طوس ثم إلى سمنقان[3] ولم يدخل نيسابور ، ثم إلى جاجرم رأس حد خراسان ثم إلى جرجان . وكان يقصد الأمير شمس والي قابوس بن وشمكير[4] ، فاتفق في أثناء تلك الحالات أخذ شمس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك . ثم مضى إلى دمستان ومرض بها مرضاً صعباً وعاد إلى جرجان . واتصل بالفقيه أبو عبيد[5] الجوزجاني ، واسمه عبد الواحد ، وبجرجان رجل يقال له أبو محمد الشيرازي قد ارتبط بالشيخ واشترى له داراً[6] في جواره .

وأبو عبيد يختلف إليه كل يوم يقرأ المجسطي ويستملي المنطق ، فأملي عليه المختصر الأوسط في المنطق ، لذلك يقال له الأوسط الجرجاني . وصنف لأبي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد وكتاب الأرصاد الكلية . صنف في جرجان كتباً كثيرة كأول القانون والمختصر

---

(١) عاصمة خوارزم ويقال لها الجرجانية أيضاً .

(٢) في القفطي باورد وفي الاصل اهو رد وهذه لم نجد لها ذكراً وباورد هي ابيورد بلد بخراسان بين سرخس ونسا على ما في المعجم .

(٣) في الاصل سميقان ، وسمنقان : بلد بقرب جارجم من اعمال نيسابور كما في المعجم .

(٤) أخباره تقرأوها في تاريخ العتبى ورسائله مطبوعة وهو أديب سجّاع .

(٥) في تاريخ مختصر الدول : أبو عبيدة .

(٦) هنا محيت ثلاث كلمات فصححت من القفطي وابن أبي أُصيبعة .

من المجسطي وكثيراً من الرسائل والكتب .

مصنفاته :

وهـذا فهرست جميع مصنفاتـه : كتاب المجمـوع مجلدة ، كتاب الحاصل والمحصـول عشرون مجلدة[1] ، كتـاب البر والاثم مجلدتـان ، كتاب الشفاء ثمان عشرة مجلدة[2] كتاب القانون أربع مجلدات، الأرصاد الكلية مجلدة، الإنصاف عشرون مجلدة[3]، النجاة مجلدة، الهداية مجلدة، الاشارات مجلدة، الأوسط مجلدة، العلائي مجلدة، كتاب لسان العـرب عشـر مجلدات[4]، الأدويـة القلبيـة مجلدة، المـوجـز مجلدة، الحكمـة القـدسية مجلدة[5] بيـان ذوات الجهـة مجلدة ، كتـاب المبـدأ والمعـاد مجلدة ، كتـاب المعـاد مجلدة ، كتـاب المقتضيـات مجلدة[6] . ومن رسـائله رسـالـة في القضـاء والقـدر والاجـرام العلوية والآلـة الـرصـديـة وغـرض قاطيغـورياس والمنـطق بالشعـر . ورسالـة التحفـة ورسـالـة في الحـروف وتعقب المواضـع الجـدلية ، ومختصـر أوقليـدس وفي النبض وفي الجـدل وأقسام علوم الحكمـة وفي النهـايـة والـلانهـايـة ، وحي بن يقـظان ، وفي أن أبعاد الجسم غيـر ذاتيـة لـه ، وفي الهنـدبـاء ومسـائـل جرت بينه وبين فضلاء العصر .

انتقاله إلى الري :

ثم انتقـل إلى الري ، واتصـل بخدمـة السيدة وابنهـا الملك مجـد

---

(١) التصحيح من القفطي وابن أبي أصيبعة .
(٢) عن القفطي وابن أبي أصيبعة .
(٣) عن القفطي .
(٥) في القفطي وابن أبي أصيبعة .
(٥) في القفـطي وابن أبي أصيبعة الحكمـة المشرقيـة وذكر صـاحب كشف الظنـون الحكمة القدسية والحكمة المشرقية لابن سينا .
(٦) في القفطي وابن أبي أصيبعة : المباحثات .

الدولة أبي طالب رستم بن فخر الدولة علي ، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه ، وتضمنت تعريف قدره . وقد استولت على مجد الدولة علة الماليخوليا فاشتغل الشيخ بمداواته ، وصنف هناك كتاب المعاد وأقام إلى أن قصد شمس الدولة قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد .

ثم اتفقت أسباب أوجبت بالضرورة خروجه إلى قزوين ومنها إلى همذان واتصاله بخدمة كدبانويه[1] وبالنظر في أسبابها . ثم اتفقت له معرفة شمس الدولة ، وأمر باحضاره مجلسه بسبب قولنج أصابه ، فعالجه حتى شفاه اللّه ، وفاز من ذلك المجلس بخلع كثيرة ، ورجع إلى داره بعدما أقام هناك أربعين يوماً بلياليها ، وصار من ندماء الأمير . ثم اتفق نهوض الأمير إلى قرمسين لحرب عناز[2] .

تقلّده الوزارة :

وخرج الشيخ منخرطاً في سلك خدمته ، ثم توجه تلقاء همذان . منهزماً راجعاً . ثم سألوه تقلد الوزارة فتقلدها ، ثم اتفق تشويش العسكر بسببه واشفاقهم منه على (انفسهم) فأغاروا على داره وأخذوه وحبسوه ، وسألوا الأمير قتله فامتنع منه الأمير . ثم أطلق الشيخ فتوارى في دار الشيخ أبي سعد بن دخدوك أربعين يوماً . فعاود الأمير شمس الدولة مرض القولنج ، فطلب الشيخ وحضر مجلسه فاعتذر إليه الأمير ،

(١) في مصادر أخرى كدبانويه ـ كربا نويه .

(٢) في المراجع اختلاف في رسم هذه اللفظة فبعضهم رسمها : حناز ، وبعضهم : عناد ، وبعضهم : عباز ، وبعضهم بختيار وفي مخطوطتنا عيّار وفي زبدة النصرة للاصفهاني أن طغرلبك قرَّ بقرْ ميسين وانتزعها من الامير أبي الشوك فارس بن محمد بن عناز (بالزاي) وهكذا في طبقات الاطباء وفي حوادث سنة ٤٠١ في الكامل ابو الفتح محمد بن عناز وفي حوادث ٤٣٧ توفي أبو الشوك فارس بن محمد بن عناز .

فاشتغل الشيخ بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبجلاً ، وأُعيدت الوزارة إليه ثانية .

تصنيفه للمجلّد الأوّل من القانون :

ثم سأله الفقيه أبو عبيد شرح كتب أرسطو فذكر أنه لا فراغ له ، ولكن إن رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صح عندي من هذه العلوم بلا مناظرة مع الخصوم ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت قال أبو عبيد : فرضيت بذلك ، فابتدأ بالطبيعيات من كتاب الشفاء وقد صنف المجلد الاول من القانون[1] .

حلقة الدرس :

فكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم وأبو عبيد يقرأ من

---

(١) كتاب القانون يضم معارف تعتمد على الفصل والمنطق والمبدأ وهو يحوي اكثر من مليون كلمة ، وعبَّر صاحب الذريعة عنه هكذا (١٧ / ٢٤) :

أجل كتاب في بابه ، وطبع أوّلاً في أروبا ، وطبع بمصر في اربع مجلّدات أيضاً .

أوّله : [الحمد لله حمداً يستحق بعلو شأنه . . .] وهو مرتّب على خمسة كتاب الأول الكليات الطبية ، الثاني الأدوية المفردة . الثالث الأمراض الجزئية لكل عضو عضو ، الرّابع الأمراض الجزئية الغير المختصة بعضو ، الخامس تركيب الأدوية وعلى كليّاته شروح كثيرة ، واختصر «القانون» جماعة ، ذكر جلّ منها في «كشف الظنون» ومن مختصراته «الموجز» ، لابن النفيس علاء الدين علي بن الحزم القرشي الشافعي المتوفي ٦٨٧ ، و«شرح النفيسي» المتداول بين الأطباء أعواماً المطبوع ، وإنّه للنفيسي الكرماني ، وإنكان شرح ابن النفيس القرشي على «القانون» الذي تم في عشرين مجلّداً ، يقال له أيضاً «شرح النفيسي» لكنه غير متداول ولا مطبوع ، وإنّما يوجد بعض مجلّداته في الرّضوية ومن فروع القانون المأخوذ منه «القانونچه» للقاضي الچغميني محمود بن محمد بن عمر الچغميني ، وهو مرتّب على عشرة مقالات ، في كل مقالة فصول تذكر عددها بالسوّاد .

١ ـ الأمور الطبيعية خمسة فصول . ٢ ـ التشريح سبعة فصول . ٣ ـ أحوال =

كتاب الشفاء نوبةً ، ويقرأ المعصومي من القانون نـوبة ، وابن زيلة يقـرأ من الاشـارات نوبـة ، وبهمن يار يقـرأ من الحاصـل والمحصول نـوبة ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار .

= البدن خمسة فصـول . ٤ ـ النبض . ٥ ـ تدبير الصّحة في عشرة فصول . ٦ ـ أمراض الرّأس . ٧ ـ أمراض أعضاء الصّـدر . ٨ ـ أمراض بقية الأعضاء . ٩ ـ العلل الظاهرة في ثمانية فصول . ١٠ ـ قوى الأطعمة والأشربة المألوفة .

ونظم القانـونچـه اسمـه «مفرح القـوام» ومرّ شـروح «القانـون» وشرح «نـظم القانون» ومختصره وحاشيـة «القانـون» لضياء الـدّين بن بهاء الـدين الشجاعي ، الفـه في ٧٣٣ باسم سلطان عصـره ، شهاب الـدّولة قتلغ تيمـور العادل ، وهـو متأخّر بكثير عن سميه الذي كان من أمـراء ديار بكـر في عصر ملوك الـطوائف ، الملقب بالب اينانج فتلغ بيك أبـو المظفـر بن غرتـاش الغازي ابن آرتق شهـاب الدولة ، وهو الذي أمر مهران بن منصـور بن مهران بتـرجمة «خـواص الأشجار» عن السريانية إلى العربية ، والمعرب موجود في (الـرّضويـة) نسخة جيّـدة وقف الشاه عباس في ١٠١٧ فيها ٧٤٧ صورة من الاشجار و١٤٨ إنسان وحيوان .

أوّله [الحمد لله الذي خلق فسوى. . .] كما في فهرسها ج ٣ ص ٢٥٦ منه شرح فيه جملة من مشكلاته في الرّضوية وقف نادر شاه في ١١٤٥ واختصر «القانـون» بعض الأفـاضل وسمّاه «المكنون» واختصـر «المكنـون» فخـر الـدين الخجنـدي وسمّـاه «تنقيـح المكنـون» ثمّ شـرح «التنقيـح» لـطف اللّه الـطبيب المصـري ، وسمّاه، «التصريح في شرح التنقيح» وكتب موفق الـدين عبد اللّطيف بن يـوسف الموصلي ثم البغدادي ، حاشية على «التصريح» الحاشية موجودة في (الرّضوية) بخط تلميذ المحشي وهو هبة الدين جميع الإسرائيلي المتطبّب، كتبه سنة تأليفه وهي ٦١٦ ، ومر لابن سينا «الفراسة» ويوجد من «القانون» في (سپهسالار) نسخ عديدة ، منها ما كتبت في ٢٣ ـ ج ٢ ـ ٦٩٤ ومنها نسخة خط أمين بن جلال بن أمين الصـديق الكـازروني كتبت في ١٣ ذي الحجـة ٨٨٨ . ونسخـة بخط نـور الدين محمد بن جلال الدين محمد الطبيب الأصفهاني كتبت في ١٧ صفر ٩٩٣ وله ترجمـة بالفـارسية في (الملية : ٩٤ ف) لم يعـرف مترجمهـا . أوّله [حمـد لـه ، حـمـدي كـه لـمعـات صـدق آن نـفـحـات إخـلاص آن ديـدة جانرامسحورسازد . . .] تاريخ كتابتها ١٢٥٦ كما في فهرسها (١ : ٧٩) .

ثم توجه شمس الدين تلقاء طارم[1] لحرب الأمير بهاء الدولة ، وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتدت علته ، وانضاف إلى ذلك أمراض أخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ . فخاف العسكر وفاته ، فرجعوا هاربين إلى همذان ، فتوفي شمس الدولة في الطريق ، ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم .

وكان علاء الدين سأل الشيخ المصير إليه ، فأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً ، وصنف فيها بلا كتاب يطالعه[2] جميع الطبيعيات . والإلهيات من كتاب الشفاء ، وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً . ثم اتهمه تاج الملك بمكاتبة علاء الدولة فأخذه وحبسه في قلعة نردوان[3] وبقي فيها أربعة أشهر . ثم قصد علاء الدولة أبو جعفر كاكويه[4] همذان واستولى عليها . ثم رجع علاء الدولة وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة من القلعة إلى همذان وحملا معهما الشيخ ، فنزل في دار علوي واشتغل بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وصنف في القلعة كتاب الهداية وكتاب حي بن يقظان ورسالة الطير وكتاب القولنج ، فأما الأدوية القلبية فقد صنفها في أول وروده همذان .

ثم عنَّ للشيخ التوجه تلقاء أصفهان ، فخرج متنكراً ، ومعه أخوه محمود والفقيه أبو عبيد وغلامان له في زي الصوفية ، فلما وصلوا إلى الطبران على باب أصفهان استقبله خواص الأمير علاء

---

(١) يقول ياقوت ان الطارم قلعة بارض فارس وبفارس من حدود كرمان بليدة يسمونها بلفظهم تارم قال واحسبها هذه عربت لأن الطاء ليست في كلامهم وقد وردت طارم في تاريخ اليميني للعتبى بهذا الرسم مرات .

(٢) عن مطبوعة لاهر .

(٣) في القفطي : فردجان .

(٤) في وفيات الاعيان وفي الكامل : أبو جعفر بن كاكويه وفي الاصل كاكو .

الدولة ، وحمل إليه الثياب والمراكب الخاصة ، وأُنزل في دار عبد الله بن بابي في محلة كونكنبذ .

وكان الشيخ في ليالي الجمعات يحضر مجالس علاء الدولة مع علماء البلدة وإذا تكلم استفادوا منه في كل فن واشتغل بتتميم كتاب الشفاء . أما في المجسطي فأورد عشرة اشكال في اختلاف المنظر . وأورد في علم الهيئة أشياء لم يسبق إليها ، وأورد في أُوقليدس شكوكاً ، وفي الارتماطيقي خواص (حسنة) ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون . أما كتاب الحيوان والنبات من الشفاء فقد أنهاه في السنة التي توجه فيها علاء الدولة تلقاء سابور خواست ، وكان الشيخ في خدمته .

رصد الكواكب :

وكان السلطان محمود بن سبكتكين وابنه مسعود لا يعدان واحداً من الملوك من أقرانهما وخصمائهما سوى علاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه وكان يقيم ابن علاء الدولة بحضرة غزنة مدة ، وجرى يوماً عند علاء الدولة ذكر الخلل الواقع في التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة فأمر علاء الدولة الشيخ بالاشتغال برصد الكواكب ، واطلق من الأموال ما احتاج إليه ، وابتدأ الشيخ به والفقيه أبو عبيد هو القيم بهذه الأمور يتخذ آلاتها ويستخدم صناعها ، حتى ظفر بكثير من المسائل . وكان الخلل واقعاً في أمر الرصد لكثرة الاسفار ، وتراكم العوائق . وصنف الشيخ في اصفهان كتاب العلائي .

من عجيب أحواله :

ومن عجائب أحوال الشيخ أن أبا عبيد صحبه ثلاثين سنة[1] قال

---

(١) في القفطي خمساً وعشرين سنة .

انه ما رآه ينظر في كتاب جديد على الولاء بل يقصد المواضع الصعبة ، والمسائل المشكلة منه ، فينظر ما قاله المصنف فيها فتتبين عنده مرتبته في العلم .

مع الجبائي :

وكان الشيخ جالساً يوماً بين يدي الأمير ، والأديب أبو منصور الجبان[1] حاضر ، فجرت في اللغة مسألة تكلم الشيخ فيها بما حضره ، فقال له أبو منصور : إنك حكيم ، ولكنك لم تقرأ من اللغة ما يرضي به كلامك ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام ، وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين . وكان ينظر في كتاب تهذيب اللغة من تصنيف أبي منصور الأزهري .

نظمه ثلاث قصائد :

فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلما يتفق مثلها . وأنشأ ثلاث قصائد وضمنها ألفاظاً غريبة ، وكتب ثلاث رسائل على طريقة ابن العميد والصاحب والصابي وأمر بتجليدها واخلاق جلدها . ثم سأل الأمير عرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبان وذكر أنا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء في وقت الصيد ، فيجب أن تنتقدها وتقرر لنا ما فيها . فنظر فيها الشيخ أبو منصور ، وأشكل عليه كثير منها فقال له الشيخ أبو علي إن ما تجهله من هذا الكتاب مذكور في موضع كذا وكذا ، وذكر له كتباً معروفة في اللغة ، ففطن أبو منصور أن هذه القصائد والرسائل من إنشاء أبي علي فتنصل واعتذر إليه . ثم صنف الشيخ كتاباً في اللغة وسماه لسان العرب ، لم يُصنف مثله ، ولم ينقله إلى البياض فبقي على مسودته ، لا يهتدي أحد إلى ترتيبه .

وقد حصل للشيخ تجارب في المعالجات وعلقها في أجزاء[1] ،

---

(١) في القفطي : الجبائي .

(٢) عن مطبوعة لاهور .

وعزم على تدوينها في كتاب القانون فضاعت الأجزاء .

بعض تجاربه :

ومن تجاربه أنه صدع يوماً ، فتصور أن مدة نزلت إلى حجاب رئته وأنه لا يأمن ورماً يحصل فيه ، فأمر بإحضار ثلج كثير ولفه في خرقة وغطى رأسه بها حتى تقوى الموضع ، وامتنع عن نزول تلك المادة وعوفي .

ومن تجاربه أن امرأة مسلولة بخوارزم حضرته ، فأمرها ألا تتناول من الأشربة إلا جلنجبين[1] السكر حتى تناولت على مرّ الأيام منه مائة من ، وشفيت المرأة .

تصنيفه المنطق وكتاب الانصاف :

وكان الشيخ صنف بجرجان المنطق الذي وضعه في أول النجاة ، ووقعت منه نسخة إلى شيراز فنظر فيها جماعة من أهل العلم ، فوقعت لهم شُبه في مسائل فكتبوها على جزء ، وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذوا الجزء إلى الحكيم أبي القاسم الكرماني ، فدخل أبو القاسم على الشيخ عند اصفرار الشمس في الصيف ، ووضع الجزء بين يدي الشيخ . فلما خرج أبو القاسم صلى الشيخ العشاء ، وكتب خمسة أجزاء مربعة كل جزء عشرة أوراق على الربع الفرعوني ثم نام ، فلما صلى الغداة ، بعث الأجزاء إلى أبي القاسم وقال : استعجلت في الجواب حتى لا يمكث القاصد . فلما رأى أبو القاسم (ذلك) تعجب وكتب إلى شيراز بهذه القصة .

ثم وضع بسبب الرصد آلات ما سبقه بها أحد . واشتغل بالرصد ، ثماني سنين ، ثم صنف الشيخ كتاب الانصاف .

ووقعت محاربة بين العميد أبي سهل الحمدوني صاحب الري

---

(١) عقار من ورد وعسل كما في تذكرة داود الانطاكي .

عن جهة السلطان محمود وبين علاء الدولة ، قصد السلطان مسعود بن محمود أصفهان ، وأخذ أخت علاء الدولة . فبعث أبو علي إلى السلطان مسعود وقال : إن تزوجت بهذه المرأة التي هي كفؤ لك سلّم علاء الدولة اليك الولاية ، فتزوجها السلطان مسعود ، ثم اشتغل علاء الدولة بالمحاربة ، فبعث السلطان إليه رسولاً وقال : أنا أسلم أختك إلى ولوده(؟) العسكر ، فقال علاء الدولة لأبي علي : أجب فقال أبو علي : إن كانت المرأة أخت علاء الدولة فهي زوجتك ، وإن طلقتها فهي مطلقتك ، والغيرة على الأزواج لا على الأخوات ، فأنف السلطان من ذلك ورد أخت علاء الدولة عليه عزيزة مكرمة .

ثم نهب العميد أبو سهل الحمدوني مع جماعة من الأكراد أمتعة الشيخ وفيها كتبه[١] ، ولم يؤخذ من كتاب الانصاف إلا أجزاء ، ثم دعى عزيز الدين الفقاعي[٢] الزّنجاني في شهور سنة خمس وأربعين وخمسمئة أنه اشترى[٣] منه نسخة بأصفهان وحملها إلى مرو والله أعلم .

وأما الحكمة المشرقية بتمامها والحكمة العرشية ، فقال الإمام اسماعيل الباخرزي انهما في بيوت كتب السلطان مسعود بن محمود ، حتى أحرقها ملك الجبال الحسين وعسكر الغور والغزّ ، في شهور سنة ست وأربعين وخمسمائة .

---

(١) ذكر ابن الاثير في حوادث سنة خمس وعشرين وأربعمائة أن أبا سهل الحمدوني لما استولى على اصفهان نهب خزائن علاء الدولة (بن كاكويه) وكان أبوعلي ابن سينا في خدمة علاء الدولة فأخذت كتبه وحملت إلى غزنة فجعلت في خزائن كتبها إلى ان أحرقها عساكر الحسين بن الحسين الموري .

(٢) في الأصل الريحاني قال ياقوت في معجم البلدان من خزائن مرو خزانة يقال لها العزيزية وقفها رجل يقال له عز الدين ابو بكر عتيق الزنجاني أو عتيق بن أبي بكر وكان نديماً للسلطان سنجر ثم صار شرابياً وكان بها اثنا عشر ألف مجلد .

(٣) في الأصل : أني اشتريت .

ابتلائه بالقوالنج :

وكان أبو علي قوي المزاج ، وكانت قوة المجامعة عليه أغلب ، وكان يشتغل باستفراغها ، فأثّر ذلك في مزاجه ، وكان لا يعالج شخصه ، حتى ضعف في سنة التي حارب فيها علاء الدولة الأمير حسام الدولة أبا العباس وكان فراش على باب الكرخ وعرا الشيخ داء القولنج فحقن نفسه في يوم واحد ثماني مرات ، فتقرّح بعض أمعائه ، وظهر له سحج ، وكان لا بد له من المسير مع علاء الدولة ، فظهر به الصرع الذي يتبع علة القولنج ، فأمر يوماً باتخاذ دانقين من بزر الكرفس في جملة ما يحقن به ، وخلطه بها طلباً لكسر ريح القولنج . فقصد بعض الأطباء الذي يعالجه ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم ، ولا يدري أعمداً فعله أم سهواً ، فازداد السحج به من حدة بزر الكرفس ، وكان يتناول مثروديطوس[1] لأجل الصرع فقام بعض غلمانه وطرح في مثروديطوس شيئاً كثيراً من الأفيون وتناوله . وكان سبب ذلك أن ذلك الغلام خان في خزانته فخاف عاقبة فعله عند برئه .

ونقل الشيخ في المهد كما كان إلى أصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام ، فانصرف علاء الدولة إلى أصفهان ، والشيخ يعالج شخصه ، وغلمانه يتمنون هلاكه ، بسبب خيانتهم في أمواله ، فقدر الشيخ على المشي ، وحضر مجلس علاء الدولة ، لكنه مع ذلك لا يحتمي ولا يتحفظ ويكثر التخليط في أمر المعالجة . ولم يبرأ من العلة كل البرء ، وكان يبرأ أسبوعاً ويمرض أسبوعاً .

---

(١) مثريديطوس ويقال مثرا اختصاراً ومعناه المنقذ من ضرر السم . ومثروذيطوس اسم الحكيم الذي ركب هذا المعجون ونسب اليه كما ذكره القفطي في ترجمته .

نقله إلى همدان :

ثم قصد علاء الدولة همدان ومعه الشيخ ، فعاود الشيخ القولنج في الطريق إلى أن وصل إلى همدان ، وعلم أن قوته قد سقطت ، وأنها لا تفي بدفع المرض ، فأهمل من أداة نفسه ، وقال : المدبر الذي في بدني ، عجز عن تدبير بدني ، فلا تنفعني المعالجة ، ثم اغتسل وتاب وتصدق بما بقي معه على الفقراء ، ورد المظالم إلى من عرفه من أربابها ، وأعتق غلمانه .

وكان يحفظ القرآن فيختم في كل ثلاثة أيام . ثم مات في الجمعة الأولى من رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ودفن في همدان . وفي هذه الجمعة خطبوا في نيسابور للسلطان طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، وأعرضوا عن ذكر السلطان مسعود بن محمود . وكان عمر الشيخ نجح[1] سنة من السنين الشمسية مع كسر .

منطقة مفضضة :

حكاية عجيبة : كان أبو علي يحضر مجلس علاء الدولة وعليه قباء داري[2] وعمامة خيش وخف أدم ، ويجلس بين يديه قريباً منه وكان يتبين اثر السرور في وجه الأمير اذا حضر، لتعجبه من جماله وفضله وظرفه، فاذا تكلم بين يديه استمع له أهل المجلس ، لا يلبسون بحرف حتى (ينتهي) . واتفق أن أعطاه الامير علاء الدولة منطقة مفضضة مذهبة مع السكاكين، ثم رآها الامير مع غلام من خواص غلمانه ، فقال له من أين هذه المنطقة؟ فقال أعطانيها الحكيم . فاشتد غضبه عليه ، وصك وجهه ورأسه وأمر بقتله ، فطلبوه

(١) لعلها إشارة إلى عدد سني حياته التي هي ٥٨ في رواية ، وفي مصطلحهم أن النون بخمسين والحاء بثمانية وإذا فرض أنه عاش ٥٣ فهي نون وجيم والجيم بثلاثة والحاء بثمانية .

(٢) دارى أوزري ومعنى هذا بين الكبير والصغير كما تقدم .

فوجده واحد من أصحاب الأمير فخلاه حتى هرب ، وقد غير ثيابه وزيه .

فورد الري على هيئة المتصوفة وعليه مرقعة ، وليس معه شيء ينفقه على نفسه ، فدخل السوق لتحصيل القوت ، فرأى أن يطالع مقامات الناس ليتخذ ما هو أروح، وكان يطالع واحداً بعد واحد ، حتى اطلع على شاب ظريف اتخذ مقاماً على باب داره، وقد اجتمع عليه خلق كثير فأرته امرأة تفسرة[1] فقال لها: هذه تفسرة يهودي ، فاعترفت وقالت: هي كما تقول. ثم قال: وقد تناول رائباً. فقالت: نعم. ثم قال: داركم في المدينة في موضع منخفض من الأرض، فقالت : هي كذلك فتعجب الحكيم من ذلك ، فنظر الشاب إليه وقال :أنت أبو علي ابن سينا ، هربت من علاء الدولة فاجلس ، فجلس بجنبه حتى فرغ الشاب من شأنه ، وأخذ بيده وأدخله داره ، وأمر حتى أدخل الحمام ، وألبسه ثياباً حسنة ، ودعا بـا (لطعام فقال) للشيخ أبي علي : كيف تَعرَّف من التفسرة أنَّها تفسرة يهودي فقال : رأيت في يدها قميصاً عليه غيار[2] اليهود ، ورأيته ملوثاً بشيء من الرائب ، فحدست أنه اشتهى الرائب وتناوله ، واليهود كلهم يسكنون المدينة الداخلة من بلدنا، وجميع الدول في تلك المدينة في انخفاض، فقال له الشيخ وكيف عرفتني؟ فقال الشاب: كنت أسمع بجمالك وحسن هيئتك وفطانتك ، فلما نظرت إليك حدست أنك هربت من علاء الدولة ، وأني لأعلم أنه يزول غضبه عليك ، ويشتاق إلى لقائك ، ويردك إلى مجلسه ، فأردت أن اتخذ عندك يداً . قال أبو علي : فما حاجتك؟ فقال الشاب أن تحضرني مجلس الأمير ، وتحكي له ما رأيته لعله يستظرفني للمنادمة . فما مضى إلا أيام قلائل (حتى) طلب علاء الدولة الحكيم ، وخلع عليه ، ورده إلى مجلسه . فحمل أبو علي معه

---

(١) التفسرة بول يستدل به على حال المريض وعلته .

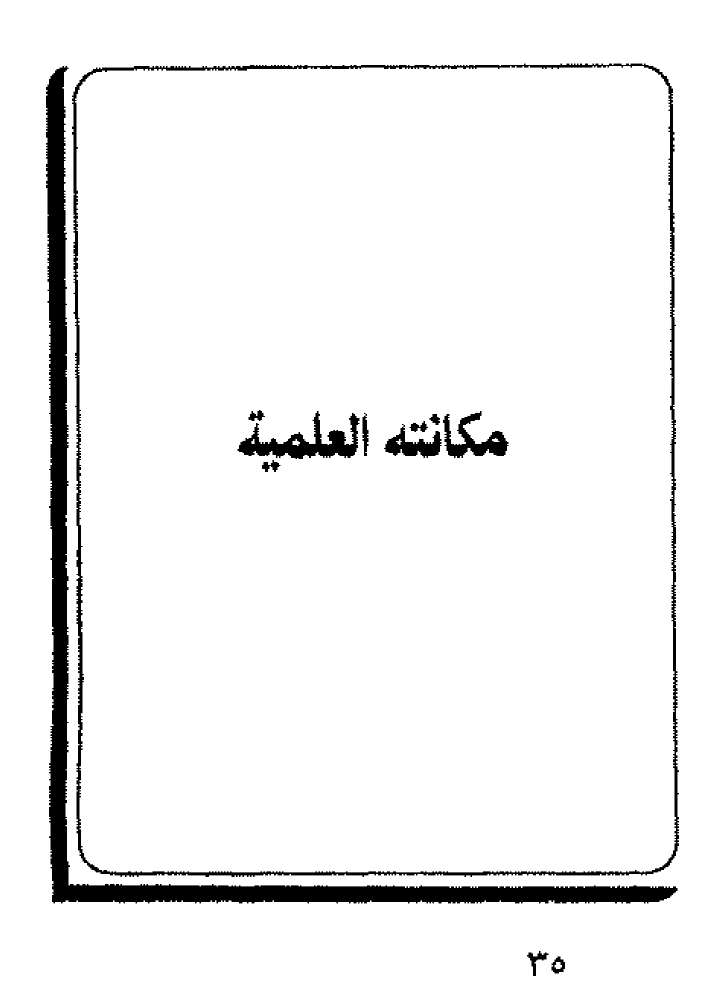
(٢) الغيار علامة أهل الذمة كالزنار ونحوه وقيل علامة خاصة لليهود (تاج العروس) .

الشاب إلى أصفهان ، وحكى للأمير ما رأى من حالـه ، وارتضاه الأمير وصار من ندمائه[1] .

وبعد هذا الاستعـراض لنبذة من حـالات أمير الأطبـاء ـ ابن سينا ـ نشير إلى بعض آراءه العلمية والفلسفية حول كثير من القضايـا المفيـدة والمختلف عليها ـ أحياناً ـ عند أربابها ومـا توصّـل إليه خـلال بحثه إيّـاها علّ القارىء النبيـل يستلذ بها ، ويستفيـد منها بـالخصوص عنـد وقـوفـه واطّلاعه على مغزاها والله الموفّق .

(١) الإسلام» لـظهير الدين البيهقي ص ٥٦ ـ ٧٢ .

الفصل الثاني



مكانته العلمية

ـ المنطق :

إن الغاية من تحصيل هذا العلم ، ان يصير آلة العقل من يحصله فيستخدمها فيما بعد في تحصيل العلوم التي هي غايات ، وهي التي تتطرق إلى دراسة الأمور الموجودة في العالم ، والأمور التي كانت قبل وجود هذا العالم .

وبما ان المعرفة التامة هي استخلاص المجهول من المعلوم ، فإن المنطق هو العلم المنبه إلى الأصول التي يجب ان يعتمد عليها . ولكن لا بد من القول :

إن الأدوات والمواد التي يستعمل فيها الذهن المعلوم لاستخلاص المجهول ليست واحدة ، فبعضها يؤدي بالذهن إلى الصواب ، وبعضها يؤدي إلى مواطن الزلل . لهذا فان المنطق هو الآلة التي إذا استخدمها الذهن استطاع ان يميز بين هذه السبل المختلفة ، وان يسلك ما يؤدي به إلى الحقيقة .

وابن سينا حدد ذلك : بان المنطق هو ان يكون عند الانسان آلة قانونية تعصمه من ان يضل في فكره ، ومعنى الفكر هنا ما يكون عنه

اجماع الانسان ان ينتقل من امور حاضرة في ذهنه إلى أمور غير حاضرة ، وهذا الانتقال لا يخلو من ترتيب فيما يتصرف فيه من هيئة ، وقد يقع الترتيب والهيئة على وجه صواب ، وكثيراً ما يكون الوجه الذي ليس بصواب شبيهاً بالصواب ، أو موهماً انه شبيه به .

ومجمل القول : ان المنطق لدى ابن سينا هو الآلة التي اذا استعملناها ، واخذنا نزن بميزانها العلوم النظرية والعلمية ، توصلنا إلى العلوم اليقينية والتصورات الحقيقية .

فابن سينا يقسم المنطق إلى تسعة اقسام هي :

١ ـ الألفاظ المفردة وهي بمثابة المدخل إلى المنطق .

٢ ـ المقولات ـ وهي عدد المعاني المفردة الذاتية والشاملة بالعموم لجميع الموجودات من جهة ما هي تلك المعاني من غير شرط تحصيلها في الوجود أو قوامها في العقل .

٣ ـ العبارة ـ وهو تركيب المعاني بالسلب والإيجاب حتى تصير قضية وخبراً يلزمه أن يكون صادقاً أو كاذباً .

٤ ـ القياس أو تركيب القضايا حتى يتألف منها دليل يفيد علماً بمجهول .

٥ ـ البرهان ـ وهو معرفة شرائط القياس في تأليف قضاياه التي هي مقدماته حتى يكون ما يكتسب به يقيناً لا شك فيه .

٦ ـ المواضع الجدلية ـ وهو تعريف القياسات النافعة في مخاطبة من نقص فهمه أو علمه من تبين البرهان في كل شيء .

٧ ـ شبه المغالطين ـ وهو تعريف المغالطات التي تقع في الحجج والدلائل والمجاز والسهو والزلة فيها والتنبه على وجه التحرر منها .

٨ ـ الخطابة ـ وهو تعريف المقاييس الخطابية البلاغية النافعة في مخاطبة الجمهور على سبيل المشاورات والمخاصمات .

٩ ـ الشعري ـ وهو الكلام الشعري ، وكيف يجب أن يكون ، وما أنواع التقصير والنقص فيه .

أما العلوم النظرية فتتعلق بالأمور التي لنا ان نعلمها ، وليس لنا ان نعمل بها . . وهي أربعة :

١ ـ العلم الطبيعي .

٢ ـ العلم الرياضي .

٣ ـ العلم الإلهي .

٤ ـ علم ما بعد الطبيعة .

والعلوم العملية تتفرع أيضاً إلى أربعة أقسام :

١ ـ علم الاخلاق .

٢ ـ علم تدبير المنزل .

٣ ـ علم تدبير المدينة .

٤ ـ علم البني .

إذن فالمنطق كان ولا يزال آلة تحصيل العلم . . أكثر من أن يكون علماً بالمعنى الحديث للكلمة فالعلوم النظرية يكاد يكون أكثرها مباحث فلسفية ، ولا يخرج عن ذلك سوى العلوم الرياضية ، وفروع العلم الطبيعي مثل علم المعادن وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم الآثار العلوية . أمّا العلم الطبيعي ذاته فلم يكن علماً بل جزءاً من الفلسفة .

أمّا العلوم العملية ، فهي عدا المباحث الفلسفية ومنها علم الأخلاق وتدبير المدينة والمنزل . . . . سياسياً واجتماعياً .

أمّا إخوان الصفاء فيقسمون المنطق إلى قسمين :

فكـري ، ولفـظي . . . . فـالمنطق اللفـظي هـو أمـر جسمـاني محسـوس وضع بين النـاس ليعبّر كـل إنسان عمّـا في نفسه من المعـاني لغيـره ، وهو يتـألف من حـروف التي هي ثـلاثـة أنـواع فكـريـة ولفـظيـة وخطية .

فالفكرية . . . أمر روحـاني معقول ، وتصـور النفس معاني الأشيـاء في ذاتهـا ورؤيتها لـرسوم المحسـوسات في جـوهرهـا وتمييزهـا لهـا في فكرتها .

واللفـظية هي سمـات دالات على المعاني التي في أفكـار النفوس وضعت بين الناس ليعبر كـل إنسان عمّـا في نفسه من المعـاني لغيره من الناس عند الخطاب والسؤال .

فنقول :

إن الأشيـاء كلها بـأجمعها صـور وأعيان غيـريات أفـاضهـا البـاري تعـالى على العقـل الفعّـال الـذي هــو جـوهـر بسيط مـدرك حقـائق الأشيــاء . . . ومن العقـل على النفس الكليّـة الفلكيـة التي هـي نفس العالم بأسره .

ويعدد إخوان الصفاء ستة ألفـاظ ومعانيهـا وعشرة ألفـاظ ، وإن كل لفـظة اسم لجنس من الأجنـاس ، وإن المعـاني كلهـا داخلة تحت هـذه العشرة ألفاظ .

وينتقـل إلى الجواهـر الـروحـانيـة ، فتنقسم إلى قسمين : هيـولى وصـورة . . . فالصـورة نوعـان مفارقـة كالنفس والعقـل ، وغير مفـارقـة كالأشكال والأصباغ .

بعد هذا يتكلم إخوان الصفاء عن الكلام فيقولون :

إن الكلام ثلاثة أنواع :

فمنهـا ما هي سمـات دالات على الأعيـان يسميهـا المنطقيـون

والنحويون الأسماء. . . ومنها ما هي سمات دالات على معان كأنها أدوات للمتكلمين تربط بعضها ببعض كالأسماء بالأفعال ، والأفعال بالأسماء ويسميها ـ النحويون الحروف ، ويسميها المنطقيون الرباطات .

أمّا عن القياسات المنطقية فيقولون :

إن الحكماء الأولين لمّا نظروا في فنون العلوم وأحكموها واستخرجوا الصنائع العجيبة واتقونها واستنبطوا عند ذلك لكل علم وصناعة أصلاً منه تتفرع أنواعه ، ووضعوا له قياساً يعرف به فروعها وميزاناً يتبين منه الزائد والناقص ، والمستوى منها مثل صناعة العروض التي هي ميزان الشعر فيعرف بها الصحيح ، والمنزحف من الأبيات ، ومثل صناعة النحو الذي هو ميزان الإعراب يعرف به اللحن من الصواب في الكلام وغير ذلك .

فهذه المقاييس والموازين هي حكام بين الناس .

وأعلم :

إن الإنسان قادر على أن يقول خلاف ما يعلم ، ولكنه لا يقدر أن يعلم خلاف ما يفعل. . . . . .

وأعلم :

بأن المنطق ميزان الفلسفة ، وقيل إنه أداة الفيلسوف ، وذلك لأن الفلسفة هي أشرف الصنائع البشرية بعد النبوءة .

وجاء في مكان آخر في رسائل إخوان الصفاء :

واعلم أيها الأخ البار الرحيم . . . . بأن الحكماء الأولين لمّا نظروا إلى الأشياء الظاهرة بأبصار عيونهم ، وشاهدوا الأمور الجليلة بحواسهم تفكروا عند ذلك في معاني بواطنها بعقولهم ، وبحثوا عن خفيّات الأمور برويتهم ، وأدركوا حقائق

الموجودات بتمييزهم ، وبان لهم إن الأشياء كلها أعيان غيريات مرتبة في الوجود كترتيب العدد ، ومتعلقة مرتبطة بعضها ببعض في البقاء والدوام عن العلة الأولى الذي هو الباري تعالى ، كتعلق الأعداد ورباط بعضها ببعض من الواحد الذي قبل الإثنين .

ولمّا تبين لهم هذه الأشياء كما ذكرنا ، تعبوا وسموا الأشياء المتقدمة في الوجود الهيولى ، وسموا الأشياء المتأخرة في الوجود الصورة. . . ولمّا بان لهم أن الصورة نوعان : مقوِّمة ومتممة. . . سموا الصور المقومة جواهر ، وسموا الصور المتممة أعراضاً ، ولمّا بان لهم أيضاً أن الصور المقوِّمة حكمها حكم واحد قالوا : إن الجواهر كلها جنس واحد ، وكذلك لمّا تبينوا أن الصور المتممة أحكامها مختلفة قالوا : إن الأعراض مختلفة الأجناس وهي تسعة أجناس مثل تسعة آحاد . فالجوهر في الموجودات كالواحد في العدد ، والأعراض التسعة كالتسعة الآحاد التي بعد الواحد ، فصارت الموجودات كلها عشرة أجناس مطابقة لعشرة آحاد وصارت الأعراض مرتبة بعضها ببعض كترتيب العدد ، وتعلقه في الوجود عن الواحد الذي قبل الإثنين .

وفي كتاب «عيون الحكمة» يعرِّف ابن سينا اللفظ. . . بقوله :

اللفظ. . . ودلالاته على الموجودات. . . على جوهر. . على كمية أو على كيفية. . . ثم يعرِّف اللفظ المفرد والقياس والشكل والمقدمات التي تؤلف منها البراهين وهي المحسوسات ، وبعدها القياسات الخطابية ، والقياسات الشعرية والأجناس ، وبعد أن يعلل ويشرح ويقدم ينتقل إلى الإلهيات .

وتنقسم العلوم العملية عند ابن سينا إلى ثلاثة أنواع :

فلسفة سياسية ، وفلسفة منزلية ، وفلسفة أخلاقية .

فالأولى : تنظم علاقات الأفراد ضمن إطار الدولة مستهدفة خير المجتمع السياسي .

والثانية : تنظم علاقات أفراد الأُسرة مستهدفة خيرها . وأمّا الثالثة : فإنها تنظم علاقات الإنسان مع نفسه مستهدفة خيره وسعادته .

أمّا العلوم النظرية فإنها تتفرع إلى ثلاث مستويات إعتباراً من الأدنى إلى الأعلى : والعلوم الطبيعية وموضوعها الموجودات المختلفة مع المادة في الواقع ، وفي التصور والرياضيات وموضوعها الموجودات المنفصلة عن المادة مختلطة مع المادة في الواقع ، والمنفصلة عنها في التصور ، وعلوم ما بعد الطبيعة وموضوعها الموجودات المنفصلة عن المادة في الواقع وفي التصور .

إن علم المنطق عند ابن سينا هو المدخل إلى الفلسفة الأولى . . . لأنه العلم بأول الأمور بالوجود ، وثانياً : هو الحكمة التي هي أفضل علم بأفضل معلوم ، وثالثاً : هو العلم الإلهي لأنه يبتغي معرفة اللّه والأُمور المفارقة للمادة في الحد والتصور ، ورابعاً : علم ما بعد الطبيعة ، وخامساً : علم ما قبل الطبيعة ، وسادساً : علم الموجود من حيث هو موجود ، وسابعاً : علم الموجود المطلق من حيث هو مطلق ، وثامناً : علم الموجود الكلي من حيث هو كلي .

وقدورد في رسالة : «الآراء والديانات» في العلوم الناموسية الإلهية والشرعية من رسائل إخوان الصفاء . . . في الفصل الخاص الذي يبحث في الفرق بين أصول الصنائع والعلوم وفروعها ما يلي :

وأمّا علوم المنطق فهي نوعان : لغوي وفلسفي :

فاللغوي مثل صناعة النحو والأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بالأسماء والأفعال والحروف وإعرابها من الرفع والنصب والخفض ، ومثل صناعة الخطب التي يكون الأصل فيها معرفة السجع والفصاحة وضرب الأمثال والتشبيهات ، ومثل صناعة الشعر التي الأصل فيها معرفة المفاعيل والأسباب والأوتاد والحروف المتحركات والسواكن . فأمّا النظر في فروعها والمنزحفات منها والعويص وعللها

فهم فيها متفاوتو الدرجات بحسب نفوسهم وطول دربتهم ودوام رياضتهم .

وهكذا أيضاً المنطق الحكمي فهو فنون شتى منه صناعة البرهان ، ومنه صناعة الجدل ، ومنه صناعة السفسطائيين أي المغالطين .

وقد تبين : إن لكل علم وصناعة أصولاً متفقاً عليها بين أهلها ، وكأنها في أوائل عقولهم ظاهرة بيِّنة وإن كان غيرهم بخلاف ذلك .

ثم اعلم :

إنك إذا اعتبرت، ودققت النظر تبين إن أكثر علم الإنسان إنَّما هو بطريق القياس ، والقياسات مختلفة الأنواع كثيرة الفنون . . . كل ذلك بحسب أصول الصنائع والعلوم ، وقوانينها .

مثال ذلك : إن قياسات الفقهاء لا تشبه قياسات الأطباء ، ولا قياس المنجمين يشبه قياس النحويين ، ولا المتكلمين ، ولا قياسات المتفلسفين تشبه قياسات الجدليين ، ولا تشبه قياساتهم في الطبيعيات ولا في القياسات والإلهيات .

ثم اعلم :

إن الحكماء وضعوا موازين ليعرف بها الخطأ والزلل في القياس . . . فهي مختلفة الفنون ، وذلك بحسب الصنائع والعلوم والقوانين ، كما هو موجود في اختلاف موازين أهل البلدان النائية . . . . فالغرض المطلوب منها هو إصابة الحق أو العدل والانصاف فيما يتعاملون بينهم في الأخذ والعطاء .

فهكذا أيضاً غرض الحكماء في استخراج البرهان الذي يسمَّى ميزان العقل ، وهو طلب الحقائق وإصابة الصواب وتجنب الزور

والخطأ باستعمال القياسات... ولكن منهم من يصيب ومن يخطىء أيضاً في استعمال هذه الموازين .

وإذاً قد تبين طرف من مقاييس أهل الصنائع والعلوم ، وموازين الحكماء فيها... فنريد أن نذكر طرفاً من مذاهبهم وآرائهم وخاصته ما كان في أمر الدين... فهذا الفن من المباحث والمطالب ومن أشرف الصنائع البشرية ، وألطف العلوم الإنسانية ، وأعجب المعارف ، وأعرف الإدراكات ، وأهلها أعقل الناس ، ومدركاتهم أكثر من المعلومات .

وهذه الدرجة أحق درجة يبلغ إليها العقلاء في طلبهم العلوم والمعارف... وهذا البحر من العلم أوسع أقطاراً، وقعره ولجه أعمق أغماراً ، وجواهره أنفس أقداراً ، وسالكوه أبعد مراماً ، وربحهم أكثر تزايداً .

ابن سينا
الرسام والموسيقار

نشأ ابن سينا في عصر عمت فيه الدراسات للعلوم والفنون ، وقد كانت عناية العرب في تلك الأزمنة البعيدة بالفنون قد تناولت مختلف النواحي ، فظهرت آثار جهودهم ، في فن التصوير والنحت والزخرفة والسباكة والصياغة والنجارة ، وغيرها من مختلف الصناعات ، وشمل فن التصوير على النقود والستور والثياب والخيام والاقداح والأواني .

وهكذا ظهر على الجدران في القصور والبيوت ، وعلى الأثاث ، وفي الحمامات وعلى السرنوك وعلى البسط ، وفي مختلف الكتب . وكان جلها اذ ذاك مخطوطاً . . فظهرت فيها صور في الطب والتشريح والنبات والحيوان والحشرات وعلوم الفلك والجغرافيا والرياضيات من هندسة ورسوم .

وكانت المخطوطات العربية اذ ذاك تتحلى برسوم وزخارف بديعة إلى جانب ما تحويه من رسوم وصور ، وكان المؤلفون لهذه المخطوطات ينمقونها برسوم كثيراً ما يكلفون بعملها رسامين اختصاصيين في اغلب الأوقات هم من العرب .

وقد ذكر المقريزي في خططه اسم كتاب وضع في مصوري العرب اسمه : «ضوء النبراس وانس الجلاس في اخبار المذوقين من

الناس» ، وهذا الكتاب اشتهر باسم «طبقات المصورين ولكن مع كل اسف عبثت به الأيدي ، ولم يعثر عليه لليوم .

ولسنا هنا في صدد التدليل على ان الفنون في عصور الإسلام كانت تشغل فراغاً كبيراً في حضارة العرب ، مما جعل المؤلفين يعنون في مؤلفاتهم بالصور والرسوم وذلك لتقريب الشرح إلى الفهم .

ومن الواضح ان مكتبات العالم تجمع عدداً من المخطوطات العربية من تأليف ابن سينا ، وفي بعض هذه المخطوطات رسومات هندسية للعلوم الرياضية ، يستحيل وضعها من قبل غيره ، حيث انها تتبع الشروح التي يدلي بها المؤلف بحرص ودقة ، وهو ما لا يسهل معرفته أو وضعه إلا لواضع اسسها وأصولها ، أو لشخص متمكن من ادراك أغراضها . لهذا فإن ابن سينا هو واضعها والقائم برسمها .

فهذه الرسوم الهندسية لها مكانة من القيمة والثمن في عالم الفن ، وعلى الأخص في ذلك التاريخ السابق للتطور العلمي . ولا بد من الاشارة إلى أن إخوان الصفاء في رسائلهم قد سبقوا ابن سينا إلى شرح بعض مسائلهم بالصور ، فجاءت رسائلهم في أكثر من موضع طافحة بالصور والرسوم المعبر عن المواضيع التي كانوا يتحدثون عنها .

أما ابن سينا فأثبت بذلك انه كان يعيش حياة الفنان الذي يطوف خياله في الدنيا كلها ، ويتسع افقه للوجود جميعه .

لقد كان كما يروى عنه باشاً طروباً مستمتعاً بنعيم الحياة الحرة الطليقة يلتهم الجمال التهاماً ويبسط ذراعيه لكل ما يشبع روحه من خير ومتعة بالرغم مما كان يحوط به من آلام التشرد والتعذيب والوحدة .

لقد قلنا : إن ابن سينا كان ولما يزل موضع عناية وتقدير الغرب . فاسمه يذكر في كل مناسبة مقروناً بالاحترام سواء في الجامعات أو النوادي أو القصور ، حتى إنه ذكر وكتب تحت إحدى صوره : «ارخميدس العربي» .

وقد رسمه الفنان الايطالي الذائع الصيت «رافائيل سانزيو» ، وهو من أقطاب مصوري عهد النهضة الأوروبية ، وقد سمى صورته «الفلسفة» أو مدرسة اثينا ، فجمع فيها مجموعة من الفلاسفة العظام من عباقرة اليونان في العهد القديم ، ومن حولهم تلاميذهم واتباعهم وعددهم جميعاً (٥٢) وقد اجتمعوا في قاعة عظيمة الرقعة فمثلت المجموعة الأولى :

افلاطون وارسطو يقفان جنباً إلى جنب في مكان الصدارة من الصورة كانهما يتناقشان ويتجادلان في موضوع من المواضيع .

فأفلاطون يمثل الفلسفة النظرية ، وهو يشير إلى أعلى بذراع غير مرفوعة ، في حين يمثل ارسطو الفلسفة العملية ، ويمد يده نحو الأرض ، وعلى جانب كل منهما في مؤخرة الصورة صفان من العلماء يقف سقراط من جانب وحوله تلاميذه وأتباعه وهو يحاضرهم ويوضح لهم نظرياته مستعيناً بالعد على أصابعه ، ومن جانب ثانٍ تقف مجموعة اخرى في حالة انشغال وحديث ودراسة .

وعلى جانبي الصورة في مقدمتها ترى جماعات يستقل كل فريق منها بالدرس والنقاش ، وتمثل عباقرة العلوم والرياضيات والهندسة . ونرى في الناحية اليسرى العالم الرياضي «فيثاغوروس» يكتب في لوح يرتكز على ركبته وحوله طائفة يمسك واحد منهم في الميزان الموسيقي . وفي الناحية اليمنى ارخميدس منحنياً يرسم في لوح على الأرض بعض الأشكال الهندسية ، ويحيط به فريق يتطلع إلى نتيجة عمله في تشوق وانتباه كما يبدو على ملامح وجوههم ، وإلى جانب هؤلاء نرى «زورستر» و«بطليموس» ـ يمثلان علوم الفلك والجغرافيا ويمسكان بنموذج للكرة الأرضية ، في حين يتوسط المجموعتين على احدى درجات السلم الفيلسوف الساخر «ريو جونيس» في صورة شاب يقوده شيخ وهو يحاول الافلات منه لينضم إلى الأساتذة والفلاسفة .

وبالقرب من مجموعة ارخميدس إلى اقصى اليسار صورة صوّر

«رافائيل» نفسه داخلاً إلى البهو بصحبة استاذه «بروجينيو» .

وقد اختار رافائيل شخصية عربية واحدة ، وضعها ضمن اولئك العباقرة الغربيين رامزاً بذلك إلى تجاوب الثقافة بين الغرب والشرق ، بحيث اتم العرب ما كان قد بدأه الإغريق . وهذه الشخصية المختارة هي : الشيخ الرئيس ابن سينا . . فاختاره رافائيل وحده ليمثل العالم العربي والفلسفة الاسلامية ، ولم يكن هذا الاختيار اعتباطاً ليخلد في الصورة العظيمة التي ادهشت العالم كله في وقتها والتي اعتبرت من أعظم أعمال هذا الفنان . . ففيها اعتراف بما كان لابن سينا من مكانة سامية واثر عظيم في الغرب مما يجعلهم يسجلون ذكراه بين العباقرة العظام .

ومن الجدير بالذكر : أن رافائيل وضعه في صورة يظهر فيها الفنان «ليوناردو دافنشي» وهو معاصر لرافائيل ، وقد اراد بذلك ان يظهر ما كان لابن سينا من أثر عظيم في علم «الجيولوجيا» وطبقات الأرض ، وانه كان المصدر والمرجع الذي اخذ عنه الفنان والمهندس والرياضي «ليوناردو دافنشي» بحوثه وافكاره .

ولابن سينا صورة تدل على غاية اجلال الغرب وتكريمهم له . . فان المصور «سيمون الكي» صوره في الصفحة الأولى الافتتاحية لكتابه الذي ترجم إلى الانكليزية عن قصة «حي بن يقظان» .

والصورة تمثل شخصين : أحدهما عربي والآخر غربي ، يسعيان معاً إلى مكان يسمى «هيكل المعرفة» وقد زين مدخل هذا المكان بتمثالين لعالمين من علماء العرب أحدهما : ابن سينا ، على يمين الباب ، والآخر ابن رشد على يساره .

ومهما يكن من امر . . فلا نستطيع ونحن نأتي على نهاية هذا البحث من ان نشير إلى ان ابن سينا لم يهمل هذا الفن ، بل كان فيه مبرزاً وضالعاً ، فرسوم الأفلاك والبروج ودوائر العوالم ، والتقسيمات

الرياضية والعددية والهندسية التي ضمنها كتبه ، وكلها تشير إلى عراقته في هذا الفن .

أما في الموسيقى . . فقد ذكر :

إن ابن سينا كان عازفاً بارعاً على العود ، وان له رسالة عنوانها : «المدخل إلى الموسيقى» . وبما أن ابن سينا كان موسوعياً كما قلنا ، وانه سار على غرار إخوان الصفاء ، فلا شك ان للموسيقى لديه مكانة عظمى على اعتبار انها من العلوم الانسانية ذات الآثار الروحانية .

فابن سينا كان يعتقد بان الهيولى المخصصة لهذا العلم هي جواهر روحانية ، وهي نفوس المستمعين ، وتأثيراتها كتأثيرات صناعات الصناع في الهيوليات الموضوعة في صناعتهم .

فالناس يستعملونها تارة عند الفرح ، وتارة في بيوت العبادات ، وفي الأعياد وتارة في الأسواق والمنازل .

وعلى العموم . . فالموسيقى التي يذهب ابن سينا إلى اعتناقها ، ويهيم بها هي الآثار العلوية وتحركاتها وانغامها ، وهذه الأنغام لها وقع يدل عليها ، وهي مفرحة للنفس .

ومن الواضح . . ان فيثاغوروس كان يسمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات حركات الأفلاك والكواكب ، فاستخرج بجودة فطرته أصول الموسيقى ونغمات الألحان ، وهو أول من تكلم بهذا العلم ، واخبر عن هذا السر ، ثم جاء بعده نيقوماخس وبطليموس واقليدس وغيرهم من الحكماء .

أما إخوان الصفاء ، فقد سبقوا ابن سينا إلى التحدث عن الموسيقى ، وخصصوا لهذا العلم في رسائلهم رسالة خاصة . ومن الجلي الواضح انهم لم يختلفوا عن ابن سينا فيما ذكروه . . ولكنهم كانوا اوسع منه بالشرح والتعليم .

فهم يقولون في حقيقة نغمات الأفلاك :

إعلم يا أخي ايدك الله وإيانا بروح منه . . إن تركيب الأفلاك وكواكبها ومقادير اجرامها والأركان ومولداتها موضوعة بعضها على بعض على النسبة الأفضل . . وهكذا أبعاد هذه الأفلاك وكواكبها وحركاتها متناسبات على النسبة الأفضل ، وان لتلك الحركات المتناسبة نغمات متناسبات مطربات متوازيات لذيذات .

وجاء في رسائل اخوان الصفاء :

فأما أهل السماوات ، وسكان الافلاك ، فقد كفوا هذه الأشياء وهم غير محتاجين إلى أكل الطعام والشراب ، بل غذاؤهم التسبيح وشرابهم التهليل وفاكهتهم الفكر والروية والعلم والشعور والمعرفة والاحساس واللذة والفرح والسرور والراحة .

وقد تبين فيما ذكرناه ان لحركات الأفلاك والكواكب نغمات والحاناً طيبة لذيذة مفرحة لنفوس أهلها ، وان تلك الألحان والنغمات تذكر النفوس البسيطة التي هناك ، سرور عالم الأرواح التي فوق الفلك ، والتي جواهرها أشرف من جواهر عالم الأفلاك ، وهو عالم النفوس ودار الحياة التي نعيمها كله روح وريحان .

والدليل على صحة ما ذكرناه أن نغمات حركات الموسيقار تذكر النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد ، سرور عالم الأفلاك ، كما تذكر نغمات حركات الأفلاك والكواكب النفوس التي هي هناك سرور عالم الأرواح ، وهي النتيجة التي انتجت من المقدمات المقرر بها عند الحكماء . . وهي قولهم :

إن الموجودات المعلولات الثواني تحاكي احوالها أحوال الموجودات الأولى التي هي علل لها .

فهذه مقدمة واحدة والأخرى قولهم : إن الأشخاص الفلكية علل أوائل لهذه الأشخاص التي هي في عالم الكون والفساد ، وان حركاتها

علة لحركات هذه ، وحركات هذه تحاكي حركاتها فوجب ان تكون نغمات هذه تحاكي نغماتها . . والمثال في ذلك حركات الصبيان في لعبهم ، فإنهم يحاكون أفعال الآباء والأمهات ، وهكذا التلاميذ والمتعلمين فانهم يحاكون في افعالهم وصنائعهم افعال المعلمين الذين علموهم ، وان أكثر العقلاء يعلمون بأن الأشخاص الفلكية وحركاتها المنتظمة متقدمة الوجود على الحيوانات التي تحت فلك القمر وحركاتها علة لحركات هذه ، وعالم النفوس متقدم على عالم الأجسام كما بينا سابقاً .

فلما وجد في عالم الكون حركات منتظمة ، لها نغمات متناسبة . . دلت على ان في عالم الأفلاك لتلك الحركات المنتظمة المتصلة ، نغمات متناسبة مفرحة لنفوسها ومشوقة لها إلى ما فوقها كما يوجد في طباع الصبيان اشتياق إلى أحوال الآباء والأمهات ، وفي طباع التلاميذ والمتعلمين اشتياق إلى أحوال الاستاذية في طباع العامة اشتياق إلى أحوال الملوك ، وفي طباع العقلاء اشتياق إلى أحوال الملائكة والتشبه بهم .

ويخلص اخوان الصفا إلى القول :

فلو لم تكن تلك المحسوسات اشرف وأفضل مما هنا ، ولم يكن للنفوس إليها وصول لما رغبت الفلاسفة في الرجوع إلى عالم الأرواح ، ولما رغبت الانبياء ، وشوقت ، ودعت إلى عالم الجنان . . فإن قال متوهم أو مجادل ان الجنان هي من وراء هذه الافلاك ، وخارجة من فسحة السموات . . قيل له :

وكيف تطمح في الوصول إليها ، ان لم تصعد إلى ملكوتها وتجاوز السبعة افلاك ، فهناك تشاهد نسيم الجنان بالاسحار يهب فيحرك الاشجار والاغصان وتتلألأ الأزهار وتفوح روائحها .

فلو عاين أهل الدنيا منها نظرة واحدة ، لما تلذذوا بالحياة الدنيا

أبداً ، ولمثل هذا ـ فليعمل العاملون .

وفي نهاية المطاف نقول :

بأن لحركات الآلات الموسيقية ، وانغامها وإيقاعها ، تعابير وتأويلات لدى ابن سينا كما ان للرياح وللنسائم ولصوت البرق ، وصوت المياه والأمطار والأشجار تعابير روحانية ذات مدلولات عرفها وكتب عنها متبعاً خطى اساتذته إخوان الصفاء الذين افردوا في رسائلهم فصلاً مستقلاً ضمنوه المعلومات والبيانات عن هذا العلم .

نظرية الحكيم والفيلسوف
ابن سينا في صور الأشياء في عالم المثال[1]

المقام الاول

في وجه اختلاف صور الأشياء
في بعض الأوقات في عالم المثال

أما الحكماء فقد تقدم بعض كلماتهم في ذلك ونذكر هنا بعضها «قال ابن سينا» في الرسالة المسماة بالفيض الالهي : أما الالهامات والمنامات فإنها داخلة تحت تأثير النفساني في النفساني وتكثر هذه الالهامات وتقلّ وتصدق هذه المنامات وتكذب بحسب قوة استعداد النفوس البشرية وضعف استعدادها بموجب صفائها وكدوراتها وخلوصها من المحسوسات وتدنسها بها ، أما في بدو حدوثها في الابدان وأما بعد ذلك بمقتضى السير والعادات التي يتّفق أن يستر بها ويتعوّدها ، وقد يصدق المنامات تارة بأن يرى الامر على ما هو عليه بصورته من غير حاجة إلى تعبير وتأويل وتارة بأن يرى محاكياً للشيء وهذا يتفاوت ، فربما كانت بمحاكيات قريبة من الشيء جدّاً وربّما كانت بمحاكيات بعيدة وهذه يحتاج فيها إلى تعبير وتأويل والسبب في هذه الحالة للانبياء ، وأصحاب الكرامات : ان القوة المتخيلة جبلت محاكية لكل ما يلقاها من هيئة إدراكيّة أو هيئة مزاجيّة سريعة النقل من

---

(١) قال شيخنا النوري في دار السلام جزء ٤ ص ٣٣٣ .

شيء إلى شبهه أو ضده فالأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم واليقظة قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر فلا يبقى له أثر ، وقد يكون أقوى من ذلك فيحرك الخيال ، إلا أن الخيال يعين في الانتقال ويحكي عن الصريح فلا يضبط الذكر ، بل إنما يضبط انتقالات المتخيل ومحاكياته ، وقد يكون قوياً جداً فيرسم فيه الصورة ارتساماً قوياً ولا يتشوش بالانتقالات ، فما كان من الاثر الذي ذكرنا مضبوطاً في الذكر في حالتي النوم واليقظة كان إلهاماً أو وحياً صريحاً أو حكماً، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته فانه يحتاج إليهما ؛ إما الوحي إلى التأويل وإما الرؤيا إلى التعبير ، هذا إذا لم يكن الرؤيا من أضغاث الاحلام التي يكون سببها أمزجة الابدان وغلبة احد الاخلاط وحديث النفس أو غير ذلك مما يخرج الرؤيا عن الحكم بصحتها ، وذكر مثل ذلك في إشاراته .

وقال شارح التلويحات في هذا المقام : إن الصورة السانحة إما أن يكون كلية أو جزئية فإن كانت كلية فإما أن تنطوي سريعاً أو تثبت ، فالمتخيلة التي من شأنها المحاكاة تحاكي تلك المعاني الكلية المنطبعة في النفس بصور جزئية لم تنطبع تلك الصورة في الخيال ، وينتقل إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة فإن كان المشاهد شديد المناسبة لما أدركته النفس من المعنى الكلي حتى لا يتفاوت بينهما الابالكلية والجزئية كانت الرؤيا غنياً عن التعبير وان لم يكن كذلك فإن كان هناك مناسبة يمكن الوقوف عليها والتنبه لها كما إذا صوّر المعنى بصورة لازمة أو مما يضادها احتيج حينئذ إلى التعبير وفائدته التحليل ، وان لم يكن هناك مناسبة على الوجه المذكور فتلك الرؤيا مما يعد أضغاث أحلام، وإن كان الصورة التي أدركها النفس من المبادىء العالية جزئية فقد تثبت تلك الصورة وقد لا يثبت ، والثانية إن حفظها على وجهها ولم يتصرف القوة المتخيلة المحاكية للاشياء بتمثيلها فيصدق هذه الرؤيا ولا يحتاج أيضاً إلى تعبير ، وإن كان المتخيلة عالية وادراك النفس

للصـور ضعيفاً أسرعت المتخيلة إلى تبديل ما رأت النفس بمثال ، وربما نزلت ذلك المثال بآخر وهكذا إلى حين اليقظة أو الالتفات إلى معان اخر، فإن انتهى إلى ما يمكن أن يعاد إليه بضرب من التهليل فهو رؤيا يفتقر إلى التعبير وإلا فهو من الاضغاث الاحلام أيضاً ، إلى غير ذلك من كلماتهم التي يشبه بعضها بعضاً، وحاصله ان الاثر الملقى وما أفيض من العالم الاعلى إن بقي بحاله لقوة النفس وقوة الذاكرة وضعف المتخيلة كان على طبق ما وقع أو يقع مما يشاهد في الخارج وإنما تحوله المتخيلة لقوة تلبسه صورة اخرى تناسبه والصورة صورة اخرى وهكذا إذا كانت قوية ، سواء كان الاثر كلياً أو جزئياً فمن ضعفت قوته المتخيلة كثرت مطابقة ما رآه لما في الخارج ، ومن قويت فيه احتاج إلى التعبير إذا لم يكن من الاضغاث .

وفيه أولاً : أن الصورة المرئية في هذا العالم قد تكون من مقتضيات الشيء المرئي فيه ، إذ الأشياء كثيراً ما تختلف صورهم باختلاف العوالم من غير تصرف للمتخيلة فيه ، ومدخلية له في ذلك فيحتاج إلى التعبير ومعرفة صورة المرئي في المنام في الخارج والمطابقة بينهما ؛ ولا ينافي ذلك قوة النفس وضعف المتخيلة ، ومن ذلك أفعال العباد من الحسنات والسيئات فإنها تصير في دار الحبور إلى جنات وقصور ، وتلبس صور الغلمان والحور ، أو تنقلب في دار النكال بالسلاسل والاغلال على نحو الحقيقة والوجود الاصلي الخارجي لا الظلي التبعي في عالم النفس والتخيل .

وثانياً : إنه منقوض بمنامات الانبياء والائمة عليهم السلام وجلها بحاجة إلى التعبير ، ولا نفس أقوى من نفوسهم ولا ذاكرة أحفظ من ذاكرتهم ولا متخيلة أضعف من متخيلتهم :

وثالثاً : إن المتخيلة إن لم تكن عالمة بالصور المشابهة للشيء المرئي وأشباه الاثر الملقى فكيف يتمكن المعبر من التعبير والرجوع

من صورة إلى مماثلها وإلقاء الخصوصيات وطرح المشخصات اذ لعلها حاكته بصورة لا تناسبه ، والبسه ثوباً لا يوافقه ، وإن كانت عالمة بها قادرة على إبرازه في شكل يطابقه فما وجه جهله بكيفية التعبير واحتياجه إلى المعبر ، وكيف خفى عليه ما هو سبب في نضده وترتيبه في الذاكرة ، وكيف لا يقدر على ذلك في اليقظة وهو أقوى فيها منه في المنام ، مع أنا نرى جميع الناس إلا الأندر منهم جاهلين بالصور المناسبة للاشياء واقعاً في يقظتهم ، بل منكرين لاكثرها ومعتقدين خلافها ، أيزعم من أعماه حب الدنيا ان الصورة المشابهة لصورة الدرهم والدينار صورة العذرة والنجاسات ، أو يحتمل من حبّب الكبر إليه والترفع إن صورة المتكبر تناسب صورة الذرات ، وإن اريد بالمناسبة ما هو كذلك بزعمه واعتقاده وإن خالف الواقع وهو مع كونه خلاف الواقع لكثرة ما يرى الجهال والفساق المنغمرين في بحار الشهوات والمعاصي صور أعمالهم القبيحة ، لا يمكن الالتزام به لاختلاف قواعد التعبير ، وما اشير إليه في بعض الأخبار وساعده الوجدان والاعتبار من ان المعبر لا بدّ وإن يعبر المنام بما يناسب حال الرائي لا ينافي ما ذكرنا ، إذ ليس الغرض منه ما يوافق اعتقاده وجهله المركب ، بل ما يناسبه من حيث الرتبة والشرف والرفعة والوضع والخساسة ؛ فإنّ العطاء على قدر استعداد المعطي .

ورابعاً : إنه منقوض بمنامات كثيرة للفساق والجهال ، ومن قويت متخيلتهم وضعفت نفوسهم المطابقة لما وقع أو يقع في الخارج ، فما السبب في التخلف فيهم وماسر سكون تخيلهم عن التصرف فيما القي إلى نفوسهم الضعيفة عن تحمله وتحفظه كما هو ، وبالجملة فلم أجد لما مهّدوه اصلاً تسكن إليه النفس ولا أنكر كون الامر كما ذكروه في بعض المواضع لا لضعف النفس وقوة التخيل ، بل لقوتها وعلمها بأصل الشيء وصوره في العوالم .

وقال بعضهم : إن الاعراض الخارجية قد تغير صورة الشيء عما

تقتضيه مادته في نفسها في عالم عقله ونفسه وجسده فإن جردت عنها تصوّر بصورة مخالفة لصورتها ، فإن كان الجسم مشوباً بالاعراض والنفس غير مشوبة تغير الجسم عن صورة كانت تنزل صورة نفسه ، وإن كانت النفس مشوبة بالاعراض والعقل غير مشوب تغير صورتها عن صورة كانت تنزل عقلها وبذلك اختلفت الصور المشهودة في عالم الاجساد مع الصور البرزخية والاخروية فلربما كان الشخص في الدنيا على صورة الانسان وفي الاخرى على صورة اخرى ، فكانت انسانيته في الدنيا عرضية ، ومن هذا الباب يقع المسخ إذا غلبت خصال النفوس الشقية على الشخص واستولت عليه فتهتك ستر أعراض ظاهرهم ، ويظهرون بصورة ذاتية أجسادهم المطابقة لصور نفوسهم الحاصلة من صور أعمالهم ، فيصيرون بذلك وزغاً وقردة وخنازير وكلاباً وأمثال ذلك .

وبالجملة صورة الشيء في عالم المثال على خلاف صورته في عالم الزمان نعم أسفل عالم المثال المتصل بعالم الزمان يشاكل صورة الزمانية ، فإذا نام الانسان فإما أن يتوجه إلى أدنى عالم المثال المرتبط بعالم الزمان والمواد الزمانية بسبب عدم الحجاب بينه وبين أسفل الزمان وعدم انقطاعه عنه بالكلية ، فيرى الاشياء كما هي في عالم الزمان إن لم يكن له صبغ آخر ، فيرى زيداً بصورته الزمانية إن جاء لمجيئه في الدنيا وتكلم وأكل وشرب كما يرى الرائي في الدنيا بعينه الظاهرة ، وأما إذا انقطع توجه الروح من أسفل عالم المثال توجه إلى أعلاه يتحد الاشياء هناك على صور غير صورها الدنيوية ، ولصعود الروح إلى أعلاه أسباب جسدانية كعدم كونه متجسداً بكثرة الرطوبات وغلظته ، وعدم قلة الرطوبات المنبعثة عنها الابخرة الحاجبة بين الروح والجسد ، وإلا فلا يرفع تعلق الروح بالكليّة ولا يتمحّض تعلّقه بأعلى عالم المثال ، فيسير في وسط الهواء ويشاهد الاشياء بصورها الزمانية وأسباب روحانية كالذكر والطّهارة وعدم الاهتمام بشيء وشدّة الفكرة

فيه ، والتّقوى والصّلاح والعلم .

قال : فالرؤيا التي تخالف صورتها الزمانيات أرفع مقاماً وأعلى درجة وأقرب إلى الملكوت ، والتي توافق صورتها الزمانيات وتقع كما رأى الرائي بعينه أنزل رتبة وأقرب إلى الملك ، فما رآه الرائي في أعلى عالم المثال يحتاج إلى التعبير ، وما رآه في أسفل عالم المثال لا يحتاج إليه ولم يكن صبغ من نفس الروح ، وإلاّ فيصدق جنسها أو نوعها أو بعض أجزائها وإن لا يصدق أبداً «انتهى» محرراً .

ولا يغني عن جوع لابتنائه على مناسبات غير مطردة ، وما ذكر في الاخبار من ذكر علل المسوخات اشارات وكفايات أو بيان لبعض أسبابها ، وإلا فمحال عادة اتفاق أهل قرية في مرتبة معينة من الخصال المذمومة مع ان المذكور فيها المعاصي الجوارحية لا الافعال القلبية والصفات النفسانية المتوقفة على ملكات لا تحصل إلا بعد مدة طويلة بل في جملة منها حصوله بعد ذنب واحد ، مع أن أمثالهم في كل قرن وأعصار ما لا يحصى كثرة .

ثم إن كان الموجود في أعلى عالم المثال صورة نفس الانسان على ما يقتضيه عمله دائماً كان العاصي مهتوك الستر عند الملأ الأعلى مفتضحاً عند أهل السماء وهذا ينافي وعده تعالى ورأفته وقد ستر النمّام والمنافقين عن كليمه والزناة وغيرهم عن خليله ، وسريرة ابليس عن صفيه ، بل الموجود في الأخبار أن كل أحد لا يفتضح بين أهل المحشر من الأنبياء والمرسلين والملائكة بأصنافهم أجمعين ، والجنة والناس بما اكتسبه من المعاصي وقد أُبليت السرائر ورفعت الحجب ووجد كل نفس ما عمل من خير أو شرّ محضراً «وفي دعوات الراوندي» روى ان في العرش تمثالاً لكل عبد ، فإذا اشتغل العبد بالعبادة رأت الملئكة تمثاله ، وإذا اشتغل بالمعصية أمر اللّه بعض الملئكة حتى يحجبوه بأجنحتهم ، لئلا تراه الملائكة فذلك معنى قوله

ﷺ : يا من أظهر الجميل وستر القبيح .

ثم إن اللازم على ما ذكره عدم رؤية غير مهذبي النفوس من الاتقياء العالمين صور الاشياء كما هي ، لاحتياجها إلى صعود أرواحهم إلى أعلى عالم المثال المتعذر في حقهم ، وقد أوردنا من منامات الكفار والمشركين فضلاً عن الجهال والعاصين مما هو من هذا الباب ما يكفي للنقض ، ولم يكن في الذين كانوا في مصر وعبّر رؤياهم يوسف عليه السلام وصار من معجزاته قليل من الموصوفين بما ذكر ، بل كانوا من هذا الصنف قطعاً «وفي مكارم الاخلاق» كان رسول الله ﷺ كثير الرؤيا ولا يرى رؤيا الاجائت مثل فلق الصبح ، وظاهرة مطابقة ما رآه في الخارج في الغالب لوجود بعض ما يحتاج إلى التأويل في مناماته كما مرّ .

ثم إنه لم يبرهن على أن تغير الصورة الواقعية للشيء بالاعراض الخارجية أمر دائمي فيجوز بقائها على أصلها ويكون صورته في الدنيا والبرزخ واحدة لا تفاوت بينها إلاّ في اللطافة والكثافة ، ويشهد لذلك ما في الكافي عن الصادق عليه السلام قال : فإذا قبضه اللّه عزّ وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا ، فيأكلون ويشربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا «وفي المحاسن» عنه عليه السلام إنه ذكر الارواح أرواح المؤمنين فقال : يلتقون ويتسائلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان .

واعلم أن الذي يختلج في البال أن يستند هذا الاختلاف إلى أمور يمكن استنباطها عما ذكرناه سابقاً .

منها ما هو من لوازم هذا العالم من حيث الرقة واللطافة وغيرها ، فإن الشيء الواحد تختلف صورته باختلاف حاله في ذلك كالحجر المستخرج منه الزجاج المستخرج منه البلور ، ومنه يظهر الاختلاف في اللون بعد اشراق شعاع الشمس وساير الانوار عليه ، وقد أشير في كثير

من الاخبار إلى انّ لون هذا العالم أخضر، ففي المحاسن والكافي عن حنان قال : كنت مع أبي عبد اللّه عليه السلام على المائدة فقال علي بالبقل وامتنعت أنا منه لعلة كانت بي ، فالتفت إليّ وقال : يا حنان أما علمت أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يؤت بطبق ولا فطور إلا وعليه بقل ؟ قلت : ولم ذاك جعلت فداك ؟ قال لان قلوب المؤمنين خضر فهي تحن إلى اشكالها، وفي الكافي خضرة «وعن مناقب ابن شهر آشوب» إنه سئل ابن أبي العوجاء أبا عبد اللّه عليه السلام لم يميل القلب إلى الخضرة أكثر مما يميل إلى غيرها ؟ قال : من قبل إن اللّه تعالى خلق القلب أخضر ومن شأن الشيء أن يميل إلى شكله، «وفي منتخب البصاير وغيره» عن الرضا عليه السلام : إن اللّه عز وجل خلف هذا النطاق زبر جدة خضراء ، منها اخضرت السماء ، قلت : وما النطاق ؟ قال : الحجاب وللّه عز وجل وراء ذلك سبعون الف عالم أكثر من عدد الجن والانس ، وكلهم يلعن فلانا وفلانا «وفي الامالي» عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله فيمن صام أربعة وعشرين يوماً من رجب فاذا نزل به ملك الموت تراءى له في صورة شاب عليه حلة من ديباج أخضر على فرس من أفراس الجنان ، وبيده حرير اخضر مملواً بالمسك الاذفر الى ان قال : ثم يأخذ روحه في تلك الحرير وامثال ذلك مما فيه اشارة إليه كثير ، وربما يستأنس له ببعض وجوه ليس هنا محلّ ذكره وربما أوّل بعضهم الخضرة في تلك المقامات ببعض أنواع العلوم .

قال التقي المجلسي في شرح الانوار الاربعة التي خلق منها العرش كما في الكافي ما لفظه : والنور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلق بذاته وصفاته سبحانه كما هو مجرب في الرؤيا ، ويؤمى إليه ما روى عن الرضا عليه السلام أنه سئل عما يروي انّ محمداً صلى الله عليه وآله رأى ربه في صورة الشاب الموفق في صورة ابناء ثلثين سنة رجلاه في خضرة فقال : رسول اللّه صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموفق ، وسن ابناء ثلثين سنة ، فقال الراوي : جعلت فداك من كانت

رجلاه في خضرة ؟ قال : ذاك محمد ﷺ كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب أن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك «الخبر» لأنه ﷺ كان حينئذ في مقام كمال العرفان، وخائضاً في بحار معرفة الرحيم المنان وكانت رجلاه في النور الاخضر وقائماً في مقام من المعرفة لا يطيقها أحد من الملائكة والبشر وإنما عبروا بهذه العبارات والكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحق كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصورة ، ونحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربانية والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا «انتهى» .

وليعلم انه قد يكون للشيء صورة في عالم المثال وليس له صورة في هذا العالم ، كالشجاعة التي صورتها الاسد ، والحيلة والخديعة فإن صورتها الثعلب ، والجهل فإن صورتها الخنزير ، ومتاع الدنيا فإن صورتها العذرة وغير ذلك مما سنشير إليه ، وقد يكون للشيء الواحد صور متعددة باعتبار جهات متعددة فيها . كالعلم فإن صورته الماء من حيث كونه سبباً لحيوة النفس وبقائه ، والعسل لكونه أحلى الاشياء عندها وألذها، واللبن لكونه من عالم الصفاء ، والاجسام النورية كالشمس والسراج لكونه سبب تنوير النفس وتفرقتها بين الحق والباطل وقد يختلف صورة الشيء بإختلاف الاشخاص الذين يرونه وقد يكون الشيء الواحد مثالاً لشيئين مختلفين باختلاف الاشخاص كالماء فإنّه مثال للعلم الذي فيه الحيوة الحقيقية للنفوس للعلماء والمتعلمين ، وللمال الذي فيه حيوة الدنيا لأهلها أو باختلاف الازمان كالنار والامطار ، فإنها مثال للراحة والنشاط في الشتاء ، وللتعب والامراض في الصيف .

ومنها ان يكون سببه الاختلاف في المدرك وهو الروح إذا كان ضعيفاً وناقصاً من جهة العلم والاعتقاد ، بل مريضاً ومتشكلاً بصورة ما غلب على طبيعته من الاخلاط، فإنه يدرك حينئذ الشيء متكيفاً بما هو

عليه ، ويخرجه عن الصورة التي تقوم فيه ، وقد منعنا سابقاً كونه كذلك دائماً ، غير أنه مما لا يمكن منعه كلياً لقيام التجربة ومساعدة حالات الحواس الظاهرة ، فإن الانسان يرى الشيء الواحد مختلف الهيئة واللون والحجم باختلاف عينه بالصحة والمرض وقوة النور وضعفه ، بل قرب المرئي وبعده وغير ذلك مما هو مذكور في محله .

ومنها ان يكون ذلك من مقتضيات وجود الشيء المرئي في هذا العلم ، كالاعمال الحسنة والقبيحة ، فإنها أعراض في الدنيا وجواهر في تلك الدار ، كما جاءت في متواتر الاخبار ، ومثلها الكعبة والقرآن وشهر رجب وشعبان ورمضان بل جميع الساعات والازمان خصوصاً يوم الجمعة وليلة القدر ويوم الغدير وغيرها ، والسرّ في اطلاعه على ذلك وكشف الغطاء عن عين قلبه ورؤيته حقايق تلك الاشياء ، ما مر من الانذار والبشارة والعقوبة والاختبار حسب ما قدّمت يداه ، وقد تكون صورة عمل حقيقة عمل آخر فيرى في المنام تلك الصورة إذا صدر منه أو من غيره هذا العمل مثل ما ورد من ان من فعل كذا كان كمن عمل كذا ، هذا إذا كان المقصود إزالة الريب عن قلب الرائي في كون عمل كالزيارة مثل الحج مثلاً ، وإلا فلا يرى حقيقة الحج .

ومنها أن يكون السبب فيه الشيطان بأن يتصور في عينه الشيء المرئي في غير صورته ، كالمشعبد الذي يصرف الابصار بحركات سريعة وخفة يد تلبس على الحس التفرق بين الشيء وشبهه ، لسرعة الانتقال منه إلى شبهه ، ومنه بعض أنواع السحر «قال الطبرسي» : هو عمل خفي لخفاء سببه يصور الشيء بخلاف صورته ويقلبه من جنسه في الظاهر ولا يقلبه من جنسه في الحقيقة ، الا ترى إلى قوله تعالى «يخيل إليه من سحرهم إنها تسعى» و«في طب الائمة» عن الباقر عليه السلام : السحرة لم يسلطوا على شيء إلا العين «وفيه» ان ابا بصير سئل الصادق عليه السلام عن سحر لبيد بن أعصم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عليه السلام بلى كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى يجامع وليس يجامع وكان يريد الباب ولا يبصره

حتى يلمسه بيده والسحر حق وما سلط السحر إلاّ على العين والفرج[1] «وفي تفسير العياشي» عن الصادق عليه السلام قال رأت فاطمة عليها السلام في النوم كان الحسن والحسين عليهما السلام ذبحا أو قتلا ، فاحزنها ذلك فأخبرت به رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : يا رؤيا فتمثلت بين يديه ، قال : أنت أريت فاطمة هذا البلاء ؟ قال : يا اضغاث وأنت أريت فاطمة هذا البلاء ؟ قالت : نعم يا رسول اللّه ، قال : ما أردت بذلك ؟ قالت : أردت أحزنها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها الصلوة : اسمعي ليس هذا بشيء .

قال المجلسي (ره) : كأن خطابه صلى الله عليه وآله وسلم كان لملك الرؤيا وشيطان الاضغاث لقوله سبحانه إنما النجوى من الشيطان أو تمثل لاعجازه لكل منهما مثل وتعلق به روح فسئله ، ومثل هذا التسلط الذي يذهب أثره

---

(١) قال الطبرسي (ره) في كتاب مجمع البيان في تفسير قوله «ومن شر النفاثات في العقد» قالوا إن لبيد بن أعصم اليهودي سحر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ثم ذكر قصته إلى أن قال - : ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس ثم قال : وهذا لا يجوز لأن من وصف بانه مسحور فكأنه قد خبل عقله وقد أبى الله سبحانه ذلك في قوله «وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا» إلى أن قال : ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيراً من المؤمنين مع شدة عداوته بهم «انتهى» .

وقال المحدث العلامة المجلسي (ره) في البحار بعد نقل حديث سحر لبيد بن اعصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بئر ذروان عن كتاب طب الأئمة ما لفظه : أقول : المشهور بين الإمامية عدم تأثير السحر في الأنبياء والأئمة عليهم السلام ، وأولوا بعض الأخبار الواردة في ذلك وطرحوا بعضها «انتهى» .

قلت : ويظهر من الفيض (ره) أيضاً أن تلك الروايات توافق روايات المخالفين من العامة قال (ره) في الصافي بعد ذكر روايات طب الأئمة : وروت العامة ما يقرب من ذلك .

فهذا الحديث مضافاً إلى مخالفته لما هو المشهور بين الإمامية كما صرح به المجلسي (ره) موافق لما رواه العامة فيمكن حمله على التقية مع ما فيه من ضعف السند والله العالم .

سريعاً من الشيطان ولم يوجب معصية على المعصومين لم يدل دليل على نفيه «انتهى» وقد مر تحقيق ذلك ويؤيد الاحتمال الاول[1] ما في تفسير علي بن ابراهيم عنه ﷺ في هذه الحكاية : إن جبرئيل نبزل وقال : يا محمد هذا شيطان يقال له الدها ، وهو الذي أرى فاطمة عليها السلام هذه الرؤيا ويؤذي المؤمنين في نومهم ما يغتمون به ، وفي رواية اخرى ان لإبليس شيطاناً يقال له هزع يملأ المشرق والمغرب في كل ليلة يأتي الناس في المنام .

ومنها أن لا يكون المرئي هو أصل الشيء الخارجي أو صورته بل شيء آخر يشارك الخارجي في بعض الصفات الحسنة أو الذميمة الذي اريد تنبيه الرائي عليه ليترتب على الخارجي بعد الكشف عنه ما يترتب عليه بملاحظة هذه الصفة من فعل أو ترك أو زيادة ، أو نقصان أو حبّ أو بغض ، كالعذرة والقاذورات التي يراها الإنسان في المنام فيصاب مالاً حراماً أو حلالاً ؛ واللباس إذا راى انه لبسه أو خلعه فيزوج امرئة أو يطلقها ، وهذه الاسباب وغيرها مما يحتمل في المقام ولا يبلغه عقول ذوي الأفهام قد يجتمع في شيء واحد أو متعدد أو في أمور متفرقة كذلك وهذه الامور قد تكون من الامور الماضية أو المستقبلة أو الحالية والجميع قد يكون مما يتعلق بنفس الرائي أو المكان الذي نام فيه أو يرى فيه الرؤيا أو بجملة ما وجد أو يوجد في العالم فان الانسان قد يرى حقيقة أعماله السابقة والعاكفة عليها ، وما يبتلي بها بعد حين من الحسنة والقبيحة والمركبة منهما في نوم واحد ، وقد يرى دفعة في مكان معين ما فعل فيه في السابق أو حال نومه أو يفعل فيه بعدامة من الاقسام الثلاثة من غير ارتباط لتلك الافعال به وإنما انكشفت له لبشارة أو إنذار أو امتحان أو غير ذلك مما مرّ ، وقد يرى أموراً سلفت في العالم أو ستظهر فيه مما لا تختص بهما ، واذا

---

(١) أي المذكور في كلام المجلسي (ره) .

ضممت بعض ذلك بالاخر ثم بما ذكرنا من اقسام مباني اختلاف الصور ناقت الاجسام (كذا) واوجبت جملة منها توهم كونها من الاضغاث والاحلام كما وقع لجلساء ملك مصر في رؤياه مع إنها كانت من الامور المستقبلة المتعلقة بكلية العالم ، فلو كان معها شيء مما تقدم كانوا أولى بهذا المقال[1] وفي كتاب تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى بالمنتخبات الملتقطات لجمال الدين أبي الحسن القفطي ـ ص ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .

أمّا في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف المنظر وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق إليها ، وأورد في آقليدس شبهاً وفي الارثمطيقي خواصٌ حسنة وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الاوّلون وتمّ الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابي النبات والحيوان فإنّه صنّفهما في السنة التي توجّه فيها علاء الدولة إلى سابور خواست في الطريق وصنّف أيضاً في الطريق كتاب النجاة وأختصّ بعلاء الدولة وصار من ندمائه إلى أن عزم علاء الدولة على قصد همدان وخرج الشيخ في الصحبة فجرى ليلة بين يدى علاء الدولة ذكرُ الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الأرصاد القديمة فأمر الأمير الشيخ بالاشتغال برصد الكواكب وأطلق من الأموال ما يحتاج إليه وابتدأ الشيخ به وولاني اتخذ آلاتها واستخدام صنّاعها حتى ظهر كثيرٌ من المسائل وكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها وصنف الشيخ باصفهان كتاب العلائيّ .

قال وكان من عجائب أمر الشيخ أنيّ صحبتُه وخدمته خمساً وعشرين سنة فما رأيته وقع له كتاب مجدّد ينظر فيه على الولاء بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة فينظر ما قاله مصنفه فيها

---

(١) دار السلام لميرزا حسين الطبرسي ج ٤ ص ٣٣٣ إلى ٣٤٣ .

فيتبيّن مـرتبتُه في العلم ودرجتـه في الفهم وكان الشيـخ جالسـاً يومـاً من الايّام بين يدي الأمير وأبو منصـور الجبّان حـاضر فجـرى في اللغة مسئلة تكلّم الشيخ فيها بمـا حضره فـالتفت الشيخ أبـو منصور إلى الشيخ يقول إنّـك فيلسوف وحكيم ولكن لم تقـرأ من اللغة مـا يـرضي كـلامـك فيهـا فـاستنكف الشيـخ من هـذا الكـلام وتـوفـر على دَرْسِ كُتبِ اللغــة ثلث سنين واستـدعى بكتاب تهـذيب اللغة من بـلاد خراسـان من تصنيف أبي منصور الازهري فبلغ الشيـخ في اللغة طبقـةً قلّما يتّفقُ مِثْلُهـا وأنشأ ثلث قصائد ضمّنها ألفاظاً غريبة في اللغة وكتب ثلثةِ كُتُب أحدهـا على طريقـة ابن العميـد والثاني على طـريقة الصـاحب والثالث على طـريقة الصـابي وأمر بتجليدها واخلاق جلدِهـا ثمّ أوعز الأميـر بعرْض تلك المجلدة على أبي منصـور الجبان وذكـر إنّـا ظفـرنـا بهـذه المجلّدة في الصحـراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدها وتقول لنا ما فيهـا فنظر فيهـا أبو منصـور وأشكل عليـه كثير ممّـا فيهـا فقـال الشيـخ كـلُّ مـا تَجْهله من هـذا الكتـاب فهـو مـذكور في المـوضع الفـلانيّ من كُتُبِ اللغة وذُكَـرَ لـه كتبـاً معـروفـة في اللغـة كان الشيـخ حفظ تلك الألفاظ منهـا وكان أبـو منصور مُجْـرفاً فيمـا يـورده من اللغة غيـر ثقة فيهـا ففـطن أبـو منصـور أنّ تلك الـرسـائـل من تصنيف الشيخ وأنّ الذي حمله عليـه ما جبهـه به في ذلـك اليـوم فتنصّـل واعتـذر إليه ثمّ صنّف الشيـخ في اللغـة كتـاب سمّـاه بلسـان العـرب لم يُصَنَّفْ في اللغــة مثلُه ولم ينقله إلى البيــاض حتّى تــوفّـى فبقي عـلى مسوَّدته لا يهتـدى أحد إلى تـرتيبه وكـان قد حصـل للشيخ تجـارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتـاب القانـون وكان قـد علّقها على أجزاء فضـاعت قبل تمـام كتاب القـانون من ذلـك أنّه صـدّع يـومـاً فتصـوّر أنّ مادّة تـريد النـزول إلى حجاب رأسـه وأنّه لا يـأمن ورمـا يحصل فيه فأمر بإحضار ثلج كثير ودقّه ولفّـه في خرقـة وتغطيـة رأسه بهـا ففُعل ذلك حتى قوى المـوضـع وامتنع عن قبـول تلك المادّة وعُوفي ، ومن ذلـك أنّ امرأة مسلولـة بخوارزم أمر لهـا أن لا تتنـاول شيئـاً من الأدويـة

سوى جلنجبين السكر حتّى تناولتْ على الأيّام مقدار مائة مَنّ وشُفيّت المرأة.

وكان الشيخ قد صنّف بجُرْجان المختصر الأصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أوّل النجاة ووقعت نسخة إلى شيراز فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوقعت لهم الشبه في مسائل منها فكتبوها على جزء وكان القاضي بشيراز من جملة القوم فأنفذ بالجزء إلى أبي القاسم الكرمانيّ صاحب إبراهيم بن بابا الدَيْلَميّ المشتغل بعلم الباطن وأضاف إليه كتاباً إلى الشيخ أبي القاسم وأنفذهما على يدي ركابي قاصد وسأله عرضِ الجزء على الشيخ واستنجاز أجوبته فيه وإذا الشيخ أبو القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف وعرض عليه الكتاب والجزء فقرأ الكتاب وردّه عليه وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون ثمّ خرج أبو القاسم وأمرني الشيخ بإحضار البياض وقطع أجزاء منه فشددت له خمسة أجزاء كلّ واحد عشرة أوراق بالربع الفرعونيّ وصلّينا العشاء وقدّم الشمع وأمر باحضار الشراب وأجلسني وأخاه وأمرنا بمناولة الشراب وابتدأ هو بجواب تلك المسائل وكان يكتب ويشرب إلى نصف الليل حتّى غلبني وأخاه النوم فأمرنا بالانصراف فعند الصباح قُرع الباب فإذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرتُه وهو على المصلّى وبين يديه الأجزاء الخمسة فقال خُذْها وصر بها إلى الشيخ أبي القاسم الكرمانيّ وقُلْ له استعجلت في الاجابة عنها لئلاّ يتعوّق الركابي فلّما حملتُه إليه تعجّب كلّ العجب وصرف الفيج وأعلمهم بهذه الحالة وصار هذا الحديث تأريخاً بين الناس ووضع في حال الرصد آلات ما سبق إليها وصنّف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد وكان غرضي ما يحكيه بطليموس عن نفسه في الأرصاد حتى بان لي بعضها قال وصنّف الشيخ كتاب الانصاف وفي اليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود إلى اصفهان نهب عسكره رحْل الشيخ وكان الكتاب في جملته وما وقف له على أثر .

وكـان الشيخ قـويّ القـوى كلهـا وكـانت قـوة المجـامعـة من قـواه الشهـوانيّة أقـوى وأغلب وكان كثيـراً ما يشتغـل به فـأثّر في مـزاجه وكـان الشيخ يعتمد على قوّة مزاجـه حتى صار أمـره في السنة التي حـارب فيها عـلاء الدولـة تاش فـراش على باب الكـرخ إلى أن أخذ الشيـخ قـولنـج ولحرصه على برئه إشفاقاً من هزيمة يدفع إليها ولا يتأتّى لـه المسير فيهـا مـع المرض حقن نفسـه في يوم واحـد ثماني مّـرات فتقرّح بعض أمعـائه وظهر به سحج وأحوج إلى المسير مع عـلاء الدولـة فأسرعوا نحـو ايذج فظهر به هناك الصرع الذي قـد يتبع القـولنج ومـع ذلك كـان يدبّـر نفسه ويحقن نفسه لأجل السحـج ولبقية القـولنج فـأمر يـوماً بـاتّخاذ دانقين من بزر الكرفس في جملة مـا يحقن به وخلطه بهـا طلباً لكسـر ريح القـولنج به فقصد بعض الأطباء الذي كان يتقدم هو إليه بمعـالجته وطـرح من بزر الكرفس خمسة دوانق لست أدري أعمـداً فعله أم خطأ لأنّي لـم أكن معـه فـازداد السحج بـه من حدّة ذلـك البزر وكـان يتناول مثـروذيطوس لأجـل الصرع فقام بعض غلمانه وطرح شيئاً كثيراً من الافيون فيـه وناولـه فأكله وكان سبب ذلك خيـانتهم في مال كثيـر من خزانتـه فتمنوا هـلاكه ليـأمنوا عـاقبة أفعـالهم ونقل الشيخ كما هـو إلى اصفهان فـاشتغل بتـدبير نفسـه وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيـام فلم يزل يعـالج نفسـه حتى قـدر على المشي وحضر مجلس عـلاء الدولـة لكنّه مـع ذلـك لا يتحفّظ ويُكثـر التخليط في أمـر المجـامعـة ولم يبـرأ من العلة كـلّ البـرء فكـان ينتكس ويبرأ كلّ وقت .

وظائف التنفس

الغـرض من هذا البحث هـو إبراز مهمـة في تفهم وظـائف التنفس حسبما أوردها ابن سينا في القانون في الطب[1] .

تحتل تحاليل ابن سينا مستوى متقدمـاً بالنسبـة لما جـاء به الأطبـاء الأقدمون وذلـك رغم أنه لم تكن لـديه صوره كاملة عن الـدورة الدمـوية الرئوية كما وضحها من بعده ابن النفيس ثم من بعده الغربيين .

وفضلاً عما عرضه في ميادين التشريح العضوي والحـركات الآليـة لأعضاء التنفس ودور الأعصاب المتدخلة فيها فـإنه قـد اظهر فـطنة بـالغة في شرح الوظيفة التنفسية .

أولاً : في تحليـل التبـادلات التنفسيـة الاساسيـة التي تتحقق في ثلاث عمليات .

١ ـ إدخال عنصر هـوائي جديـد يختلط بالـدم ويتكون منـه «الروح الغريزي» .

---

(١) نقلنـا هذا الاستعـراض عن جريـدة الأنباء الكـويتية من عـددهـا ١٨٧٢ ـ ١٣ / مارس / ١٩٨١ .

٢ ـ تنقية الدم من الفضلات الاحتراقية وهي البخار الدخاني والحرارة المحتقنة .

٣ ـ هديل الحرارة الطبيعية بالترويح .

ثانياً : في ابداء نظرية تُظهر أنّ الاستحالة التي تحدث في كيفية الهواء المستنشق لا سيما بمخالطة البخار الدخاني ، تتحكم في حركات التنفس .

ثالثاً : في تحديد معنى وظيفة الروح «الذي يصعب الدم في الشرايين بمفهوم موفق يقترب مما نصف به اليوم غاز الاكسجين وهو كما يقول «لطيف متحرك صاعد لا يحتاج إلى تنكيس وعائه حتى ينصب» هذه التحاليل التي توصّل إليها ابن سينا تشهد عن التقدم العلمي الكبير الذي أحرزه كلية الأطباء العرب والمسلمون في العصور الوسطى والذي سيتخذه العلماء الغربيون ، قليلاً مما يعترفون بذلك أساساً وقدوة لبعث النهضة العلمية المعاصرة .

إذا كان فسيولوجيا التنفس تظهر لنا اليوم في أتم الوضوح فإنه ليس من السهل أن نتصور تلك المراحل الشاقة التي مر عليها الإنسان في معرفة هذه الظاهرة البيولوجية الأساسية .

وظيفة التنفس كما تبرز في القانون في الطب لابن سينا تمثل مرحلة هامة من حيث تفهم الحركات الآلية والتبادلات الكيمائية التي تجري على مستوى الرئة وعلى مستوى الأعضاء ما بين الجسم والوسط الذي يحيط به . لهذا من المهم أن نلفت أنظارنا لما قاله ابن سينا في هذا الموضوع لنتبين مدى مشاركة الطب الاسلامي العربي في تطور العلوم الانسانية التي لا زالت حتى يومنا هذا ورغم المكتسبات الهائلة التي احرزت عليها تتصدى لمتاهات ولعجائب علوم الأحياء .

أولاً : فسيولوجيا التنفس كما نعرفها اليوم :

لقد جرت العادة في عرض البحوث العلمية بتقديم بعض المعطيات التاريخية التي تهم الموضوع وحيث أن لموضوعنا هذا طابع تاريخي فقد رأينا من المفيد أن نسلك المنهج العاكس بتلميح مختصر لما هو مثبت اليوم في فسيولوجيا التنفس العامة .

١ ـ الجهاز التنفسي والدورة الدموية الرئوية :

نعرف أن القصبة الرئوية تتفرَّع في جرم الرئة إلى أن تنتهي إلى حويصلات حيث تقع التبدلات الكيمائية بين الهواء المستنشق وأوعية الدم الشعرية التي تكسوها . كما نعرف أن الدم الوريدي يأتي من البطين الأيمن عبر الشريان الرئوي وينتشر في الأوعية الشعرية ثم ينفذ لشعب الوريد الرئوي الذي يصب في الأذين الأيسر من القلب .

٢ ـ آلية التنفس :

تشمل الحركات التي من شأنها أن تملأ الرئة بالهواء ثم تفرقها منه في عمليّتي الزفير والشهيق التي تتم بفضل العضلات التنفسية ولا سيما الحجاب ويتدخل فيها الجهاز العصبي كما أنها تخضع لفعل التغيرات الكيمائية في الأوساط التي يقع التبادل بينها .

٣ ـ التبادلات الكيميائية على مستوى الرئة :

تحتوي على عمليتين :

ـ إدخال غاز الاكسجين عبر حاجز الحويصلات نحو الدم .

ـ إخراج غاز الكربون ٢ CO_2 والبخار المائي ٢٠ من الدم إلى الهواء الخارجي .

٤ ـ التبادلات الكيميائية :

على مستوى الأعضاء تقع ما بين جرم الأعضاء والعروق الشعرية

المجاورة لها وتشمل عمليتي نفوذ الاكسجين داخل الانسجة .

ودفع غاز الكربون نحو الدم الوريدي .

٥ ـ التحولات العضوية داخل الأنسجة :

تتمثل في عمليتي التركيب والتحليل وتشترك فيها المواد العضوية والغذائية «سكريات ودهنيات وزلاليات» من جهة والأوكسجين من جهة اخرى .

ينتج عن عمليات التحليل سلسلة من التحولات العضوية مع اطلاق المطات الحرارية وظهور فضلات احتراقية للمواد السكرية وهي غاز الكربون CO_2 والبخار المائي H_2O .

ثانياً : فسيولوجيا التنفس عند ابن سينا :

ان المقارنة بما نعرف اليوم عن وظيفة التنفس وذلك من دون أن تتعمق في تفصيل الكيمياء والفيزيولوجيا الدقيقة ستساعدنا على اعطاء صورة واضحة حسب الامكان عن فسيولوجيا التنفس كما يشرحها ابن سينا .

١ ـ جهاز التنفس والدورة الدموية :

يقول ابن سينا بعد عرضه لتشريح الرئة وأعضاء الصدر المتصلة بها : ينقسم «جسم القصبة» إلى قسمين ثم ينقسم إلى أقسام تجري في الرئة مجاوره لشعب العروق الضاربة والساكنة وينتهي توزيعها إلى فوهات هي أضيق جداً من فوهات ما يشاكلها «ثم يفسر ذلك بقوله» أما شعبها مع العروق السواكن فليأخذ منها الغذاء . وأما ضيق فوهاتها فليكون بقدر ما ينفذ فيها النسيم إلى الشرايين المؤدية إلى القلب .

أما عن الدورة الدموية القلبية الرئوية فيقول : «أول ما ينبت من

التجويف الأيسر شريانات أحدهما يأتي الرئة وينقسم فيها باستنشاق النسيم وايصال الدم الذي يغزو الرئة إلى الرئة من القلب . . وهو ذو طبقة واحدة بخلاف سائر الشرايين ولهذا يسمى الشريان الوريدي . . «ق ك ١ ص ٥٩» ويقول عن الوريد الذي يسمى بالباب «ينقسم إلى قسمين قسم منه يأتي القلب فينفذ فيه عند اذن القلب الأيمن . . وهذا الوريد يخلف عند محاذات القلب عروقاً ثلاث تصير منه إلى الرئة ناشئاً عند منبت الشرايين بقرب الايسر منعطفاً في التجويف الأيمن إلى الرئة وقد خلق ذا غشائين كالشريانات فلهذا يسمى الوريد الشرياني . .» أما دور ـ هذه العروق فيوضحه في قوله : أما تشعب العروق والقصبة في الرئة فإن القصبة والشريان الوريدي يشتركان في تمام فعل النفس .

والشريان الوريدي والوريد الشرياني يشتركان في غذاء الرئة من الدم النضيج الصافي الجائي من القلب «ق ك ٢ ص ٢١٠» أما الدورة ـ الدموية الكبرى فيشير إليها في تشريح العروق الدموية حيث يقول «الشريانات هي أجسام ثابتة من القلب ممتدة مجوفة طولا عصبانية وماطية الجوهر لها حركات منبسطة ومنقبضة وتنفصل بسكونات . خلقت لترويح القلب . ويفي البخار الدخاني عنه ولتوزيع الروح على اعضاء البدن بإذن الله . ثم الأوردة وهي شبيهة بالشريانات ولكنها نابتة من الكبد وساكنة ولتوزع الدم على اعضاء البدن «ق ك ١ ص ٢٠» .

إيراد على ابن سينا

يرينا هذا التصور الغلطات التي ارتكبها ابن سينا اثر الأطباء القدماء ولا سيما جالينوس منها اعتقاده أن الجهاز الدموي يشتمل على دورتين مستقلتين مختصة احداهما بالتغذية والاخرى بنقل الروح وفضلات الروح الاحتراقية ومنها عدم الانتباه إلى اتجاهات مجرى الدم واتصاله من العروق الوريدية إلى العروق الشريانية داخل الأعضاء . ويبقى هذا الاعتقاد سائداً إلى أن يأتي ابن النفيس فيصحح بعض

الأخطاء الأساسية ويضيف في تصوره للدورة الدموية الرئوية فيقول بوضوح : «لا بد أن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني إلى الرئة لينبت في جرمها ويخالط الهواء ويصغي الطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليوصله التجويف الأيسر من تجويفي القلب وقد خالطا الهواء وصلح لان تولد صفة الروح» .

٢ ـ آلية التنفس :

يصف ابن سينا حركات التنفس بدقة ويبين دور العضلات الصدرية ولا سيما الدور الاساسي الذي يقوم به الحجاب «وحركة التنفس المعتدل الطبيعي الخالي من الآفة يتم بحركة الحجاب فإن احتيج إلى زيادة قوة . . شارك الحجاب في هذه المعونة عضل الصدر كلها حتى اعاليها» «ق ك ٢ ص ٢٠٩» كما أن ابن سينا يصف بدقة الأعصاب التي تأتي من الرأس ومن النخاع وتتصرف في حركات التنفس .

وما يلفت انتباهنا هو أن ابن سينا يظهر بوضوح دور التغيرات الكيمائية ، والطبيعية في انطلاق الحركات التنفسية فيقول «والغرض في التنفس أن يملأ الرئة نسيماً بارداً حتى يعد النبضات القلبية فلا يزال يأخذ منه الهواء البارد ويرد إليه البخار الدخاني إلى أن يعرض لذلك المستنشق امران :

أحدهما استحالته عن برده بتسخين ما يجاوره وما يخالطه . واستحالته عن صفاته بمخالطة البخار الدخاني له فحينئذٍ يزول عنه المعنى الذي يصلح لاستعداد النبض منه يحتاج إلى اخراجه والاستبدال منه «ق ك ٢ ص ٢١٣» .

٣ ـ التبادلات التنفسية على مستوى الرئة :

إن من أهم ما يلاحظ في شرح الوظيفة التنفسية عن ابن سينا هو

لا شك ما يختص بالتبادلات الخفية التي تقع بين الطبيعة والبدن لابقاء الحياة . ومهما شق علينا استعمال المصطلحات القديمة فإننا نعترف لابن سينا بصواب تفهمه بصفة اجمالية لحقيقة التنفس ووظيفة البيولوجيا . يقول في التعريف بماهية الهواء المستنشق :

«الهواء عنصر لأبداننا وأرواحنا ومع أنه عنصر أبداننا وأرواحنا فهو مادة تصل إلى أرواحنا ويكون علته اصلاحنا لا كالعنصر فقط ولكن كالفعل أعني المعدل ثم يشرح المؤلف كيفية ودور التبادلات ، وهذا التعديل الذي يصدر عن الهواء في أرواحنا يتعلق بفعلين هما :

الترويح والتنقية :

والترويح هو تعديل مزاج الروح إذا أفرط بالاحتقان . هذا التعديل يفيده الاستنشاق من الرئة ومن منافس النبض المتصلة بالشرايين فإذا وصل إليه صدمه الهواء وخالطه ومنعه عن الاستحالة إلى النارية والاحتقانية المؤدية إلى سوء المزاج .

وأما التنقية هي باستصحابه عند رد النفس ما تسلمه إليه القوة المميزة من البخار الدخاني الذي نسبته إلى الروح نسبة الخلط الفصلي إلى البدن . والتعديل هو بورود الهواء على الروح عند الاستنشاق والتنقية بصدوره عنه عند رد النفس . . » .

٤ ـ التبادلات داخل الاعضاء :

لم يكن من شأن ابن سينا في عصره أن يحدد كيفية تكوين الروح فأكتفى بقوله إن الهواء عنصر مكون للروح ـ ولا أن يحدد مكانة فظن أنه يتكون في القلب ولكنه أعطى للروح معنى يقرب من الحقيقة حيث يقول : «والروح لطيف متحرك صاعد لا يحتاج إلى تنكيس وعائه حتى ينصب» «ق ك ١ ص ٦٠» وهذا التحديد يعني بالضبط أن الروح مادة بخارية تتكون من الهواء وتصحب الدم إلى الأعضاء لتتوزع فيها

فيقول مثلاً في توزيع الدم الشرياني في غشاء الدماغ» وتفرق في جرم الدماغ إلى بطونه وصفاق بطونه ويلاقي فوهات شعبها التي قد صعدت ثم فوهات شعب العروق الوريدية النازلة . . وبما في الروح من الحركة والطاقة كفاية في أن . . ينبث منه في الدماغ ما يحتاج إليه . . «ق ك ١ ص ٦٠» نفهم إذاً أن الروح ينبث في جرم الأعضاء انطلاقاً من أوعية الدم فتصدر عنها الحرارة الطبيعية بينما تتحلل مادتها فيندفع عنها البخار الدخاني .

٥ ـ التحولات العضوية والتحلل الاحتراقي :

نجد عند ابن سينا ملاحظات مهمة حول تحول المادة الغذائية إلى مادة ـ عضوية أصيلة نذكر منها : ـ

التحولات التدريجية للمواد الغذائية منذ هضمها الأول إلى انسجامها مع المادة العضوية فتمر آخر الأمر على اربعة مراحل يقول عنها : ـ

ـ أحدها الرطوبة المحصورة في تجاويف العروق الصغار والمجاورة للأعضاء الأصلية الساقية لها .

والثانية الرطوبة التي هي منبثة في الأعضاء الأصيلة بمنزلة الطل وهي مستعدة لأن تستحيل غذاء إذا افقد البدن الغذاء ولأن تبل الأعضاء إذا جففها بسبب من حركة عنيفة أو غيرها .

ـ والثالثة الرطوبة القريبة العهد بالانعقاد فهي غذاء استحال إلى جوهر الأعضاء من المزاج والتشبيه .

ـ والرابعة الرطوبة المداخلة للأعضاء الاصيلة منذ ابتداء النشوء التي بها اتصال اجزائها ومبدأها النطفة . . . «ق ك ١ ص١٣» .

ـ وهذه التحويلات التركيبية تقابلها عملية تفكيك وانحلال تؤدي

إلى تكوين اخلاط إما حيوية دورها الطبيعي هي الجسم وإما فضلية تدفع إلى الخارج «وفي القانون تفاصيل بذلك في فصل الاخلاط بالكتاب الأول» .

ـ يتسبب الروح داخل الأعضاء في ظهور الحرارة الطبيعية التي هي ظاهرة حياة تعبر عن نوع من «الاحتراق الطبيعي» تنتج عن الطاقة الحرارية وفضلات دخانية ونارية .

فنستنتج إذن :

انَّ النظريات التي يعرضها ابن سينا حول وظيفة التنفّس ودورها كظاهرة حياتية أساسية لجديرة بالتعمق فيها اكثر ممَّا قمنا به ولكن مهما كانت موجهات الاختصار فإنه يمكننا أن نقول إنها تمثل قمة المعرفة في علوم الطب لا في عصر ابن سينا فحسب ولكن بعدة قرون بعد . .

إنها تمثل حقيقة مرحلة متقدمة تربط بين الطب القديم ولا سيما تعاليم جالينوس الذي ذكر عنه ابن سينا في نفس الوقت مكتسبات جليلة وغلطات فظيعة وبين الطب الحديث الذي كثيراً ما بشر به بحذاقة فائقة .

إلا أننا نأسف على قصوره في استخدام المنهج العلمي المنطقي الذي يتميز به في شرح وظيفة التنفس في ارتباطها مع وظيفة الدم ليتخلص تماماً من الغلطات الموروثة عن سابقيه كما يرجع الفضل في ذلك إلى شارحه ابن النفيس ثم من تبع خطاه في اوروبا خلال النهضة العلمية الغربية .

تعريف الصوت :

ذكر الرئيس أبو علي ابن سينا في تعريف الصوت أنه كيفية تحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع ، وأقول : ان ماهية الصوت مدركة بحس السمع وليس في الوجود شيء أظهر من

المحسوس حتى يعرف المحسوس به ، بل هذا الذي ذكره إن كان ولا بد فهو إشارة إلى سبب حدوثه ، لا إلى تعريف ماهيته[1] .

يقال إن النظام المتكلم كان يزعم أن الصوت جسم ، وأبطلوه بوجوه : منها أن الأجسام مشتركة في الجسمية وغير مشتركة في الصوت ، ومنها أن الأجسام مبصرة وملموسة أولاً وثانياً وليس الصوت كذلك ، ومنها أن الجسم باق والصوت ليس كذلك ، وأقول : النظام كان من أذكياء الناس ويبعد أن يكون مذهبه أن الصوت نفس الجسم ، إلا أنه لما ذهب إلى أن سبب حدوث الصوت تموج الهواء ظن الجهال به أنه يقول أنه عين ذلك الهواء .

الالهامات والمنامات

يقول ابن سينا في وجه اختلاف صور الأشياء في بعض الاوقات في عالم المثال ، في الرسالة المسمَّاة بالفيض الالهي : أما الالهامات والمنامات فإنها داخلة تحت تأثير النفساني في النفساني وتكثر هذه الالهامات وتقلّ وتصدق هذه المنامات وتكذب بحسب قوة استعداد النفوس البشرية وضعف استعدادها بموجب صفائها وكدوراتها وخلوصها عن المحسوسات وتدنسها بها ، إمَّا في بدو حدوثها في الأبدان وإمَّا بعد ذلك بمقتضى السير والعادات التي يتفق أن يستر بها ويتعوّدها ، وقد يصدق المنامات تارة بان يرى الامر على ما هو عليه وبصورته من غير حاجة إلى تعبير وتأويل ، وتارة بان يرى محاكياً للشيء وهذا يتفاوت ، فربما كانت بمحاكيات قريبة من الشيء جداً وربما كانت بمحاكيات بعيدة وهذه يحتاج فيها إلى تعبير وتأويل والسبب في هذه الحالة للانبياء ، وأصحاب الكرامات ان القوة المتخيلة جبلت محاكية لكل ما يلقاها من هيئة ادراكية أو هيئة مزاجية سريعة النقل من شيء إلى شبهه أو ضدّه فالأثر الروحاني السانح للنفس في حالتي النوم

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ١ ص ٢٩ .

واليقظة قد يكون ضعيفاً فلا يحرك الخيال والذكر فلا يبقى له أثر ، وقد يكون أقوى من ذلك فيحرك الخيال ، إلا ان الخيال يعين في الانتقال ويحكي عن الصريح فلا يضبط الذكر ، بل إنما يضبط انتقالات المتخيل ومحاكياته ، وقد يكون قوياً جداً فيرسم فيه الصورة ارتساماً قوياً ولا يتشوّش بالانتقالات ، فما كان من الاثر الذي ذكرنا مضبوطاً في الذكر في حالتي النوم واليقظة كان الهاماً أو وحياً صريحاً أو حكماً ، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تعبير ، وما كان قد بطل هو وبقيت محاكياته فإنه يحتاج إليهما ؛ إما الوحي إلى التأويل وإما الرؤيا إلى التعبير ، هذا إذا لم يكن الرؤيا من أضغاث الاحلام التي يكون سببها أمزجة الابدان وغلبة احد الاخلاط وحديث النفس أو غير ذلك مما يخرج الرؤيا عن الحكم بصحتها ، وذكر مثل ذلك في إشاراته .

العشق عند ابن سينا

العشق ومعانيه وأبعاده :

تناول ابن سينا موضوع العشق باختصار في مواضع متعددة من كتبه الفلسفية ، غير أنه رأى أخيراً ان يفرد له رسالة خاصة ، وهكذا فعل إخوان الصفاء فإنهم خصصوا لموضوع العشق في رسائلهم باباً خاصاً . . ومن الواضح ان ابن سينا لم يزد على ما اورده إخوان الصفاء ، ولم يكن هناك أي اختلاف إلا في بعض الفروع وطريقة التعبير والنهج والاسلوب .

فابن سينا حلل العشق إلى عناصره النفسية ، وابان عن خصائصه الماورائية وذلك حسب ما اوحته إليه اعتقاداته الفلسفية من الناحيتين النظرية والعملية .

أجل . . تحدث ابن سينا في رسالة العشق عن حقيقة هذا الموضوع ، وأبان عن صلته بالوجود ، وسريانه في الموجودات ـ حية أم ميتة ـ جواهر أم أعراض ـ عقول أم نفوس ، اجسام طبيعية أم فلكية ،

فاعطى واثبت عن فكر دقيق وفكر عميق وحجة دامغة .

من الواضح : ان ابن سينا قسم رسالة العشق إلى سبعة فصول :

ففي الفصل الأول ذكر كيفية سريان قوة العشق في كل واحد من الموجودات ، وفي الثاني وجود العشق في الجواهر البسيطة غير الحية ، وفي الثالث وجود العشق في النفوس النباتية ، وفي الرابع وجود العشق في النفوس الحيوانية ، وفي الخامس عشق الظرفاء والفتيان للأوجه الحسان ، وفي السادس عشق النفوس الإلهية ، وفي السابع وهو الختام والتعقيب على الفصول الستة المتقدمة . . وقد أودع ابن سينا في رسائله اروع الأفكار وأقوم الأقوال .

إننا اذا ما جمعنا فصول الرسالة المذكورة إلى بعضها البعض ، وتوغلنا في قراءتها واستخلاص ما ورد فيها خرجنا بنظريات ونتائج عن العشق لها طرافتها وقيمتها الفلسفية .

ففي الرسالة يبين لنا ابن سينا صلة العشق بالوجود من ناحية ، وسريان العشق في كل الموجودات من ناحية اخرى .

وفي الصلة بين العشق والوجود يقرر :

بأن وجود الموجودات إنما إما ان يكون بسبب عشق فيها ، وإما ان يكون وجودها والعشق هو هو بعينه . . والمعنى ان الموجودات لا تخلو عن العشق ، فكل موجود إنما ينزع بطبعه إلى الكمال الذي هو خير ، وينفر عن النقص الذي هو شر ، وإذا كان الخير من مستلزمات الوجود ، والشر من متعلقات العدم فقد ترتب على ذلك : بان لكل موجود شوقاً طبيعياً وعشقاً غريزياً ، ولزم ضرورة ان يكون العشق سبباً لوجود هذا أو ذاك ، ويتبين ـ هذا في وضوح وجلاء إذا عرفنا ان العدم المطلق إنما هو في الحقيقة الانتهاء إلى اقصى نهايات النقص . وإذا كانت الموجودات الحقيقية إما موجودات مستعدة لنهاية الكمال ـ أو

موجودات موصوفة بالتردد بين نقص عارض ، وكمال موجود بالطبع ، لم تخل جملة الموجودات من ملابسة كمال ما ، وكانت ملابستها لهذا الكمال آتية من عشقها الطبيعي ونزوعها الغريزي إلى الذات الإلهية التي تفيض من كمالاتها وخيراتها على الموجودات التي أودع اللّه فيها العشق تستحفظ به ما نالت من فيض الكمالات الكلية من ناحية ، وتنزع به إلى ايجاد هذه الكمالات عند فقدانها من ناحية اخرى .

ويصور ابن سينا علاقة العشق بالوجود في صورة اخرى لعلها اوضح وابلغ في الدلالة على ما يرمي إلى اثباته من ان وجود الكائنات إنما يرجع إلى عشقها الغريزي ونزوعها الطبيعي . . ويتحدث عن الخير فيرى انه معشوق بذاته .

وعندما ننتقل من ابن سينا من عشق الخير . . نراه يذكر ان الموجود المقدس هو الغاية في المعشوقية لانه هو الغاية . والمعنى ان الذات الإلهية المقدسة عاشقة لذاتها ومعشوقة من ذاتها ، فالخير يعشق الخير ، والذات الإلهية هي الخير الأول والخير المطلق والخير المحض ، وهذا هو أكمل عشق .

ومن ناحية اخرى يبين ابن سينا اتصال العشق والوجود ، أو ترتب الوجود على العشق وعن كيفية سريان العشق في الموجودات . . فنحن نلاحظ معه ان البسائط غير الحية من الهيولى إلى الصورة إلى الأعراض ، والنفوس على اختلاف أنواعها من نباتية وحيوانية وبشرية وملكية . . كل اولئك قد سرى فيه العشق ، وفعل فعله فيه .

فالهيولى عاشقة للصورة ، بدليل إنها متى فقدت صورة ، فلا تلبث ان تستبدل بها صورة اخرى ، وذلك اشفاقاً من ملازمة العدم ، واقبالاً على الاستمتاع بالوجود .

وفي النفوس النباتية عشق في قواها . . فالنفس النباتية تشتاق إلى

حضور الغذاء عند الحاجة ، وهكذا حال النفوس الأخرى .

والنفوس الحيوانية لها عشق غريزي . . فالانسان بما له من نفس حيوانية لها قوة غضبية ، وقوة شهوانية ، وبما له من نفس ناطقة لها قوة العقل .

ففي عشقه للصور ، إما ان يعشقها لاجل لذة حيوانية ، وهذا مذموم ، وإما أن يعشقها باعتبار عقلي ، وهذا من شأنه ان يسمو بنفسه ويزيد من خيريته لأنه هنا يقرب من المعشوق الأول الذي هو اشرف المعشوقات .

ويذكر ابن سينا :

بأن هناك نوعاً من النفوس هي ارقى من النفوس الحيوانية ، واسمى من النفوس الناطقة ، وعشقها اروع وأمتع ، وهذه النفوس هي المتألهة ـ بشرية كانت أم ملكية ـ فهي التي تفوز بمعرفة الخير المطلق ، وتكون نزاعة إلى القرب منه ، والاتصال به لانه الخير الأسمى والكمال الأسنى ، والجمال الأبهى .

ويقول ابن سينا :

إن الموجودات كلها من ابسطها إلى أكثرها تركيباً ، ومن اعلاها إلى أدناها . . . إنما تدين في وجودها ، وفيما يسري فيها من حياة ، وما يصدر عنها من حركات للعشق الذي هو من اخص خصائص الذات الإلهية من ناحية ، ومن اقوى الفطر الغريزية التي طبع الله عليه الكائنات وجعلها به مستعدة لقبول تجليه من ناحية اخرى .

فعلى قدر عشق الله للكائن ، وفيضه عليه من تجلي ذاته ، وعشق الكائن للمعشوق الأول ، وهو الذات الإلهية ، وشوقه إليه وجوده في التشبيه به واستعداده لقبول تجليه وفيض خيره وكماله وجماله ، على قدر هذا كله يكون حظ الكائن من الوجود ، ونصيبه من الخير

والكمال والجمال .

والمعنى ان الموجودات إنما توجد وتنشط وتتحرك وتفعل لأنها عاشقة للمعشوق الأول ومعشوق من المعشوق الأول ، لا سيما ما كان منها نفوساً ملكية كاملة بالفعل أو نفوساً بشرية مستعدة للكمال ، فهي قد تحققت بالوجود والصفاء والنقاء لأنها تحققت بالكمال والخيرية ، وتحققت بالكمال والخيرية لأنها عاشقة للخير الأول المطلق ومعشوقة منه وجادة في التشبه به .

فالعقل الكلي هو أول ما يقبل تجلي الخير المطلق ، والعقل الفعال يقبل التجلي بادراكه لذاته ولسائر المعقولات فيه ، والنفوس الإلهية الملكية تتحرك وتفعل تشبهاً بالخير المطلق ، والنفوس الإلهية البشرية تنال التجلي بتوسط العقل الفعال واعانته لها على الاخراج من القوة إلى الفعل ، والنفوس البشرية تصدر في انظارها العقلية وافعالها العملية عن تشبهها بالخير المطلق ، وذلك على قدر طاقتها ، وفي غاياتها ، وهي ان تكون عاقلة عادلة ، والنفوس الحيوانية والنباتية يفعل كل منها افاعيله الخاصة به تشبهاً بالخير المطلق في غاياته ، كإبقاء نوع أو شخص أو اظهار قوة .

والاجرام الطبيعية تتحرك حركاتها تشبهاً بالخير المحض في غاياتها ، وهي البقاء على اخص الأحوال عند حصولها في المواضيع الطبيعية ، فكل اولئك موجودات من طبعها ان تنال التجلي الإلهي ، فيتحقق لها الوجود وتتحقق هي في هذا الوجود بالخير والكمال والجمال بحيث تصبح فيما تستمتع به من هذا كله آيات تشبه كثيراً أو قليلاً ذلك الخير الأسمى .

أما إخوان الصفاء فيقولون :

بأن النفوس نزاعة إلى العشق ، ولكنها مقسمة إلى نفوس عدة لكل منها خصائصها ـ وعشقها .

وبعد ان يفصلوا لنا ويعددوا هذه النفوس ينتقلون إلى النفس الحيوانية ، وعشقها الغير محمود فيشبهونها بمن يعشق السودان وقباح المنظر . . وهذا مذموم ومهتوك بين الناس ، ومثلهم مثل من يميل إلى الاعتقادات الرديئة والمذاهب المخالفة ، لقول الحق ومذهب أهل الصدق ، وهي التي يكون فيها الشرك بالله والالحاد .

وان حقيقة العشق الفاضل . . فهو الشوق إلى القرب من العلة الأولى ، أو هي نزوع النفس وتشوقها إلى الاتحاد بالحدود العلوية . والغرض من بيانه هو ان السابق المشوق إليه ، وان كل حد يعشق ما فيه ، وفوق الجميع الباري جل ثناؤه ، وان الخلائق وجملة العالم مشتاقة إليه مريدة ، متحركة نحو الكمال باستتمام الصورية ، وعاشقة إلى مصورها الذي هو فوق الصور والكمال والتمام وهو المصور له الأسماء الحسنى .

وجاء في الرسالة السابعة والثلاثين من رسائل إخوان الصفاء :

واعلم يا أخي ان من الحكماء من قد ذكر العشق وذمه ، وذكر مساوىء أهله وقبح اسبابه ، وزعم انه رذيلة . . . ومنهم من قال ان العشق فضيلة نفسانية ومدحه ، وذكر محاسن أهله ، وزين اسبابه . . ومنهم من لم يقف على اسراره وعلله وأسبابه بحقائقها ودقة معانيها ، فزعم انه مرض نفساني ، ومنهم من قال : انه جنون الهي ، ومنهم من زعم انه همة نفس فارغة ، ومنهم انه فعل البطالين الفارغي الهمم الذين لا شغل لهم .

واعلم يا أخي .

إن النفوس المتجسدة لما كانت ثلاثة أنواع ، كما قالت الحكماء والفلاسفة . . صارت معشوقاتها ثلاثة أنواع ، فمنها :

النفس النباتية الشهوانية ، وعشقها يكون نحو المأكولات

والمشروبات والمناكح . . ومنها النفس الغضبية الحيوانية ، وعشقها يكون نحو القهر والغلبة وحب الرياسة . ومنها النفس الناطقة وعشقها يكون نحو المعارف واكتساب الفضائل .

واعلم يا أخي أن الحكمة الإلهية ، والعناية الربانية قد ربطت أطراف الموجودات بعضها ببعض رباطاً واحداً ونظمتها نظاماً واحداً ، وذلك ان الموجودات لما كان بعضها عللاً وبعضها معلولات ، ومنها أوائل ، ومنها ثوان جعلت في جبلة المعلولات نزوعاً نحو علاتها واشتياقاً إليها ، وجعلت أيضاً في جبلة علاتها رأفة ورحمة وتحننا على معلولاتها كما يوجد ذلك في الآباء والأمهات على الأولاد ، ومن الكبار على الصغار ، والأقوياء على الضعفاء لشدة حاجة الضعفاء إلى معاونة الأقوياء والصغار إلى الكبار .

وجاء أيضاً :

وأعلم يا أخي ان محبوبات النفوس ومعشوقاتها مفننة ، وهي بحسب مراتبها في العلوم ودرجاتها في المعارف ، وذلك ان النفس الشهوانية لا يليق بها محبة الرياسة والقهر والغلبة ، ولا النفس الحيوانية يليق بها محبة العلوم والمعارف واكتساب الفضائل ، ولا النفس الملكية يليق بها محبة الأجساد والكون مع الأجسام اللحمية والدموية ، بل الذي يليق بها محبة فراق الأجساد والارتقاء إلى ملكوت السماء ، والسيحان في سعة فضاء الأفلاك ، والتنسم من ذلك الروح والريحان .

ومن أجل ذلك : انك لا تجد ولا ترى نفساً تحب وتعشق وتشتاق إلا لأبناء جنسها وما شاكلها من المحبوبات والمعشوقات . . مثال ذلك انفس الصبيان والناقصين من الناس ، فإنهم لا يحبون ولا يعشقون إلا اللعب والتماثيل المصورة والمزينة المشاكلة لمرتبة نفوسهم ، فإذا عقلوا وتعلموا وارتاضوا ارتفعت هممهم وشغلت نفوسهم بغيرها مما هو أشد

تحقيقاً مما كانوا فيه وهو صورة الأشكال والمحاسن .

فاذا ارتاضت نفوسهم في العلوم الإلهية والمعارف الربانية ارتفعت نفوسهم إلى ما هي اشرف وأفضل ، وهي الصورة للنفوس ذوات الحسن والبهاء والكمال والجمال التي تراها النفوس الناطقة الناجية في عالم الأرواح .

ثم اعلم يا أخي . . انه مقسور في طباع الموجودات ، وجبلة النفوس محبة البقاء والدوام السرمدي اعلى اتم الحالات ، وأكمل الغايات ، وأتم حالات النفس الشهوانية بأن تكون موجودة ابداً تتناول شهواتها وتتمتع بلذاتها التي هي مادة وجود اشخاصها من غير عائق .

وهكذا من اتم حالات النفس الحيوانية ان تكون موجودة ابداً رئيسة على غيرها قاهرة عن سواها منتقمة ممن يؤذيها من غير عائق أيضاً .

وهكذا اتم حالات النفس الناطقة ان تكون موجودة أبداً ومدركة لحقائق الأشياء متصورة لها ملتذة بها مسرورة فرحانة بلا عائق .

وإنما صارت النفوس الناطقة تلتذ بالعلوم والمعارف ، لأن صور المعلومات في ذاتها هي المتممة لها المكملة لفضائلها المبلغة لها إلى اتم غاياتها وأفضل نهاياتها .

ثم اعلم :

إن هذه الأحوال لا تليق بالنفس الشهوانية ، ولا بالنفس الغضبية ، ولكن تليق بالنفس الناطقة اذا هي انتبهت من نوم الغفلة ، واستيقظت من رقدة الجهالة ، وانفتحت لها عين البصيرة وعاينت عالمها وعرفت مبدأها ومعادها ، واشتاق عند ذلك إلى باريها وتاقت وحنت إليه كما يحن العاشق إلى معشوقه .

ومنها :

ثم اعلم يا أخي :

إن في الناس خواص وعوام ، فالعوام من الناس هم الذين إذا رأوا مصنوعاً حسناً أو شخصاً مزيناً تشوقت نفوسهم إلى النظر إليه والقرب منه والتأمل به . وأما الخواص فهم الحكماء الذين إذا رأوا صنعة محكمة ، أو شخصاً مزيناً ، تشوقت نفوسهم إلى صانعها الحكيم ومبدئها العليم ومصورها الحكيم وتعلقت به ، وارتاحت إليه ، واجتهدوا في التشبه به في صنائعهم والاقتداء به في افعالهم قولاً وفعلاً علماً وعملاً .

واعلم : إن نفوس الحكماء تجتهد في افعالها ومعارفها واخلاقها في التشبه بالنفس الكلية الفلكية وتتمنى اللحوق به ، والنفس الكلية أيضاً كذلك فإنها تتشبه بالباري في إدارة الافلاك وتحريكها للكواكب وتكوينها الكائنات . . كل ذلك طاعة لباريها وتعبداً له واشتياقاً إليه .

ثم اعلم . . . إن تلك المحاسن والفضائل والخيرات إنما هي من فيض الله واشراق نوره على العقل الكلي ، ومن العقل الكلي على النفس الكلية ، ومن النفس الكلية على الهيولى ، وهي الصورة التي ترى الأنفس الجزئية في عالم الأجسام ـ على ظواهر الأشخاص والأجرام التي من محيط الفلك إلى منتهى مركز الأرض .

واعلم :

إن كل محب لشيء من الأشياء مشتاق إليه وهائم به ، وإنه متى وصل إليه ونال ما يهواه منه وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه فإنه ولا بد يوماً من ان يفارقه أو يمله أو يتغير عليه وتذهب عنه تلك الحلاوة وتتلاشى تلك البشاشة ، ويخمد لهب ذلك ، الاشتياق والهيجان . . إلا المحبين لله تعالى من المؤمنين والمشتاقين إليه من عباده الصالحين فإن لهم كل يوم من محبوبهم قربة ومزيداً ابد الآبدين بلا نهاية ولا غاية .

وأخيراً :

فقد تبين بما ذكرناه .. أن اللّه هو المعشوق الأول ، وإن كل الموجودات إليه تشتاق ، ونحوه تقصد ، وإليه يرجع الأمر كله ، لأن به وجودها وقوامها وبقاءها ودوامها وكمالها .. لأنه هو الموجود المحض وله البقاء والدوام السرمد والتمام والكمال المؤيد .

تعالى اللّه عما يقول الظالمون والجاهلون علواً كبيراً .

الحب والعشق

لابن سينا رسالة في العشق أشار فيها إلى معنى لطيف وجميل أحببنا إيراده وقبل الاشارة إلى ذلك ، لابأس أن نقف على بعض ما أورده بعضهم حول الحب ومراتبه قال صاحب الريحان والريعان : الحب أوّله الهوى ، ثم العلاقة ، ثم الكلف ، ثم الوجد ، ثم العشق ، والعشق إسم لما فضل عن المقدار الذي هو الحبّ ، ثم الشغف وهو إحراق القلب بالحب مع لذّة يجدها ، وكذلك اللّوعة واللاّعج والغرامُ ثم الجوى ، وهو الهوى الباطن ، والتتيُّم ، والتبل ، والهيام ، وهو شبه الجنون ، والعشق عند الأطباء من جملة أنواع الماليخوليا .

قال الجنيد : العشق أُلفة رحمانية ، وإلهام شوقيّ ، أوجبهما اللّه تعالى على كلّ ذي روح ليحصّل به اللّذة العظمى التي لا يقدر على منالها إلا بتلك الألفة ، وهي موجودة في النفس ، مقدّرة مراتبها عند أربابها . فما أحد إلا عاشق لأمر يستدلّ به على قدر طبقته من الخلق ، ولذلك كان أشرف المراتب في الدّنيا مراتب الّذين زهدوا فيها ، مع كونها معانيّة ، ومالوا إلى الآخرة مع كونها مخبراً لهم عنها بصورة فقط[٢] .

---

(١) الكشكول للبهائي ١/٤٠٣ .

(٢) المصدر السابق ١/٤١٨ .

وأمّا ما أشار إليه الشيخ الرئيس في رسالة العشق : إنّ العشق سار في المجرّدات، والفلكيات ، والعنصريّات ، والمعنيّات ، والنّبات ، والحيوانات ، حتى إنّ أرباب الرياضي قالوا : الأعداد المتحابّة ، واستدركوا ذلك على إقليدس ، وقالوا : فاته ذلك ولم يذكره ، وهي المائتان والعشرون ، عدد زائد ، أجزاؤه أكثر منه ، وإذا جُمعت كانت أربعة وثمانين ومائتين بغير زيادة ولا نقصان . والمائتان والأربعة والثّمانون ، عدد ناقص ، أجزاؤه أقل منه ، وإن جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين ، فلكل من العددين المتحابّين أجزاء مثل الآخر ، فالمائتان والعشرون لهما نصف [١١٠] ، وربع [٥٥] ، وخمس [٤٤] ، وعشر [٢٢] ، ونصف [١١] عشر ، وجزء [٢٠] من أحد عشر ، وجزء [١٠] من اثنين وعشرين ، وجزء [٥] من أربعة وأربعين ، وجزء [٤] من خمسة وخمسين ، وجزء [٢] من مائة وعشرة ، وجزء [١] من مائتين وعشرين ، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصّحيحة مائتان وأربعة وثمانون .

والمائتان والأربعة والثّمانون ليس إلّا نصف [١٤٢] ، وربع [٧١] ، وجزء [٤] من أحد وسبعين ، وجزء [٢] من مائة واثنين وأربعين ، وجزء [١] من مائتين وأربعة وثمانين ، فذلك مائتان وعشرون . فقد ظهر بهذا المثال تحابّ العددين .

وأصحاب العدد يزعمون أنّ لذلك خاصّية عجيبة في المحبّة مجرّب . انتهى[١] .

ابن أبي الخير يسترشده :

وفي بعض مصنّفات مولانا احمد النّراقي «ره»، انّه قد كان بين هذا الشّيخ وبين الشّيخ أبي سعيد ابن أبي الخير الزّاهد المتصوّف المشهور مكاتبات ومراسلات تكلّم كلّ منهما فيما كتبه على مشربه

(١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٤١٦ و٤١٧ .

ومذاقه ، ولم تخل من لطف واليك نصّ ما كتبه إليه :

أيها العالم وفّقك اللّه لما ينبغي ، ورزقك من سعادة الأبد ما تبتغي ، إنّي من الطريق المستقيم على يقين ، إلا أنّ أودية الظنّون على الطريق المستجد متشعّبة ، وإنّي من كل لطالبُ طريقه . ولعلّ اللّه يفتح لي من باب حقيقة حاله بوسيلة تحقيقه ، وصدق تصديقه وإنك بالعلم وفقت لموسوم ، وبمذاكرة أهل هذا الطريق مرسوم . فأسمعني ممّا رزقت وبين لي ما عليه وقفت ، وإليه وفقت وأعلم أنّ التذبذب بداية حال الترهّب ومن ترهّب تراب . وهذا سهل جداً ، وعسرٌ ان عدّعدا . واللّه وليّ التوفيق .

فأجابه الشّيخ الرّئيس : وصل خطاب فلان مبينا صنع اللّه تعالى لديه ، وسبوغ نعمه عليه والاستمساك بعروته الوثقى والاعتصام بحبله المتين . والضّرب في سبيله والتّولية شطر التّقرب إليه والتوجّه تلقاء وجهه ، نافضاً عن نفسه غبرة هذه الخربة ، رافضاً بهمّته الإهتمام بهذه القذرة أعزوارد ، وأيسر واصل ، وأنفس طالع ، وأكرم طارق . فقرأته وفهمته وتدبّرته وكرّرته وحقّقته في نفسي ، وقدرّته فبدأت بشكر اللّه واهب العقل ، ومفيض العدل ، وحمدته على ما أولاه ، وسألته أن يوفّقه في أُخراه وأولاه ، وأن يثبّت قدمه على ما توطاه ، ولا يلقيه إلى ما تخطاه ، ويزيد إلى هدايته هداية ، وإلى رايته التي أتاه دراية . إنّه الهادي الميسّر ، والمدبّر المقدّر ، عنه يتشعّب كلّ أثر ، وإليه تستند الحوادث والغير وكذلك يقضي الملكوت ويقتضي الجبروت . وهو من سرّ اللّه الأعظم يعلمه من يُعلّمه ، ويذهل عنه من لا يعصمه طوبى لمن قاده القدر إلى زمرة السّعداء ، وحادبه عن رتبة الأشقياء . وأوزعه استرباح البقاء من رأس مال الفناء . وما نزهة هذا العاقل في دار يتشابه فيها عقبى مدرك ومفوّت ، ويتساويان عند حلول وقت مؤقّت دار أليمها موجع ، ولذيذها مستبشع . وصحّتها قسر الأضداد على وزن وأعداد ،

وسلامتها استمرار فاقة ، إلى استمرار مذاقة . ودوام حاجة إلى فج فجاجة ، نعم والله ما المشغول بها إلا مثبط ، والمتصرف فيها إلا مخبط . موزع البال بين أمل وياس ، ونقود وأجناس . أخيذ حركات شتّى ، وعسيف أو طار تترى . وأين هو عن المهاجرة إلى التّوحيد . واعتماد النّظام بالتّفريد . والخلوص من التشعّب إلى التراب ، وعن التّذبذب إلى التهذّب . وعن باد يمارسه ، إلى أبد يشارفه هنالك اللّذة حقّاً ، والحسن صدقاً . سلسال كلّما سقيته على الري كان أهنى وأشفى ، ورزق كلّما أطعمته على الشّبع كان أغذى وأمرى . ريّ استبقاء لاري إباء ، وشبع استشباع لاشبع استبشاع . ونسأل الله تعالى أن يجلو عن أبصارنا الغشاوة ، وعن قلوبنا القساوة ، وأن يهدينا كما هداه ويؤتينا مما أتاه . وأن يحجز بيننا وبين هذه الغارة الغاشّة . البسور في هيئة الباشّة المعاسرة في حلية المياسرة ، المقاصلة في معرض المواصلة . وأن يجعله إمامنا . فيما آثر وأثار وقائدنا إلى ما صار إليه و سار إنّه وليّ ذلك .

فأمّا ما التمسه من تذكرة ترد مني ، وتبصرة تأتيه من قبلي . وبيان يشفيه من كلامي . فكبصير استرشد من مكفوف ، وسميع استخبر من موقور السّمع غير خبير . فهل لمثلي أن يخاطبه بموعظة حسنة ، ومثل صالح ، وصواب مرشد ، وطريق أسنه له منقذ ، وإلى غرضه الذي أمه منفذ ، ومع ذلك فليكن الله تعالى أوّل فكره وآخره ، وباطن اعتباره وظاهره ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه وقدمها موقوفة على المثول بين يديه . مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى ، وما فيه من آيات ربّه الكبرى . فإذا انحطّ إلى قراره فلير الله تعالى في آثاره .

فإنه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء .

ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فإذا صارت هذه الحال ملكته ، وهذه الخصلة وتيرته ، انطبع في فصّه نقش الملكوت ، وتجلّت لمرآته قدسُ اللاّهوت . فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللّذة القصوى . وأخذ عن نفسه لمن هو به أولى . وفاضت عليه السكينة ، وحفّت به الطّمأنينة . وأطلّع على العالم الأدنى إطلاع راحم لأهله ، مستوهن لحبله مستخف لثقله .

وليعلم أن أفضل الحركات الصّلاة وأفضل السكنات الصّوم وأفضل البرّ العطاء ، وازكى السّير الإحتمال وأبطل السّعي المراثاة ، وخير العمل ما صدر عن خالص النيّة وخير النيّة ما خرج عن حباب علمه ، والحكمة أم الفضائل ، ومعرفة اللّه الأوائل ، إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصّالح يرفعه ، أقول هذا واستغفر اللّه وأتوب إليه واستكفيه وأسأله أن يقرّبني إليه إنه سميع مجيب، والحمد للّه ربّ العالمين والصلوة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله أجمعين[1] .

ويلتقي ابن أبي الخير...

ونقلاً عن تاريخ حمد اللّه المستوفي : أنّ الرّجلين تلاقيا في موضع فلمّا افترقا سئل كلّ منهما عن صاحبه ، فقال الشّيخ ابو سعيد ما أنا أراه ، هو يعلم ، وقال الشّيخ أبو علي ما أعلمه هو يراه قلت : وفيما ذكراه إشارة إلى درجات علم اليقين وعين اليقين وحقّ اليقين ، وبعبارة اخرى يقين الخبر ويقين الدلالة ويقين المشاهدة، وبتقرير ثالث مكاشفة في الاخبار ومكاشفة باظهار القدرة ومكاشفة القلوب بحقائق الايمان ، وكلّ من الألفاظ الثلاثة بمعنى نفس اليقين ، إلا ان علم اليقين على موجب اصطلاحهم ما كان بشرط البرهان ، وعين اليقين ما كان بحكم البيان ، وحق اليقين ما كان بنعت العيان ، ومثّل لذلك بمن علم ماهيّة النّار مثلاً بالتّعريف وبمن رآها بالعين ، وبمن تأثّر بها نفسه فلعلم اليقين لارباب العقول وعين اليقين لأصحاب العلوم ، وحقّ

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي ج ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٥ .

اليقين لأصحاب المعارف ، وللكلام في الافصاح عن هذا مجال وتحقيقه يعود إلى ما ذكرناه فاقتصرنا على هذا القدر على جهة التّنبيه .

لا فائدة من ندم بعد الأوان :

وجدت في بعض الكتب أنه كان يوجد ملك في حلب ، وكانت هذه المدينة قد خُرِّبت بعدد عظيم من الفئران التي ما انفكَّ الأهلون يتضررون منها ، ومما حدث يوماً أن كان الملك يُكلم ابن سينا ، وأن الحديث دار حوْل الفئران ، فسأل الملك هذا الطبيب عن وجود وسيلة لإبادتها ، فأجاب الطبيب بقوله : «أستطيع أن أصنع ما لا يبقى معه أية فأرةٍ في المدينة وألّا تضحك مما ترى» ، فَرَضِي الملك بذلك مسروراً ، وشدَّ السَّرْجَ على فرسه ، وذهب إلى الباب وانتظر ، وذهب ابن سينا من ناحيته إلى الطريق المؤدية إلى الباب، وأخذ يقرأ إحدى الرُّقى ، فجاءت فأرة ، فأمسكها ابن سينا وقتلها ووضعها في تابوت ، ودعا أربعة فئران لحمله ، ويداوم على ؟رقَاهُ ،وتأخذ الفئران في المشي وهي تخبط أرْجلها ، وتَحْضُر فئران المدينة كلُّها لحضور الجنازة ، وتتقدم مصفوفة إلى الباب حيث كان الملك ، ويَسْبِقُ بعضُها الجنَازة ويسير بعضُها الآخر خلفها ، ويَنْظُر الملك ، ولكنه لم يتمالك أن قَهْقَه عندما رأى الفئران الحملة للتابوت ، وتموت جميعُ الفئران التي جاوزت الباب حالاً ، وأما التي لم تَزَل داخل المدينة فقد انفصل بعضها عن بعض وفَرَّت ، فقال ابن سينا : «أيها الملك ، لو أمسكت عن الضَّحك بضع دقائق أخرى ما بقي في المدينة واحدة منها ، ولكُشِفَ الهمُّ عن جميع الناس» ، فنَدِمَ الملكُ ، ولكن ما الحيلة ؟ لا فائدة من نَدَم بعد الأوان .

دفع اتهام :

ذكر السيد الأمين في كتابه أعيان الشيعة نقلاً عن كشف الظنون عن حاشية المطالع لمولانا لطفي ان المأمون جمع مترجمي مملكته

فترجموا له كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية بتراجم متخالفة غير محرّرة فبقيت كذلك إلى زمن الفارابي فالتمس منه ملك زمانه منصور بن نوح السّاماني أن يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محرّرة مهذّبة ففعل وسمّي كتابه التعليم الثاني فلذلك لقّب بالمعلم الثاني وكان هذا في خزانة المنصور إلى زمان السلطان مسعود من أحفاد منصور مسوداً بخط الفارابي غير مخرج إلى البياض كانت تلك الخزانة بإصفهان وسمي صوان الحكمة وكان الشيخ أبو علي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرّب إليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم إليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيما بينها التعليم الثاني ولخص منه كتاب الشّفا، ثم احترقت الخزانة فاتهم أبو علي بأنه حرقها لألاّ يطّلع الناس على أنّه أخذ منها قال وهو بهتان وإفك لأن الشيخ مقرّ بأنه أخذ الحكمة من تلك الخزانة كما صرّح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم من كثير من مواضع الشّفا إنه تلخيص التعليم الثاني . وأيضاً أعرف الناس بقدر الكتب هم العلماء .

لا يعرف الوجد إلاّ من يكابده ولا الصّبابة إلاّ من يعانيها

فكيف تطاوعهم أنفسهم على إحراقها مع ان ابن سينا بمكانته في العلم لم يكن عاجزاً عن عمل مثلها ثم ان الظاهر وقوع خلل فيما ذكر في كشف الظّنون فقد مر أن ذلك كان في زمن نوح بن منصور وهو يقول انه كان في زمن مسعود من أحفاد منصور ويقول إنّ مسعوداً استوزر ابن سينا والحال أنّه تقلد بخارى شيئاً من عمل السلطان ولعلّه الوزارة ويقول ان تلك الخزانة كانت باصفهان مع أنّها كانت ببخارى كما يدل عليه آخر كلامه أيضاً[1] .

عنايته بالشعر :

كان ابن سينا شاعراً بالعربية والفارسيّة ، وكان يولي عناية خاصّة

---

(١) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ٢٦ ص ٣٠٥ إلى ٣٠٦ .

بالشعر وعنه : أنّ ممّا كلّفني استاذي في الأدب حفظ ديوان إبن الرومي فحفظته مع عدّة كتب في ستّة أيّام ونصف يوماً . ويروي بعض شعره أبو الحسين عليٌّ بن جعفر الحمداني ، وإسماعيل بن عليّ الخزاعيّ ، وأبو الحسن جحظة الذي مدحه إبن الرّومي بقصيدة توجد في ديوانه ١٦٨ .

تجدّد ذكره والثّناء عليه في فهرست إبن النّديم ٢٣٥ ، تاريخ بغداد ١٢ ص ٢٣ ، معجم الشعراء ٢٨٩ ، ٤٥٣ ، أمالي الشريف المرتضى ٢ ص ١٠١ ، مروج الذّهب ٢ ص ٤٩٥ ، العمدة لإبن رشيق ١ ص ٥٦ ، ٦١ ، ٩١ ، معالم العلماء لإبن شهر اشوب ، وفيات الأعيان ١ ص ٣٨٥ ، مرآة الجنان لليافعي ٢ ص ١٩٨ ، شذرات الذّهب ٢ ص ١٨٨ ، معاهد التّنصيص ١ ص ٣٨ ، كشف الظّنون ١ ص ٤٩٨ ، روضات الجنّات ٤٧٣ ، نسمة السّحر فيمن تشيّع وشعر ، دائرة المعارف للبستاني ١ ص ٤٩٤ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ ص ١٨١ ، الأعلام للزركلي ٢ ص ٦٧٥ ، الشيعة وفنون الإسلام ١٠٥ ، مجلّة الهدى العراقية الجزء السّادس ص ٢٢٣ ، ٢٢٧[١] هـ .

أبو عبد الله المعصوم وابن سينا :

أبو عبد اللّه المعصومي كان أفضل تلامذة الشيخ الرئيس . [قال الشهرزوري][٢] : ـ ومن شعره :

حديث ذوي الألباب أهوي وأشتهي ... كما يشتهي الماء المبرّد شاربُه
[وأفرحُ أنْ ألقاهُم في نديّهمْ ... كما يفرحُ المرء الذي آب غائبُهْ][٣]

(١) الغدير للأميني ج ٣ ص ٣٠ .
(٢) الزيادة من المخطوطة .
(٣) الكشكول للشيخ البهائي ج ١ ص ١٣٤ .

وله وقد رأى النبي ﷺ في المنام :

ولـيلة كـان بـهـا طـالـعـي — في ذروة السعـد وأوج الكـمـال
نُصيِّر طيب الوصل من عمرها — فلم تكن إلا كـحـلّ العـقـال
واتصـل الفجـر بهـا بـالعِشـا — وهكـذا عمر ليـالي الـوصـال
إذا أخـذت عينـاي في نـومهـا — وانتبـه الطـالـع بعـد الـوبـال
فـزرتـه في الليـل مستـعطفـاً — أفـديـه بـالنفس وأهـل ومـال
واشتكي مـا أنـا فيـه من البلوى — ومـا ألـقـاه مـن سـوء حـال
فـأظـهـر العـطف على عبـده — بـمنـطق يـزري بـعقـد الـلآل
فـيـا لـهـا من لـيـلة نـلت فـي — ظـلامهـا مـا لم يكن في خيـال
أمست خفيفـات مطايـا الرجـا — بهـا وأضحت بـالعـطايـا ثقـال
سـقيـتُ في ظـلمـائهـا خـمـرةً — صـافيـةً صـرفـاً طهـوراً حـلال
وابتهـج القلب بـأهـل الحمى — وقـرَّت العـين بـذاك الجـمـال
ونـلت مـا نـلت عـلى أنـنـي — مـا كنت أستـوجب ذاك النوال[1]

عينيته الشهيرة :

من شعـره القصيـدة العينيـة المشهـورة في تعلُّق النفس بـالبدن واستئناسه به ومفارقته إيَّاه ، وأوَّلُها :

هبـطت إليـك من المحـل الأرفـع — ورقـاء ذات تـعـزّز وتـمـنّـع[2]
محجـوبـة عن كـلّ مقلة عـارف — وهي التي سفـرت ولم تتبـرقـع
وصلت على كـره إليـك وربّمـا — كـرهت فراقـك وهي ذات تفجّـع

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي ج ١ ص ١٤٦ .

(٢) أقول : يستظهر البعض أن يكون ابن سينا قد أخذ هذا المعنى من كتاب لمولانا أمير المؤمنين علي السلام بعثه إلى قيصر في مقام إجابته على كتاب وجهه إليه ذكر عليه السلام فيه : أمّا بعد ، فالروح نكتة لطيفة ، ولمعة شريفة ، من صنعة باريها ، وقدرة منشئها ، أخرجها من خزائن ملكه وأسكنها في ملكه ؛ فهي عنده لك سببٌ وله عندك وديعة ؛ فإذا أخذت مالك عنده أخذ ماله عندك ، والسلام وتفصيل السبب في إرسال أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب المذكور إلى قيصر هو :

أنفت وما أنست فلمّا واصلت | ألفت مجاورة الخراب البلقع
حتى إذا اتّصلت بهاء هبوطها | من ميم مركزها بذات الاجرع
علقت بها ثاء الثقيل فأصبحت | بين المعالم والطلول الخضّع
تبكي إذا ذكرت عهوداً بالحمى | بمدامع تهمي ولمّا تقلع
وتظل ساجعة على الدّمن التي | درست بتكرار الرّياح الأربع
إذ عاقها الشّرك الكثيف فصدّها | قفص عن الاوج الفسيح الأرفع
حتى إذا قرب المسيح إلى الحمى | ودنا الرّحيل إلى الفضاء الأوسع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت | ما ليس يدرك بالعيون الهجّع
وغدت مفارقه لكلّ مخلف | عنها حليف الترب غير مشيّع
وبدت تغرّد فوق ذروة شاهق | والعلم يرفع كلّ من لم يدفع
إن كان ارسلها الآله لحكمة | طويت عن الفطن اللّبيب الأروع
فهبوطها إذ كان ضربة لازم | لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمه بكلّ خفية | في العالمين فخرقها لم يرفع
فلأي شيء اهبطت من شاهق | سام إلى قعر الحضيض الأوضع
وهي التي قطع الزّمان طريقها | حتى لقد غربت بغير المطلع
فكأنّها برق تألق بالحمى | ثمّ انطوى فكأنّه لم يلمع

= قال أحمد في «الفضائل» قال ابن المسيب : إن ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة فلم يجد عندهم جواباً فعرضها على «علي امير المؤمنين عليه السلام» فأجاب عنها في أسرع وقت بأحسن جواب . قال ابن المسيب ، فلما قرأ قيصر الكتاب قال ما خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة ثم سأل عن المجيب فقيل له هذا جواب ابن عم محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

فكتب إلى قيصر سلام عليك أما بعد فقد وقفت على جوابك وعلمت انك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وأنت موصوف بالشجاعة والعلم وأوثر أن تكشف لي عن مذهبكم والروح التي ذكرها الله في كتابكم وفي قوله **«ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»** فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام أما بعد فالروح نكتة لطيفة . و . . .

عينية البلاغي الجوابية :

وللعلامة الشيخ جواد البلاغي (ره) عينية في معارضة عينية ابن سينا في النفس وهي[1] :

نعمت بأن جاءت بخلق المبدع ... ثم السعادة ان يقول لها (ارجعي)
خلقت لأنفع غاية يا ليتها ... تبعت سبيل الرشد نحو الانفع
اللّه سواها والهمها فهل ... تنحو السبيل إلى المحل الارفع
نعمت بنعماء الوجود ونوديت ... هذا هداك وما تشائي فاصنعي
ودعي الهوى المردي لئلا تهبطي ... في الخِسر ذات توجع وتفجع
ان شئت فارتفعي لارفع ذروة ... وحذار من درك الحضيض الاوضع
ان السعادة والغنى ان تقنعي ... موفورة لك والشقا ان تطمعي
فتنعّمي وتزودي وتهذبي ... وتلذذي وتكملي وتورعي
وببهجة العرفان والعلم ابهجي ... ولنزع اطمار الجهالات انزعي
وخذي هداك فتلك اعلام الهدى ... زهر سواطع في الطريق المهيع
وتروّحي بشذى الطريق واملي ... عقبى سراك إلى الجناب الممرع
نجدٌ وكل طريقها روض وفي الـ ... ـمسرى اليها بلغة المتمتع
وهناك ادراك المنى وكرامة الـ ... ـمأوى لدى الشرف الاعز الامنع
هي غادة برزت جمالاً واختفت ... لطفاً وزفت في الوجود ببرقع
برزت محجبة فتاة ذوو الهوى ... في كنهها وصفاً وكل يدعي
قربت وباعدت الظنون وان تكن ... ضمن مخايلها حواني الاضلع
أمؤمل الاشراق في عرفانها ... مهلاً فانك في ظلام اسفع
تسعى برأيك نحوها يا هل ترى ... وجد الهدى ساع برأي مضيع
أم اين من عرفانها متكلف ... ان ساء بالآراء صيح به قع
سل عن حقيقتها ومعناها الذي ... قد زفها محجوبة لك او دع
كم قائل فيها يقول وسائل ... وجوابه في (يسألونك) ان يع

(١) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ١٧ ص ٤٥ إلى ٤٦ .

ولابن سينا في صاحب الزكام :

في اوّل النزلة فصد وفي أواخر النزلة حمام
بينهما ماء شعير به صحت من النزلة احسام

وتنزيل جميل له :

لا أركب البحر أخشى علي بنيه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطّين في الماء ذائِبُ[1]

ومن أشعاره الحكميّة ـ من أبيات ـ :

أما اصبحت عن ليل التصابي وقد أصبحت عن ليل الشّباب
شبابك كان شيطاناً مريداً فرجم من مشيبك بالشّهاب
عفا رسم الشّباب ورسم دار لهم عهدي بها مغنى رباب
فذاك أبيض من قطرات دمعي وذاك أخضر من قطر السّحاب
فذا ينعي إليك النفس نعياً وذالكم نشور للروابي
كذا دنياك تراب لانصداع مغالطة وتبني للغراب
ويعلق مشمئز النّفس عنها باشراك تعوق عن اضطراب
فلولاها لعجلت انسلاخي عن الدّنيا وإن كانت اهابي
عرفت عقوقها فسلوت عنها فلمّا عفتها أغريتها بي
بليت بعالم يعلو اذاه على صبري ويسفل عن عتابي

وقوله من قصيدة :

ليت الطّلول أجابت من به أبدا في حبهم صحة في حبّهم سقم
أوعلها بلسان الحال ناطقة قد تفهم الحال ما لا تفهم الكلم
الشّيب يوعد والآمال واحدة والمرء يغتر والأيّام تنصرم
ما لي أرى حكم الأفعال ساقطة واسمع الدّهر قولاً كلّه حكم
ما لي أرى الفضل فضلاً يستهان به قد أكد أم النقص لما استنقص الكرم

---

(١) الكشكول للبهائي ج ١ ص ٣٠٢ .

سيان عندي ان بروا وان فجروا ... فليس يجري على امثالهم قلم
ليسوا وإن نعموا عيشاً سوى نعم ... وربّما نعمت في عيشها النعم
الواجدون عنى العادمون نهي ... ليس الذي وجد وامثل الذي عدموا
أسكنت بينهم كالغيث في أجم ... رأيت ليثاً له من جنسه اجم
بأيّ مأثرة ينقاس بي أحد ... بأيّ مكرمة تحكيني الأمم
إنّي وإن كانت الأقلام تخدمني ... كذاك يخدم كفيّ الصارم الخذم
قد اشهد الروع مرتاحاً فاكشفه ... إذا تناكر عن تياره البهم
والبيض والسّمر حمر تحت عيشره ... والموت يحكم والابطال تختصم
أما البلاغة فاسألني الخبير بها ... أنا اللّسان قديماً والزّمان قم
ولو وجدت طلاع الشّمس متّسعاً ... لحط رحل عزيمي كنت أعتزم
وغشيت صفحات الأرض معدلة ... فالأسد تنفر من مرعى به غنم
لكنّها بقعة جفّ الشّفاء بها ... فكلّ صاغ إليها صاغر سدم

وقوله من أبيات :

هو الشّيب لا بدّ من وخطه ... فقرضه واخضبه أو غطه
فلا تجز عن الطريق سلكت ... كم انبت غيرك في وسطه
ولا تلا تجشعن فما إن ينال ... من الرّزق كل سوى قسطه
وكم حاجة بذات نفسها ... ففوتها الحرص من فرطه
إذا أخصب المرء من عقله ... نشا في الزّمان على قحطه
ومن عاجل الحزم في عزمه ... فان النّدامة من شرطه
إذا ما أخال أفوز له ... على العذر فاعجل على بسطه
وكم عاند النصح ذو شيبة ... عناد القتاد لدى خرطه
يحاول حطي عن رتبتي ... قد أرتفع النّجم عن حطه
يظل على دهره ساخطاً ... وكم يضحك الدّهر من سخطه

وقوله من قصيدة :

قفا نجزي معاهدهم قليلا ... نغيث بدمعنا الرّبع المحيلا
لقد عشنا بها زمناً قصيرا ... نقاسي بعدهم زمناً طويلا

ومن يستثبت الدّنيا بحال   يرم من مستحيل مستحيلا

وقوله :

أوليتني نعمة مذ صرت تلحظني   كافي الكفاة بعيني مجمل النظر
كذا اليواقيت فيما قيل نشأتها   من حسن تأثير عين الشّمس في القمر

وفي عيون الأنباء : شكا إليه الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدا على جبهته ونظم شكواه شعراً وأرسله إليه وهو :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه   وغرس انعامه بل نشيء نعمته
يشكو إليه أدام اللّه مدته   آثار بثر تبدى فوق جبهته
فامنن عليه بحسم الداء مغتنماً   شكر النبي له من شكر عترته

فأجابه الشيخ عن أبياته ووصف له في جوابه علاجاً كان به برؤه فقال :

اللّه يشفي وينفي ما بجبهته   من الأذى ويعافيه برحمته
أمّا العلاج فبإمهال يقدمه   ختمت آخر أبياتي بنسخته
وليرسل العلق المصاص يرشف من   دم القذال ويغني عن حجامته
واللّحم يهجره إلا الخفيف ولا   يدني إليه شرابا من مدامته
والوجه يطلب ماء الورد معتصراً   فيه الخلاف مدافاً وقت هجعته
ولا يضيق منه الزّر مختنقاً   ولا يصيحن أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى   آثار خير ويكفي أمر علّته

وقوله :

هذّب النفس بالعلوم لترقى   وذر الكل فهي للكلّ بيت
إنّما النّفس كالزّجاجة والعلم سراج وحكمة اللّه زيت
فإذا أشرقت فإنّك حي   وإذا أظلمت فإنّك ميّت

وقوله في الحسّاد :

عجباً لقوم يحسدون فضائلي   ما بين غيابي إلى عذالي
عتبوا على فضلي وذمّوا حكمتي   واستوحشوا من نقصهم وكمالي

أنّي وكيدهم وما عتبوا به ... كالطود يحقر نطحة الأوغال
وإذا الفتى عرف الرَّشاد لنفسه ... هانت عليه ملامة الجهّال

وقوله :

أكاد أجنّ فيما قد أجن ... فلم يسرما أرى انس وجن
رميت من الخطوب بمصميات ... نوافذ لا يقوم بها مجن
وجاورني أُناس لو اريد وا ... على منفث ما أكلوه ضنوا
فإن علت مسائل مشكلات ... اجال سهامهم حدس وظن
وإن عرضت خطوب معضلات ... تواروا واستكانوا واستكنّوا

وقوله في شكوى الزّمان :

أشكو إلى اللّه الزّمان فصرفه ... أبلى جديد قواي وهو جديد
محن إلى توجّهت فكأنّني ... قد صرت مغناطيس وهي حديد

وقوله :

تنهنه وحاذران ينالك بغتة ... حسام كلامي أو كلام حسامي

وأورد له صاحب عيون الأنباء أبياتاً يقال أنّها إذا قيلت عند رؤية عطارد تفيد علماً وخيراً . (يقول صاحب الأعيان) وقصيدة رأيتها تزيد على خمسين بيتاً تنسب إليه وهو مشكك في صحة نسبتها وهي فيما يحدث من الأمور عند قران المشتري وزحل اعرضنا عن ذكرهما لعدم الإعتقاد بصحة ذلك .

وقال السيّد الأمين أنّ لابن سينا أيضاً قصيدة المجرّبات لم يتيسّر لنا وجد انها حين التّأليف وكان قد علّق بذهننا أبيات منها نثبتها فيما يلي فمن عثر عليها فليلحقها بهذا الموضع أولها :

أبدأ باسم اللّه في نظم حسن ... أذكر ما جرّبته طول الزّمن

وله في النشاذر :

فريحه تقتل الأفاعي ... وللهوام والدّبيب السّاعي

ووزن مـثقـال إذا مـا شـربـا مـع وزنـه من الـرّجيـع انجبـا
وخـلص السـميم مـن مـمـاتـه من بعـد يأس النـاس من حيـاتـه

لـوجـع الضّـرس يضـع يـده على الـوجـع في أوّل الشّهـر ويقـول حرمت الأكل من لحم الجمل والكرفس :

فقل حرمت الأكل من لحمل الجمل مـع الكـرفس ايمـا منـه حصـل

(الطيون) :

ولـيس لـلجـراح كـالـطيـون يبـرىء جـرح السّيف والسّكين

نجم التّوام للمحبة :

في شـولـة العقـرب نجم تـوأم لـكـلّ راء مـن رآه يـعـلم
إذا تـراآه إمـرآن اصـطحـبـا وأتّـفـقـا وذا تـحـبّـبـا
لا سـيّمـا أن قـال ذا مـحبّـب بعض لبعض كـوكبـان كـوكـب

النّجم المسمّى كفّ الخضيب :

كفّ الخضيب فـرقـة إلى الابد لكـائن من كـان من كـل احـد
إذا رآه اثـنـان أو جـمـاعـة تـفـرّقـوا إلى قـيـام السّـاعـة

لدفع العقرب :

ومن رأى عشيـة نجـم السّهـى لـم تـؤذه عـقـربـة بـمـسّـهـا

وهـذا وارد في أخبـار أهـل البيت عليهم السلام وفيهـا أن يقـول عنـد رؤيتـه سلام على نوح في العالمين :

(السقنقور للبَاه) :

(في القاموس) : إنّه دابّة تنشأ بشاطىء بحر النّيل ، لحمها باهي وفي تـاج العـروس ومنهـا نـوع ببحيرة طبـريّـة وهـو في القـوّة دون الأوّل ولكن ابن سينا ذكر الّذي في عين ثول فقط فقال :

بشول وبها حيوان في شكله كأنه إنسان
...... فحبه منه تقيم الأملدا
وثول قرية بأرض الشام من عمل الشقيف ذي الآكام
الطخ على الثّؤلول دهن القمح من وسخ الأسنان عند الصّبح
حرمت الأكل من لحم الفرس والهندبا وكلّ ذا منه احترس(1)

وقال أيضاً أبو علي ابن سينا في تعريف الحواس الظاهرة والباطنة بالفارسية :

سمع وبصر است وشمّ وذوقست وامساس مجموع حواس ظاهراي معجز ناس
پس مشتركه مخيله فكرت ووهم باحافظه دان توپنج باطن زحواس(2)

وقال ابن سينا في مناسبة ما :

أسرار وجود خام وآشفته بماند وآن تكوهر بس شريف ناسفة بماند
هركس زسر قياس فرض گفتند وآن نكته كه أصل بودنا گفته بماند(3)

وله أيضاً :

تعس الزمانُ فإن في إحسانه بُغضاً لكل مفضّل ومبجّل
وتراه يعشق كلَّ رذل ساقط عشق النتيجة للأخس الأرذل(4)

ومن المنسوب إليه أيضاً ولا اتحققه قوله :

اجعل غذائك كلّ يوم مرّة واحذر طعاماً قبل هضم طعام
واحفظ منيّك ما استطعت فإنّه ماء الحياة يراق في الارحام

وينسب إليه أيضاً البيتان اللّذان ذكرهما الشهرستاني في أوّل كتاب «نهاية الأقدام» وهما :

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم

---

(1) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ٢٦ ص ٣٢٩ إلى ٣٣٧ .
(2) روضات الجنات ج ٣ ص ١٨١ .
(3) كشكول زنجاني ص ١٣٢ إلى ١٣٣ .
(4) الكشكول للبهائي ج ١ ص ٢٢٧ .

فلم أر إلاّ واضعاً كفّ حائرٍ　　على ذقن اوقارعاً سنّ نادم

وله أيضاً وقيل انها لأبي المؤيد الجزري :

إسمع جميع وصيتي واعمل بها　　فالطب مجموع بنظم كلامي
اقلل جماعك ما استطعت فإنه　　ماء الحياة تصب في الارحام
واجعل غذاءك كل يوم مرة　　واحذر طعاماً قبل هضم طعام
لا تحقر المرض اليسير فانه　　كالنار تصبح وهي ذات ضرام

وينسب إليه أيضاً :

في أول البزلة فصد وفي　　أواخر النزلة حمام
بينهما ماء شعير به　　صحت من النزلة أجسام

وينسب إليه هذه الارجوزة :

بدأت بسم اللّه في نظم حسن　　اذكر ما جربت في طول الزمن
نجم السهى مأمنة من سارق　　ومن سموم عقرب وطارق
ومن رأى عشية نجم السهى　　لم تدن منه عقرب يمسها
وقيل لا يدنو اليه سارق　　في سفر ولا بسوء طارق
ابلغ من الصابون وزن درهم　　تنج من القولنج غير محكم

الارجوزة ، وهي مذكورة في حياة الحيوان في عقرب . توفي بهمذان سنة ٤٢٨ أو ٤٢٧ وقد مررت بقبره في سنة ١٣٣٨ ، فرأيت على لوح قبره مكتوباً :

حجة الحق بو علي سينا　　در شجع آمداز عدم بوجود
در شصا كرد كسب جمله علوم　　در تكز كرداين جهان بدرود[1]

---

(١) كتاب تيسير شيخ الأرض المدخل إلى فلسفة ابن سينا طبع سنة ١٩٦٧ ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

بعض آثار ابن سينا :

(حفظ الصحّة) : للشّيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا المتوفى (٤٣٧) أوّله [الباب الأول في ذكر الكيفيّات التي جعلها الله تعالى مداراً للكيفيّات الأخر] مختصر في إثنتي عشرة صفحة ، نسخة في مكتبة (الآصفية) في مجموعة رقم (٤١) وأخرى في بانكي پور مجموعة رقم (٢٥٥٩) وثالثة في المكتبة (الرامپورية) ضمن مجموعة رقم (٢٢١) ذكر الجميع كذلك في «تذكرة النّوادر»[1] .

(رسالة الحزن ومنشأه وعلاجه) للشيخ أبي علي ابن سينا المتوفى (٤٣٨) يوجد ضمن مجموعة بياضية كتابتها في (١٠٥٦) رأيتها بمشهد الرِّضا عليه السلام في كتب الميرزا محمود بن الميرزا محمد تقي بن الآقا محمد بن الحاج محمد إبراهيم الكلباسي المتوفى بالمشهد الرِّضوي في يوم الأحد (٣٥ ـ شوال ـ ١٣٦٥)[2] .

(الحكمة الشرقية) للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا المتوفى (٤٣٧) أوّله [الحمد لله أهل أن يحمد بعزّته وجبروته] نسخة منه في (الرَّضويَّة) من وقف نادر شاه في (١١٤٥) وعبر عنه في «كشف الظّنون» «بالحكمة المشرقية»[3] .

(شرح الشفاء) لابن سينا ، لصدر المتألهين المولى صدر الدّين الشيرازي محمد بن إبراهيم المتوفى سنة ١٠٥٠ هـ في جزئين مستقلّين أحدهما طبيعيّاته والآخر شرح إلهياته ، وقد ذكر في الذريعة شروح الشفاء بعنوان الحواشي ، و(الحاشية على إلهيات الشفاء)[4] .

(شرح الإشارات والتنبيهات) في المنطق والحكمة تأليف الشيخ

---

(١) الذريعة لآقابزرك الطهراني ج ٧ ص ٢٧[illegible]
(٢) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٩٧ .
(٣) المصدر السابق ج ٧ص٥٧ .
(٤) الذريعة لآقابزرك الطهراني ج ١٣ ص٣٣٦

الرئيس ابن سينا ، لآية الله العلاّمة الحلّي الشيخ أبي منصور الحسن بن يوسف بن المطهّر المتوفى سنة ٧٣٦ هـ . سمّاه (الإشارات إلى معاني الامارات) وحكي في (مجمع البحرين) في مادّة (علم) كلام الشيخ البهائي المصرح بأن نسخته كانت عنده بخطّ العلامة[1] .

(منظومة في الطّب) : متن الأرجوزة للشيخ ابن سينا ، والترجمة لعادل الشيرازي ـ ظاهراً ـ وهذا غير «مثنوي حفظ الصحة» له المذكور في أوّلها :

[جميع الطّب في البيتين جمع   وحسن القول في قصر الكلام

بباد دار (عادل) براي صحّت تن . . .] .

نسخة منه ضمن المجموعة المؤرّخة (ع ١٢٣٨/١) في طهران ، دهخدام ٢٩٦/٤ كتبه آقابزرك محمد معين بن مولانا عبد الرزّاق الذاكر معها «ستين عادلي» لعادل الشّيرازي[3] .

(مختصر المجسطي) لابن سينا ، قال في أوّل منطق «الشّفا» : [اختصرته إختصاراً تتضمن تفهيماً وبياناً ، والحقت به من الزّيادات بعد الفراغ منه ما وجب أن يعلم حتّى يتم به الصناعة ويطابق فيه بين الاحكام الرّصدية والقوانين الطبيعية !

(مسئلة طبيّة) للشيخ الرئيس أبي علي سينا ، وهي في الباه ، أوّله : [مسئلة طبيّة سئل عنها الشيخ . . سأله عنها بعض الأكابر وذلك أنه قال ضعف الباه ، عند علوّ السّن وبلوغه إثنتي وستين سنة] . جاء في نسخة أيا صوفيا : [وقد كتب ذلك للشيخ العميد أبي سهل الحمدوني أصحبه العزّ والرّفعة] . وذكر مؤلف «تتمة صوان الحكمة»

---

(١) نفس المصدر السابق ج ١٣ ص ٩٠ .

(٢) المصد السابق ج ١٣ ص ٣٠ .

(٣) المصدر السابق ٢٠٦٠ ص ٣٨٨ .

أنّ سهل هذا هو الذي نهب كتب الشيخ الرئيس حين غلبته على علاء الدولة[1] .

(معرفة نبض) : أو «النبضيّة» أو «ركشنساسي» أو «دانش رك» لأبي علي سينا المتوفى ٤٢٨ . ألفه لعضد الدين علاء الدولة أبو جعفر كاكويه في اصفهان بعد ٤١٢ ، في تسعة فصول ، طبع بمباشرة السيد المشكاة في ١٣١٧ ش و ١٣٣٠ ش . أوّله : [سپاس مرآ فريد گاررا وستايش مراورا ، ودرود برپيغامبر . . . فرمان خداوند ملك عادل] .

(رسالة في النبض) : عربية لابن سينا أيضاً . أوّلها : [خلق القلب وما يتشعّب منه من العروق الضوارب] توجد في الآصفية رقم ٤١ وفي الرامپورية مجموعة رقم ٧٤ كما في «تذكرة النوادر»[2] .

(معرفة النفس) : ذكره صاحب الذريعة بعنوان «النّفس» متعدداً[3] .

(النُّبوّة) : للشيخ أبي علي ابن سينا . طبع ضمن «تسع رسائل» له في الجوانب ١٢٩٨[4] .

(نزهة العقول وخلاصة المحسوس والمنقول) : شرح لخطبة التمجيد التوحيد لابن سينا ٢٠٢٠٨ ذكره المهدوي في «فهرست مصنّفات ابن سينا» ص ١٠٠ ونسبه إلى شارح مجهول وهذا غير شرح الخيام له ذ ١٣ : ٢١٢[5] .

(نامه هاي ابن سينا) : مكاتيب له إلى علماء بغداد وإلى «كيا»

---

(١) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٣٨٨ .
(٢) المصدر السابق ج ٢٠ ص ٣٨٨ .
(٣) المصدر السابق ج ٢١ ص ٢٦٢ .
(٤) الذريعة لآقابزرك الطهراني ج ٢٤ ص ٤٠ .
(٥) وفيه ج ٢٤ ص ١٢٠ .

توجد في (سپهسالار - ١٢١ و ٢٩١٩)[١] .

(النَّجاة): في الحكمة لأبي علي ابن سينا مـ ٤٢٧ كاختصار لكتابه «الشفا» مرتّب على ثلاثة أقسام: المنطق، والطبيعي والالهي ولم يورد الرياضيات فزاده تلميذه أبو عبيد عبد الواحد الجوزجاني مع مقدمة خاصة به. وقد شرح النجاة المولى صدرا الشيرازي مـ . ١٠٥٠ إشراقياً. يوجد عند علي بن زين العابدين المازندراني وله شرح آخر ذكرهما الشيخ صاحب الذريعة في (ذ ١٤ : ١٠٠) طبع النَّجاة في أروبا وطهران ومصر مكرراً. أوّلها: [بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ومستحقه فإن طائفة من الاخوان الذين لهم حرص على إقتباس المعارف .. لمن يؤثر أن يتميز عن العامة وينحاز إلى الخاصة .. لدرك النَّجاة من الغرق في بحر الضلالات ...] ولعلّه بهذه المناسبة سمِّيت بالنَّجاة. ولذلك أيضاً تسمّى الشيعة أنفسهم بالخاصة وأهل السنة العامة[٢] .

(نصائح طبّية): منظومة في ٧٣ بيتاً منسوبة إلى ابن سينا. وقد يسمى «أرجوزة في الوصايا» كما ذكره المهدوي في «فهرست مصنَّفات ابن سينا ص ٢٧» أوّله:

أوّل يوم نزل الشمس الحمل   تشرب ماء فاتراً على عجل[٣]

---

(١) ج ٢٤ ص ٢٦ .

(٢) نفس المصدر ٢٤ / ٥٦ .

(٣) نفس المصدر ٢٤ / ١٧٠ .

الفصل الثالث

ابن سينا
وعلم الكيمياء والمعادن

علم الكيمياء والمعادن[1] :

لا توجد مصادر عربية تعطي التفصيلات عن حقيقة الكيمياء عند العرب . . وكيف توصل العرب إلى هذا العلم ، ومن هو المتكلم الأول به ؟ .

فهناك من يقول إنهم اخذوه عن الهند والصين . . ومنهم من قال عن اليونان باعتبار ان هذا العلم كان شائعاً في مدرسة الاسكندرية ، وكان «زوسيموس» المعاصر لأفلاطون من أشهر المتضلعين به .

قسّم العلماء الكيمياء القديمة إلى فروع . . وهي ذات ناحيتين :

ناحية تجريبية . . وناحية شديدة العلاقة بفكرة التدين الشرقي . . ولا ينفي ذلك علاقتها بالأفلاطونية الحديثة ، لأن هذه الأخيرة تمت بصلة قوية إلى الفيض والالهام .

وعلى ضوء ذلك . . وجب ان يكون لابن سينا علاقة وثيقة

---

(١) واليك هذا العرض من كتاب ابن سينا في مرابع اخوان الصفاء لمؤلفه الدكتور عارف تامر .

بالكيمياء من الناحيتين ـ التجريبية والنظرية . فمن الناحية التجريبية فلكونه من الفلاسفة الكبار الذين جعلوا للتدريب والاختبار المقام الأول ، وهذا هو سبب تأثيره على الحياة الفكرية في أوروبا مدة قرون طويلة انه عثر له على مخطوطة في «الفيزياء» هي الآن في حياة الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية . . . ومن المؤكد ان طبع هذه المخطوطة ستظهر لنا آراء ابن سينا في هذا العلم .

أما من الناحية النظرية ، وخاصة تلك المشكلة الكبرى التي أثيرت في عالم المادة . . الا وهي امكانها الانقلاب من عنصر إلى عنصر ، لأنها متحدة الذات ، مختلفة المظهر . . وإننا نرى ان ابن سينا يخلف من تقدمه بالرغم انه كان من المؤمنين بوحدة النفوس .

من الجلي الواضح . . انه لم يظهر لابن سينا أي كتاب مستقل عن الكيمياء ، ولكن «هوليارد» يذكر اسم كتاب باللغة اللاتينية في علم الكيمياء ترجمه «روجه باكون» عن ابن سينا ، في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد .

إننا عندما نتحدث عن هذا الموضوع نرى لزاماً علينا ان نستعرض بعض أقوال ابن سينا كما وردت فهو يقول :

وأما ما يدعيه اصحاب الكيمياء ، فيجب ان يعلم انه ليس في ايديهم ان يقلبوا الأنواع قلباً . حقيقياً . . لكن في ايديهم تشبيهات حسنة ، حتى يصبغوا الأحمر صبغاً ابيض شديد الشبه بالفضة ، ويصبغون صبغاً اصفر شديد الشبه بالذهب أو النحاس . . إلا ان جواهرها تكون محفوظة ، وإنما يغلب عليها كيفيات مستفادة بحيث يغلط في أمرها .

ويقول :

ليس الخرق في تكذيبك ما لم تستبن لك بعد جليته دون الخرق

في تصديقك ما لم تقم لديك بنيته ، بل عليك بالاعتصام بحبل التوقف ، وان ازعجك استنكار ما يرعاه سمعك ما لم تبرهن استحالته لك ، فالصواب ان تسرح امثال ذلك إلى بقعة الامكان ما لم يزدك عنه قائم البرهان . . واعلم ان في الطبيعة عجائب ، والقوى العالية الفعالة ، والقوى السافلة المنفعلة اجتماعات على غرائب .

وهنا يبدو انه لا يقر بانقلاب المادة ـ لأنه كعالم طبيعي لم يستطع التوصل إلى ذلك فعلاً . ولكنه كمفكر وكفيلسوف لم يقدر ان يبقى مصراً على التنكر لانطلاق الفكر الحر من قيوده وتشجيعه على الكشف والبحث . . فهو اذن واقعي وغيبي . . الأول لعدم تمكنه فعلاً من قلب جوهر المادة ، وغيبي لعدم اصداره على الجحود[1] .

أما فيما يختص بنظريات في تكوّن الصخور والجبال وطبيعة الحفريات ومعالجة لعقاقير ورد ذكرها عند الكيميائيين . . فقد أوضح لنا حالة وجودها وصنعها وفائدتها الطبية . . عندما بحث الأدوية المفردة[2] .

فكتب عن الاثمد والاسفيداج والاسرنج وملح اسيدس والبورق والزئبق والزاجات المختلفة على نحو ما كتبه الكيميائيون ، كما كتب عن الكبريت والنوشادر الذي احتل مكاناً وساعاً في خيال قدماء الكيميائيين .

فقال عند الأثمد :

إنه الأسرب الميت ، وقوته شبيهة بقوة الرصاص .

وعن الاسفيداج :

إنه رماد الرصاص ، واذا شد عليه بالتحريق صار اسرنجا ،

---

(١) كتاب الشفاء ـ ابن سينا .

(٢) كتاب القانون في الطب ـ ابن سينا صحيفة / ٢٥١ .

ويستخلص الاسفيداج بمعاملة الرصاص بالخل ، ويدخله المراهم والسموم .

ويقصد بملح أسيدس :

ملح البارود ولكن لا يذكر اهميته في المفرقعات ، بل يقتصر على الناحية الطبية .

ويفرد بحثاً مطولاً عن الورق وأنواعه ، مبيناً استعماله . . ويذكر خامات الزئبق وكيفية استخلاصه واستعماله في استحصال الذهب والفضة وطبيعة مركباته التي يسميها الزئبق المَفتول .

ويذكر أيضاً التوتياء . . ويقصد بها مرهم التوتيا الحاصلة من احراق معدن الخارصين والمستحصل كدخان ، وبهذه الطريقة يفرقها عن النحاس وباقي المعادن . . ذاكراً فوائدها الطبية واستعمالها ضد وجع العين .

ويقول عن التنكار انه لحام الذهب ، ويتكلم عن المعادن الأخرى كالحديد والنحاس والفضة مقتصراً ، على فوائدها الطبية .

ويقسم ابن سينا المعادن إلى أربعة[1] :

١ ـ أولاً الأحجار والذائبات والكباريت والاملاح ، ويجعل من الأجسام المعدنية ما هو من قوى الجوهر القابل للتطرق ، وهو ما كان قابلاً للذوبان ولو بالحيلة . . وأمثلة الملحية التي تنحل بالرطوبة مثل الملح والشب والنوشادر ، والدهني الذي لا ينحل بالرطوبة مثل الكبريت والزئبق .

ومن الملاحظ ان هناك بعض الفرضيات التي كانت اساساً لنظريات حديثة ، كنظرية الذرة والمقدار الذي لعبت به دورها العام

---

(١) السماع الطبيعي ـ ابن سينا صحيفة / ٢٤٥ .

المهم في العلوم العصرية الطبيعية . . فيقول :

إن الكمية اذا ازدادت ، ازدادت الكيفية[١] .

ثم نراه يقر بتناهي الأجسام عندما يقول :

إن الأجسام متناهية من حيث التأثير والتأثر ، ولا يجوز ان يكون جسم فاعل او منفعل عن جسم فعلاً وانفعالاً وهو غير متناهي[٢] .

وفي فصل آخر . . يعقد ابن سينا باباً خاصاً ، عن الشي والقلي والتبخير والتدخين والتصعيد ، والذوب والتليين والاشتعال والتجمير والتفحيم وما يقابل ذلك ، وما لا يقابله . . وهنا يبدو انه يخالف الرازي فيما اورده في كتابه المرسوم «سر الاسرار»[٣] .

ومهما يكن من امر . . فلإبن سينا علاقة كبرى في هذا العلم ، وبالتأكيد انه عالج المواضيع الكيميائية بتعقل ، وشارك في ترقية هذا العلم ، واعطائه ما يستحقه من العناية والدرس من وجوه عديدة . . ولكنه لم يذهب في تحليله وبحثه عن المعادن وخاصيتها ، ومقاماتها مذهب اخوان الصفاء والدعاة الاسماعيليين الذين جعلوا من هذه المعادن ممثولات ذات عقول متحركة بجواهرها وصفائها . . وقد يكون فعل ولكن ما فعله بهذا الشأن قد ضاع ، او من جهة ثانية ربما شاء ان لا يذهب مذهبهم بتوضيحها والافصاح عن خاصيتها ، بل اقتصر على ذكر فوائدها من الناحية الطبية .

ولا بد من مراجعة ما جاء في رسالة «مطالع الشموس في معرفة النفوس» للداعي الاسماعيلي «شهاب الدين أبو فراس» الذي يقول :[٤]

---

(١) السماع الطبيعي ـ ابن سينا صحيفة / ٢٣١ .

(٢) السماع الطبيعي ـ ابن سينا صحيفة / ١٠٥ .

(٣) السماع الطبيعي ـ ابن سينا صحيفة / ٢٠٥ .

(٤) هذه الرسالة حققها «عارف تامر» وضمها إلى كتاب «اربع رسائل اسماعيلية» .

إن المعدن هو أول الأجناس ، وهو تسعة عشر نوعاً . . اولها معدن الطفل ، وآخرها معدن الياقوت ، وهذه المعادن التسعة عشر تنقسم إلى أربعة أقسام :

منها ما يذوب ويحترق وهو الرصاص والقصدير ، وما لا يذوب ولا يحترق وهو الياقوت الاحمر ، وما يذوب ولا يحترق وهو الذهب الابريز ، ومنه ما يحترق ولا يذوب كالكبريت .

ولمّا كانت معادن الأرض تسعة عشر نوعاً ، كانت أماكنها سبعة أقاليم واثنتي عشرة جزيرة . . لكل نوع من معادنها لا يوجد إلا فيها ، وقد لزم ان تكون أرض الدعوة الهادية مثل ذلك الحدود السبعة ، والدعاة الاثنا عشر في السبعة اقاليم واثنتا عشرة جزيرة ، فلكل منها حد من الحدود يسوس أهلها ، ولهذه الحدود اربعة أحوال مطابقة لرتب المعادن الأربعة المقدم ذكرها .

فإن من هذه الحدود من يحتاج ان يفيد أهل جزيرته بعلم الظاهر والباطن ، فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يذوب ويحترق ، ومنهم من يكون مكلفاً لأهداء أهل جزيرته في الباطن فقط فهو في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يذوب ولا يحترق .

ومن هذه الحدود من يفيد أهل جزيرته علم الظاهر لأنهم لا يستطيعون تحمل الباطن فهم في عالم الدين بمنزلة المعدن الذي يحترق ولا يذوب .

ومن هذه الحدود من يكون أهل جزيرة مهديين في العلم والعمل فهو كلما فاتحهم وجد عندهم من العلم والمعرفة ، فيكون معهم بمنزلة الياقوت الأحمر الذي لا يذوب ولا يحترق .

ان هذا العلم كما نوهنا سبق اليه اخوان الصفاء ، وقد نلمس في رسائلهم الاهتمام الزائد به . . والدليل على ذلك انهم قسموه إلى

فصول وأبواب ، وأفاضوا بشرحه ، ووصف كل ما يتعلق به ، مما يقوّي ايماننا على القول : بأن ابن سينا قد اطلع عليه ، واخذ عنه ، بل ربما يكون قد جعله اساساً لكل ما كتبه عن هذا الموضوع .

يقولون(١) :

اعلم يا أخي . . ان الجواهر المعدنية مختلفة في طباعها وطعومها وأنواعها وروائحها . . واعلم :

إن الجواهر المعدنية كثيرة الأنواع لا يحصي عددها إلا اللّه تعالى ، ولكن منها ما يعرفه الناس ، ومنها ما لا يعرفونها . وقد ذكر بعض الحكماء ممن كانت له عناية بالنظر في هذا العلم ، والبحث عن هذه الأشياء وانه قد عرف منها ، وعد نحو تسعمائة نوع كلها مختلفة الطباع والشكل والنوع والطعم والرائحة والثقل ـ والخفة والمضرة والنفع .

واعلم :

إن لهذه الجواهر خواص كثيرة ، وطبائعها مختلفة ، فمنها متضادة متنافرة ، ومنها متشاكلة متألفة ولها تأثيرات في بعضها البعض .

فأما الطبيعة التي تألف طبيعة أخرى . . فمثل الالماس والذهب ، فانه إذا قرب من الذهب التصق به وأمسكه ، ويقال : ان الالماس لا يوجد إلا في معدن الذهب ، وفي وادٍ معين من ناحية المشرق ، ومثل طبيعة المغناطيس في جذب الحديد .

وأما ما كان منها طبيعة تقهر طبيعة اخرى مثل السنباذج التي تأكل الأحجار عند الحك وتلينها ، وتجعلها ملساً ، ومثل الأسرب الوسخ الذي يفتت الالماس القاهرة بصائر الأحجار الصلبة ، ومثل الزئبق

---

(١) رسائل اخوان الصفاء ـ الجسمانيات الطبيعيات جزء ١ صحيفة / ٧٨ .

القليل الصبر على حرارة النار .

ومثل الطبيعة التي تزين طبيعة اخرى ، فمثل النوشادر ـ الذي يغوص في قعر الأحجار ويغسلها من الأوساخ .

ويذكر اخوان الصفاء :

بان لهذه الجواهر المعدنية خواص غريبة وخلقها وتكوينها عجيب جداً . . فاذا فكر العقل في لطيف صنع الباري جلَّ جلاله ، واتقان حكمته فيها متعجباً ، باهتاً ، ويزداد بربه معرفة . . وخاصة إذا فكر في خلقة «الدرة»[1] وتكوينها .

وذلك . . ان هذه الجوهرة . . إنما هي ماء ورطوبة هوائية عذبة ودهنية جامدة منعقدة بين صدفين كأنهما خزفتان منطبقتان ظاهرهما خشن وسخ ، وباطنهما املس نقي ابيض في جوفها حيوان كأنه قطعة لحم خلقته خلقة الرحم ومسكنه في قعر البحر المالح ، وهو قد ضم ذينك الصدفين على نفسه من الجانبين كما يضم الطائر جناحيه عند السكون عند الطيران مخافة ان يدخل فيه ماء البحر المالح ، حتى اذا احس بسكون البحر عن الاضطراب في أمواجه ارتقى من مقره إلى اعلى سطحه بالليل في وقت من الزمان معلوم مخصوص عنده وفتح تلك الصدفتين كما تفتح صغار الطير افواهها عند زق الطائر لها ، وكما يفتح فم الرحم عند الجماع فيرشح في جوفه من ندى الهواء ورطوبة الجو ، وتجتمع فيه قطرات من الماء العذب في ذلك ، والصقيع الذي يقع في الليل على النبت والحشيش ، فاذا اكتفى ضم تينك الصدفتين على نفسه ضماً شديداً مخافة ان يرشح فيه ماء البحر المالح فتفسد تلك الرطوبة العذبة بما يخالطها من ملوحته ، وينزل برفق إلى قرار البحر فيسكن هناك زماناً ، فاذا طال الزمان على تلك الرطوبة العذبة

---

(١) الدرة «اللؤلؤة» .

غلظت وثقلت وصارت في قوام الزئبق وتدحرجت في جوفه بحركته فيصير حبات مستديرات كما يصير الزئبق اذا تبدد وتدحرج ، ثم على ممر الزمان تجمد وتنعقد وتصير دراً ، صغاراً وكباراً .

واعلم أيها الأخ البار الرحيم :

إن اليواقيت احجار صلبة حارة يابسة شديدة اليبس ، رزينة صافية شفافة مختلفة الألوان بين احمر واخضر واصفر وأزرق واصلها كلها ماء عذب وقف في معادنها بين الأحجار الصلبة والصخور والصفوان زماناً طويلاً فغلظ وصفا وثقل ، وانضجته حرارة المعدن لطول وقوفه ، فاتحدت اجزاؤه وصارت صلبة لا تذوب في النار البتة لقلة دهنيته ، ولا تفرغ لغلظ رطوبته ، بل يزداد حسن لونه ، وخاصته الأحمر منه لا تعمل فيه المبارد لشدة صلابته ويبسه إلا الالماس والسباذج بالحق في الماء ومعدنه في البلاد الجنوبية تحت خط الاستواء وهو قليل الوجود عزيز كثير الثمن لقلة وجوده .

وأما الزمرد والزبرجد فهما حجران يابسان باردان جنسهما واحد موجودان في معادن الذهب ، وغيرهما وأجودها ما كان ذا خضرة وصفاء ، وشفافاً .

ومن أكثر النظر إلى الزبرجد ذهب عن بصره الكلال ، ومن تقلد منه أو تختم به سلم من الصرع . والدهنج عدو للزبرجد ويشبهه في النظر ، واذا وضع معه في موضع كسره ، وكدر لونه وأذهب نضارته .

وأما الدر «اللؤلؤ» الذي مر ذكره ، فخاصيته انه ينفع في خفقان القلب من الخوف والجزع الذي يكون من مرة السوداء ، لأنه يطري دم القلب ، ويدخل في أدوية العين ، ويشد اعصاب العين ، وان حك وطلي به بياض البرص اذهبه ، وان سقي ذلك الماء من كان به صدع اسكنه .

وأمّا الفضة فإنها أقرب الجواهر الذائبة إلى الذهب ، وهي باردة لينة معتدلة حتى تكاد تكون ذهباً لولا انه غلب عليها البرد في معدنها قبل النضج وهي في قسمة القمر ، فإذا طرح عليها المس او الرصاص عند السبك امتزجت بهما ، واذا خلصت منهما تخلصت ويسودها الكبريت ويكسرها الزئبق ويحسن لونها البورق ويعين على سبكها ، ويدفع عنها احراق النار ، واذا سحقت وادخلت في الأدوية المشروبة ـ نفعت من الرطوبات اللزجة وهي تحترق بالنار اذا الحت عليها ، وتبلى في التراب بطول الزمن .

وفي الرسالة الخامسة من الجسمانيات الطبيعيات من رسائل اخوان الصفاء التي المحنا اليها بيانات مستفيضة عن هذا العلم . . مما يدل على ان اخوان الصفاء اولوه عنايتهم ، وفسروا غوامضه ، وادخلوه في نطاق علومهم وفلسفتهم وممثولاتهم .

ومهما يكن من أمر . . فان المصادر التاريخية العربية تؤكد : بأن جابر بن حيان هو اول من اختص بهذا العلم ، وأول من جال في آفاقه ، وذكر انه درسه على الإمام «جعفر بن محمد» الصادق . . ونحن لا ننكر ذلك ، ولكننا نؤكد :

بان ابن سينا سار على غرار اخوان الصفاء واقتطف من ثمارهم ، ونهل من ينابيعهم ، وقد تجلىّ ذلك عند بحث «الذرة» . . التي جعلها في المقام الأول فيعصره بالنسبة للعلوم الطبيعية ، وقد اشرنا إلى ذلك في الصفات الأولى من هذا الباب .

أما اخوان الصفاء ، فبالرغم من انهم سبقوه إلى ذلك ، فانهم قد استعملوا «التقية» ـ ورغبوا ان يبقى هذا العلم سراً من الأسرار ، بقولهم عن الذرة :

«إن هناك علماً لو أردنا البوح به لأهلكنا الحرث والنسل» .

وتبقى نظرية «الاسطقس» . . التي ناقشها ابن سينا وأفرد لها بحثاً خاصاً . . كما ان جابر بن حيان في رسائله عن الكيمياء[1] تحدث عنها مطولاً عندما بحث جوهر الكائنات . . تلك الفكرة التي خامرت العلماء الطبيعيين ، والذين زعموها في الموجات الكهربائية المغناطيسية المشكلة للكون والتي تلتقي بها المادة بالقدرة .

أما العلة المنطقية التي يذكرها ابن سينا عن سبب قبول فكرة الاسطقس ، فهي الاهتداء إلى العنصر الأول ، وقد ناقش فعلاً فكرة الاسطقس باحثاً في علل كل فريق ممن جعل النار او الماء او الهواء مصدر العناصر جميعاً ، ساعياً لإيراد كل حجة ونقضها .

وقد يطول البحث ويتشعب ، ويخرج عن نطاق اختصاصنا ، ولكن بالرغم من كل هذا . . بالامكان القول :

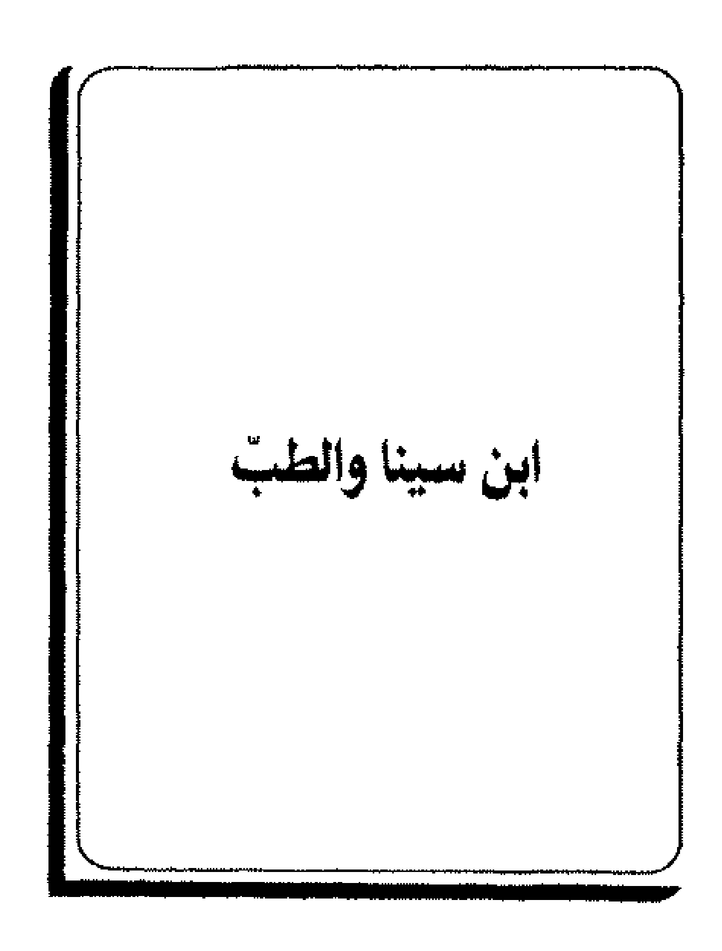
بان ابن سينا كان يرى ان المشكلات الطبيعية نسبية نظراً لحواسنا ، وامكانية المعرفة ، واذا كان هناك من وجود للعنصر الأول . وامكان استحالة الاجسام ، فذلك ليس بمقدور البشر ، وعلى هذا الأساس لا يكون قلب جوهر المادة في امكان الكيميائيين .

ويبقى ابن سينا في كل اقواله عن هذا العلم الفيلسوف الباحث المدقق الذي ترك الموضوع للاجتهاد وللبحث وللاستقصاء وهذه هي صفة العلماء الباصرين الذين جاءوا إلى هذه الدنيا وهدفهم خدمة الانسانية ، والسير في طريق المعرفة والعقل . . ناكرين ذواتهم ، زاهدين بالشهرة والفائدة .

---

(١) رسائل جابر بن حيان ـ بول كراوس .

الفصل الرابع



ابن سينا والطبّ

ابن سينا الطبيب :

الطب في عصر ابن سينا ، هو حصيلة كل ما توصل إليه الباحثون من علم الطب لدى الإمام قبل ظهور الإسلام . . أو بلغة أصح وحصيلة ما ترجم إلى اللغة العربية من كتب الطب اليونانية مثل ابقراط وجالينوس ، أو من طب اليونان المترجم إلى اللغة الفارسية ، أو السريانية التي مزجت فيه مختارات طب الكلدان القديم . وبالامكان اضافة الطب الهندي إلى الذي حمله بعض اطباء الهند إلى بغداد في العصر العباسي .

فهذه العناصر انصهرت وتفاعلت وانتظمت اخيراً في كتابي «الحاوي» و«الملكي» للرازي واعتبرت المرجع الأول في الطب ، وظلت إلى ان ظهر كتاب «القانون» في الطب لابن سينا ، فألقى ظلاً كثيفاً على هذا العلم ، وما زال حتى أصبح المرجع الأعلى ، ليس في الشرق بل وفي الغرب .

من الواضح . . ان ابن سينا قد تجلت عبقريته منذ صغره ، وظهرت عليه منذ حداثته عقلية العالم المتفتح الذاهب إلى لقاء الحقيقة . . وهذا ما حفز به إلى الانصراف بجدية ونشاط إلى دراسة

العلوم ، وأولى الطب عناية خاصة ، عندما اخذ يدرسه على أمهر الأطباء في ذلك العصر ، ومن المؤكد : انه بفترة قصيرة ، وفي سن مبكر انتزع اعجاب الأطباء الكبار الذين هرعوا إليه للاستفادة من علمه وتجاربه ، وهو في سن الثامنة عشرة .

إن تعاليم ابن سينا وآراءه في الطب استطاعت أن تسود الأوساط الطبية العالمية مدة ستة قرون .. وهذه التعاليم دونها في الكتب التي نقلت إلى عدة لغات ، وأصبحت مرجعاً عاماً لأطباء العالم ، وأساساً للمباحث الطبية في جامعات فرنسا وايطاليا .

ومن المؤكد ان كتاب «القانون» هو أهم مؤلفات ابن سينا ، بل أهم المؤلفات العربية في هذا العلم ، ومن الواضح : انه ينقسم إلى اقسام وفروع وفق تصنيف علمي دقيق ، مما يجعله موسوعة طبية اعتبرها الباحثون كمركز لإشعاع علمي ، أو كمنهج وحيد لدراسة الطب في عصري القرون الوسطى والنهضة .

ومما تجدر الاشارة إليه .. ان هذا الكتاب قد طبع بالعربية ثلاث مرات :

الأولى في روما سنة ١٥٩٣ م والثانية في بولاق ـ مصر سنة ١٢٩٤ هـ والثالثة في لكنهو ـ الهند سنة ١٣٠٨ هـ .

وعندما يستعرض الباحث هذا الكتاب ، ويطلع على ما جاء فيه ، فلا شك أنه سيقول عنه :

بانه منظم على الأصول الحديثة في الأدب الطبي .. ففيه ولأول مرة في تاريخ الطب ، تقسيم الفصول ، إلى رأسية وصدرية وباطنية وعصبية ونسائية وتناسلية الخ ..

فمؤلفه ابن سينا .. يبدأ الشرح والتعبير على كل قسم بقسمه .. مفصلاً المرض وأسبابه ونشأته ، ثم ينتقل إلى الحديث عن عوارضه ،

وأخيراً على طريقة مداواته والوقاية منه . . مما يجعل القارىء يشعر بأنه يقرأ كتاباً حديثاً وضع في القرن العشرين .

ومن المفيد ان نذكر . . ان ابن سينا خصص قسماً منه لنقد بعض الآراء الهندية والفارسية في الطب . وهذا الكتاب القيم ترجم إلى اللاتينية ، ثم اعيد طبعه أكثر من ثلاثين مرة . . هذا بالاضافة إلى ترجماته إلى اللغة الانكليزية .

ومن أشهر ابتكارات ابن سينا الطبية . . فحوصه الدقيقة ودراساته في الدورة الدموية عند الجنين ، وتشريح القلب . . وكل هذا لم يجده احد عند «ابقراط» ولا عند «غالين» .

فابن سينا أول من عرف ان الجنين يأخذ بواسطة المشيمة شريانين اثنين ، ويرد وريداً واحداً عن طريق حبل السرة ، وقد وقع هذا قبل ستمائة عام من اكتشاف الدورة بواسطة العلامة «وليم هارفي» .

ووصف ابن سينا سير الدم في الجنين عن طريق الكبد إلى القلب بكل دقة ، وشرح قلب الجنين ، وقسمه إلى الأقسام المعروفة لدى أشهر الأطباء . . كما وصف الثقب الموجود في الجدار الفاصل بين «الأذينين» وعرف أهميته . فقال عنه :

إن هذا الثقب يسد حالاً عندما يتنفس المولود لأول مرة ، وتبدأ بذلك الدورة الدموية الرئوية ، وعرف ابن سينا : ان الجنين يأخذ غذاءه من امه بواسطة المشيمة والشريانين وفيهما الدم النقي ، ويعيد الدم الفاسد بواسطة الوريد .

ووصف ابن سينا اعراض حصى المثانة السريرية وصفاً واضحاً ضافياً وبالغاً في الدقة بحيث انه يكاد لا ينقص في شيء عن الطب الحديث لها ، فبعد ان ميز بين اعراض كل من الحصى المثانية

والحصى الكلوية قال :

يجب ان نتأمل ما قلناه في حصاة الكلية . . ثم ننتقل إلى تأمل هذا الباب ، وقد علمت الفرق بين حصاة المثانة ، وحصاة الكلية في الكيفية والمقدار ، وبالفرق بين الحصاتين . فكانت الكلويسة الين يسيراً ، وأصغر ، وأقرب إلى الحمرة ، والمثانية ، اصلب وأكبر جداً ، وأقرب إلى الدكنة والرمادية والبياض ، وان كان يتولد فيها حصاة متفتتة .

والمثانية تتميز في الأكثر بعد انفصال ، واكثر من تصيبه حصاة المثانية نحيف ، وفي الكلية بالعكس ، والصبيان من يليهم تصيبهم حصاة المثانة .

ويقول :

إن البول في حصاة المثانة إلى بياض ورسوب ليس بأحمر ، بل إلى بياض أو رمادية ، وربما كان بولاً غليظاً زيتي الثقل ، وأكثره يكون رقيقاً وخصوصاً في الابتداء .

ولا يكون ايجاع حصاة المثانة كايجاع حصاة الكلية ، لان المثانة مخلاة في فضاء إلا عند حبس الحصاة للبول . فان وجعه يشتد عند وقوعها في المجرى .

والخشونة في حصاة المثانة أكثر ، لأنها في فضاء يمكن ان يتركب عليها ما يخشنها ، ولذلك هي اعظم لان مكانها أوسع . وقد يتفق ان يكون في مثانة واحدة حصيتان ، أو أكثر من ذلك فيكثر تفتيت الرميلة ، وقد يكون مع الرميلة «نخالى» لانجراد سطحها عن الحصاة الخشنة ، وربما بال في آخره بلا ارادة ، وكلما فرغ من بول يبوله ، اشتهى ان يبول في الحال ، والمتغاضي لذلك هي الحصاة المستدفقة استدفاع البول المجتمع . . وكثيراً ما يبول الدم لخدش الحصاة

خصوصاً إذا كانت خشنة وكبيرة ، وكثيراً ما تحبس ، فإذا استلقى المحصور واشيل وركاه ، وهز زالت الحصاة عن المجرى ، واذا غمز حينئذ في العانة انزرق البول . . وهذا دليل قوي على الحصاة .

والحصاة الصغيرة احبس للبول من الكبيرة ، لأنها تنشب في المجرى ، وأما الكبيرة فقد تزول عن المجرى بسرعة .

ويؤكد ابن سينا : ان حصاة المثانة تكثر في البلاد الشمالية وخصوصاً في الصبيان . ووصف ابن سينا التهاب السحايا الأولى وصفاً صحيحاً ، فكان وصفه فتحاً جديداً في عالم الطب . . فقد ابان الفرق بينه ، وبين التهاب السحايا الثانوي والأمراض . ووصف التهاب السحايا الحاد ، مما يثير الدهشة عندما نقارنه بمستوى الفكر العلمي في عصره .

يقال «قرانيطس»[1] للورم الحاد في حجاب الدماغ الرقيق أو الغليظ دون جرمه ، وان كان جرمه قد يعرض له ورم ، وليس كما ظن بعض المتطببين ان الدماغ لا يرم .

أما علاماته المشتركة لأصنافه الحقيقية ، فحمى لازمة يابسة تشتد في الطهائر على الأكثر ، وهذيان يفرط تارة وينقطع أخرى ـ كراهة للكلام ، وكسلاً منه ـ ويختلط العقل وأكثر بقرب الربيع ، وعبث الأطراف ، ونفس مضطرب غير منتظم . . ولكنه عظيم ، وامتداد من الشراسيف إلى فوق كثيراً ، واختلاج اعضاء معه وقبله ، ينذر به ، وربما كان معه نوم مضطرب ينتبهون عنه فيصيحون تارة ، وينامون تارة ، وتارة يسهرون ، ويكون في الأكثر نومهم مضطرباً مشوشاً مع خيالات واحلام فاسدة هائلة ، وانتباه مشوش مع صياح ، ويكون هناك وقاحة وجسارة وغضب فوق المعهود ، ويبغضون الشعاع ، ويعرضون

---

(١) كلمة يونانية تعبيرها «السرسام الحار» .

عنه وتضطرب السنتهم اضطراباً شديداً وتخشن ويعضون عليها .

ويتقدم «قرانيطس» نسيان للشيء القريب ، وحزن بلا علة ، واحلام ردئية ، وصداع كثير وثقل وامتلاء ، ووجع من خلف الرأس عند الفضا وخصوصاً في الصفراوي . . ويبست اعينهم يبساً شديداً ، ثم اخذت تدمع وخصوصاً من احدى العينين ورمضت وكثيراً ما يعرض ان تحمسر عروقها حمرة شديدة ، وربما عقبه قطرات دم من الأنف ، وكثيراً ما يدلكون اعينهم ويميلوا إلى سكوت وهدوء في أكثر البدن إلا في اليدين فإنه ربما يعبث بهما ، وربما حدث بهم تقطير بدل بمعرفة منهم او بغير معرفة .

وعلامات «السرسام»[1] الحقيقي تتقدم ثم يعرض المرض . وأما الغير حقيقي فتتقدمه ، أمراض اعضاء اخرى ثم تظهر علاماته . وأما الكائن من جهة الحجاب الحاجز وعضلات الصدر فتتقدمه علامة السرسام وذات الجنب من وجع ناخس في الجنب عند التنفس ، وضيق نفس ونبض منشاري وسعال يابس أولاً ثم يرطب في الأكثر وينفث ويكون مع حمى لازمة .

أما الأمراض التي تسبب اليرقان فقد شرحها ابن سينا شرحاً مسهباً وافياً ، كما شرح السكتة الدماغية الناتجة عن احتقان الدم ، مخالفاً بذلك التعاليم اليونانية .

وأما داء الجنب فقد أوضح ابن سينا تشخيصه ، وبيّن الفرق بين اعراضه ، وأعراض بعض الأمراض المشابهة له كخراج الكبد وذات الرئة والتهاب الحيزوم .

ثم قال :

---

(١) كلمة فارسية معناها ورم في حجاب الدماغ يحدث عنه حمى واختلاط في الذهن .

لذات الجنب الخالص علامات خمس وهي :

حمى لازمة لمجاورة القلب ، والثانية : وجع ناخس تحت الاضلاع لأن العضو غشائي وكثيراً ما لا يظهر إلا عند التنفس ، وقد يكون مع النخس تمدد وربما كان أكثر ، والتمدد يدل على الكثرة ، والنخس على القوة في النفوذ واللذع . . والثالثة : ضيق نفس لضغط الورم وصفرة وتواتر منه . . والرابعة : نبض منشاري سببه الاختلاف ، ويزداد اختلافه ، ويخرج عن النظام عند المنتهى لضعف القوة وكثرة المادة . . والخامسة : السعال فإنه يعرض في أول هذه العلة سعال يابس ثم ينفث وربما كان هذا السعال مع النفث في أول الأمر .

ولما كان ذات الجنب يشبه ذات الكبد بسبب السعال والحمى وضيق النفس ولتمدد المعاليق واندفاع الألم إلى الغشاء المستبطن ، وجب ان يفرق بينها وبينها .

فالفرق بين ذات الجنب ، وذات الكبد . . هو ان النبض في ذات الكبد موجى والوجع ثقيل ليس بناخس ، والوجه مستحيل إلى الصفرة ، الرديئة ، والسعال غير نافث ، بل تكون سعالات يابسة متباطئة ، وربما اسود اللسان بعض صفرته ، والبول يكون غليظاً استسقائياً ، ويكون البراز كبدياً ويحس بثقل في الجانب الأيمن ، ولا يدركه اللمس فيوجع ، وربما كان في ذات الكبد اسهال يشبه غسالة اللحم الطري لضعف القوة ، وإذا كان الورم في الحدبة احس به في اللمس كثيراً ، وأن كان في التقعير كشف عنه التنفس المستعصي ، والفرق بين ذات الجنب ، وذات الرئة أيضاً هو ان نبض ذات الرئة موجى ، ووجعه ثقيل وضيق نفسه اشد ونفسه اسخن وعلامات اخرى .

وتناول ابن سينا في كتابه «القانون» علم الصحة بصورة عامة ، فأبدى من الارشادات الصحية ما هو أهل لتقدير أطباء اليوم . . فمن كلامه عن استحمامه بالماء البارد مثلاً يقول :

إنمـا يصلح من كل الـوجوه مستقصى وكـانت سنه وقـوته وسحنتـه وفصله مـوافقـاً ، ولم يكن بـه تخمة ولا قيء ولا اسهـال ولا سهـر ولا نوازل ولا هو صبي ولا شيـخ ، وفي وقت يكون بـدنه نشيـطاً والحركـات متواتية ، وقد يستعمل ذلـك بعد استعمـال الحار من المـاء لتقويـة البشرة وحصر الحرارة ـ الغريزيـة . فإذا اريـد ذلك فيجب ان يكـون ذلك المـاء غيـر شديـد البرد بـل معتدلاً ، وقـد يستعمل بعـد الريـاضـة ، فيجب ان يكـون الدلـك قبله اشد من المعتـاد . وأما تمـريـخ الـدهن فيكـون على العادة وتكون الرياضة بعد الدلك ، والتمريخ معتـدلة واسـرع من المعتاد وقليـلاً قليلاً . . ثم يشـرع بعد الـرياضـة في الماء دفعـة ليصيب أعضـاءه معاً، ثم يلبس فيه مقدار النشاط والاحتمال، وقبل أن يصيبه قشعريرة، ثم إذا خرج ذلك بما نذكـره ، وزيد في غـذائه ، ونقص من شـرابه ، ونـظر في مـدة عودة لـونه وحـرارته إليـه ان كان سـريعاً علم ان اللبث فيـه كان معتدلاً ، وان كان بطيئاً علم ان اللبث فيـه قد كـان ازيد من الـواجب ، فيقدر في اليوم الثاني قدر ما يعلم من ذلك .

ومن اراد ان يستعمـل ذلـك فليتـدرج فيه ، وليبـدأ أول مـرة من اسخن يـوم في الصيف وقت الهاجـرة ، ويتحرز ان لا يكـون فيه ريـح ، ولا يـستعمله عقب الجمـاع ، ولا عقب الطعـام ، والـطعـام لم ينهضم ، ولا يستعمله عقب القيء والاستفـراغ والهيضة والسهـر ، ولا على ضعف من البدن ولا من المعدة .

ومن عبقرية ابن سينا ودقة ملاحظاتـه وابتكاره مـا يشبه بكيس الثلج في أيامنا . . فقد روي عنه :

إنـه صـرع يـومـاً ، فتصـور ان مـادة تـريـد النـزول إلى حجـاب الرأس ، وانه لا مأمن من ورم يحصل فأمر بـاحضار ثلج كثيـر ودقّة ولفّـه في خرقة ، وغطى رأسه بها حتى قوي المـوضع ، وامتنـع عن قبول تلك المادة وعوفي .

ولا بد من التنويه والاشادة : بأنه اول من اكتشف في العالم الحقن بالابر تحت الجلد للعلاج من الأمراض ، وأول من استخدم التخدير لاجراء العمليات الجراحية . . ويقال ان البنج تمّ اخراجه من (الزوان او الشيلم) . . وهكذا فلو لم يكن لابن سينا غير هذين الاكتشافين لكان ذلك كافياً للاعتراف بفضله الكبير على الانسانية .

ومهما يكن من أمر . . فقد عني العلامة «براون» في كتابه «الطب العربي» بابراز قيمة تعاليم ابن سينا الطبية ، حتى انه ذهب إلى القول :

بأن هذه التعاليم توصلت في جميع مدارس القرون الوسطى بفضل نفوذها الفريدة ـ إلى اعضاء الباحثين من القيام بأعمال التحري والتنقيب العلميين .

ويقول براون عن كتاب القانون :

إن طابعه الموسوعي وتنسيقه الدقيق ، وتصميمه الفلسفي . . بل لعل اسلوبه العنيف في الجزم أيضاً ، مضافاً إلى شهرة المؤلف في غير الطب من ميادين الفكر . فكل هذا اعطى القانون مكانة فريدة في عالم الطب ، وقد استطاع ان ينسخ مؤلفات الرازي ، وعلي بن عباس .

وقد ذكر :

ان من يرغب في ان لا يطالع غير كتاب واحد يستطيع ان يكتفي بدرس قانون ابن سينا الذي تماماً يوفي بالمطلوب .

وعلى العموم . . فإن الحديث عن ابن سينا الطبيب يطول ، ولا تفي به الصفحات ولا المجلدات ولكن لا بد من القول عند ختام الحديث عن هذا الموضوع :

بانه بالرغم من بعد صيت الرازي وعبقريته في الطب ، وبراعة المجوسي علي بن موسى ، وسعة علمه ، فإن ابن سينا سيطر على

عقول الناس ، وعلى الفكر الطبي في الشرق والغرب على السواء قروناً طويلة ، امتدت حتى القرن السادس عشر .

ففي الطب النظري سار على نهج ابقراط وجالينوس ، رغم سيطرته على الأفكار والمناهج الطبية قروناً عديدة ، وقد خالفهما في اسناده إلى الشبكية دوراً أكبر في عملية الابصار من العدسة .

ومن الجدير بالذكر . . ان له رأياً في العقم يعتبر مبتكراً وجديداً ولم يسبقه اليه احد . . فقد قال :

لو بدل كل صاحبه لبطل العقم وكان الولد .

وله آراء قيمة أيضاً في باب التشخيص التفريقي بين الصرع والهستريا . . اذ يبين ان بينهما تشابهاً في كثير من الأحكام .

أما الخلاف في الأعراض بينهما فهو ان الصرع يفقد العقل ، وان المهوسة اذا قامت حدثت بأكثر ما كان بها ، وان الزبد لا يسيل من المهوسة سيلانه في المصروعة . . فالهوس لا يفقد العقل ولا التذكر .

وتعرّض ابن سينا إلى انتقال الأمراض بالماء والتراب ، ووصف الداء الخيطي بشكل لم يسبق إليه ، وذكر انتشار الدودة الخيطية في الجسم واعراضها ، وتعرّض للديدان المعوية ، وبين عوارضها . . فقال :

إن الأمراض ما يحدث بالعدوى . . ومن الأمراض معدية مثل الجذام والجرب والجدري ، والحمى الوبائية ـ والقروح العفنة ، وخصوصاً عندما تضيق المساكن ، ومثل الرمد .

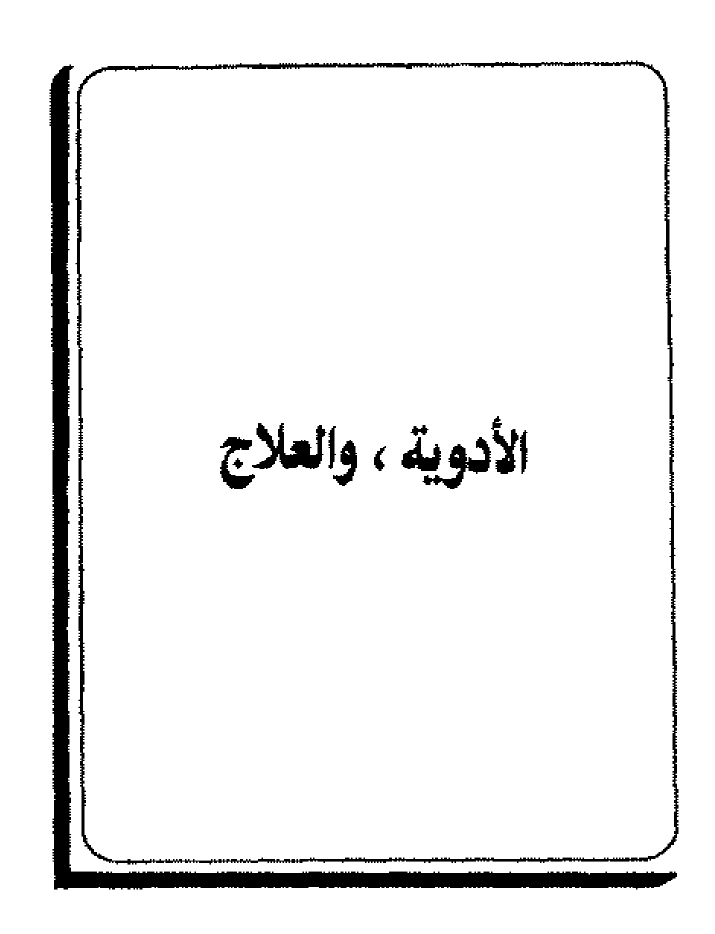
في خاتمة المطاف نقول :

إنه من الصعوبة بمكان علينا ان نأتي على كل شيء تناوله ابن سينا عن الطب وقد كان حديثنا الموجز عن هذا الموضوع يدخل في

نطاق البحث عن عبقرية هذا العالم الانساني الفذ الذي لم يتخذ من مهنة الطب مادة للتكسب ، وانما جعلها لخدمة الناس ، وسلاحاً سياسياً ـ ينفذ فيه إلى بلاطات الملوك والامراء بحيث يتمكن من خلاله تنفيذ مخططه المدروس .

إنني على يقين . . بأنه من الصعوبة بمكان ان نجد بعض مضي الف عام على ولادته من يسد الفراغ ، ولا ندري فيما اذا كانت الأيام القادمة ستشهد ولادة ابن سينا ثاني ينسينا ابن سينا الأول الذي تعجز الافلام عن ايفائه حقه .

الفصل الخامس



الأدوية ، والعلاج

مكانة موقع العسل

(١)

(قال الشيخ الرئيس) : إنّ العسل يقع بجبل قصران كما هو طلا ويختلف بحسب ما يقع عليه من الشجر والحجر والظّاهر منه يلقطه النّاس والخفي يلقطه الرّجل[١] .

خواص شجرة ازدرخت

(٢)

(قال الشيخ الرئيس) :

(ازدرخت) شجرة كبيرة معروفة تسمّى بطبرستان ضاحك لها ثمر يشبه النّبق ورقها يقتل البهائم وعصارة ورقها تقتل القمّل وتبطيل الشعر .

وقال أيضاً : ثمرتها ربّما قتلت وأحدثت كرباً عظيماً إذا أُكلت والله الموفّق[٢] .

خواص شجرة بان

(٣)

وفيه (بان) شجرة معروفة حبّها أكبر من الحمّص مائل إلى

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ١ ص ٢٧٦ .
(٢) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٦ .

البياض طيّب الرّائحة وله لب دهني .

(قال الشيخ الرئيس) : في شجرة بان أنّه ينفع من البرص والكلف والبهق وأثار القروح وينفع من الثآليل في المراحم وطبيخه ينفع من وجع الاسنان مضمضة .

(وقال غيره) : ينفع من الجرب وينفع من الرّعاف[1] .

خواص شجرة بطم

(٤)

وفيه (بطم) شجرة جبلية معروفة ثمرتها[2] الحبة الخضراء .

(قال الشيخ الرئيس) في شجرة بطم أنه يجلو الجرب والقوباء .

(وقال غيره) : ينفع من الباه سيّما رطبها ودهنها ينفع من الفالج واللّقوة ويذهب شهوة الطعام وصمغها وثمرتها ينفعان بالشراب انهش الرّتيلا[3] .

خواص شجرة بلسان

(٥)

(بلسان) : شجرة توجد بمصر دون غيرها من البلاد ولا في غير ذلك الموضع بمصر أيضاً وهو موضع يعرف بعين شمس وهي شبيهة الرّائحة والورق بالسذاب لكنّها تضرب إلى البياض .

(قال الشيخ الرئيس) : في شجرة بلسان : حبّها وعودها ينفعان من وجع الرّئة والجنبين وعرق النسا والصرع والدوران وينشفان رطوبة الارحام بخوراً وينفعان من العقم ويقاومان السموم ونهش الافاعي ، دهنها يؤخذ عند طلوع الشعرى بأن يشرط بالحديدة . ويجمع ما يبتدىء بقطنة ولا تجاوز الستة أرطال ثم يدفع إلى رجل نصراني يعرف طبخها ولا يعلم أحد إلاّ ولده وهو أعزّ دهن في الدّنيا .

---

(١) حياة الحيوان ج ٢ ص ٦ إلى ص ٧ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٧ .

وقال أيضاً في شجرة بلسان انه : يجلو الغشاوة ويخرج الجنين والمشيمة وينفع من عسر البول ويذهب بالنافض وينفع من سموم الهوام خاصة العقرب ذكروا أنّ الخاصية للبئر التي يسقي منها تلك الأشجار أنّه اغتسل فيها عيسى عليه الصّلوة والسلام وأمّا الاشجار فنقلت إلى غير ذلك الموضع وسقيت من غير ذلك الماء فما أفادت شيئاً سقيت بها فزكت والله الموفق[1] .

خواص شجرة بلوط

(٦)

(بلوط) من أشجار الجبال قالوا إنّها تثمر سنة بلوط وثمر أُخرى عفصا ورق البلوط إن أُلقي على حيّة لم تستطع أن تسعى .

(قال الشيخ الرئيس) ورق البلوط ينفع من سمّ السهام وسموم الهوام ونزف الدّم[2] .

خواص شجر التفاح

(٧)

وفيه : (قال ابن سينا) في التفاح : عصارة ورق التفاح نافعة من السمّوم وزهرة شجر التفاح تقوّي الدّماغ تقوية عجيبة .

(وقال أيضاً) : إدمان أكل التفاح يورث أوجاع الأعصاب وخصوصاً الرّبيعي وهو نافع من السمّوم .

(وقال غيره) : تطلى رجل المنقرس بعصارته يسكن ألمها وأكله وشمّه يقوّي القلب والفج منها نافع من سمّ العقرب ومن كل سم حار وإذا أردت أن تبقى التفاح زمانا طويلاً لففتها في ورق التين أو ورق الجوز وتركتها تحت الأرض أو وسط الطين تبقى مدّة طويلة والله أعلم .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٧ إلى ص ٨ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٨ .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا أردت غرس تفاح فازرع حواليها العنصل فإنّ الدّود لا يقع في ثمرتها وإذا غرست تحتها الورد الأحمر يحمّر ثمرتها[1] .

خواص شجرة تنوب

(٨)

(تنوب) شجرةعظيمة جداً منابتها جبال ذروة الرّوم يوجد منها أجود القطران .

(قال الشيخ الرئيس) : ورق شجرة تنوب يوضع على الجراحات الطريّة تمنع فسادها وخشبها بالخل نافع لوجع الأسنان ويقال لحبه قضيم قريش وهو يعين على التّعب من الصداع ، وصمغه عظيم النفع للسعال المزمن والزفت البري سيال شجرته يقلع بياض الأظفار وينفع من شقاق القدم طلاء وينبت الشعر في داء الثعلب ضماداً ودخان الزفت يحبس أهداب العين وينبت الأشعار ويقوّي البصر . والله الموفق .

خواص شجرة توت

(٩)

وفيه (توت) شجرة من أعز الشجر لأنّ دود القز لا يأكل إلاّ من شجره وورقه .

(قال الشيخ الرئيس) : يطبخ ورق التوت الحلو وورق الكروم وورق التين الاسود بماء المطر لتسويد الشعر .

(وقال غيره) : ورق التوت الحامض ينفع لوجع السن والتوت الأسود يوضع على لسع العقرب يسكن وجعه في الحال وقشر التوت يؤكل مع التّرنجبين ينقي البطن والبدن عن حبّ القرع .

---

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٨ إلى ٩ .

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٩ .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا زرعت تحت شجرة التوت العنصل يقوى ويكثر نماؤه[1] .

خواص ثمرة التين

(١٠)

(تين) : (قال ابن سينا) في التين : خشبها ينفع من لسع الرتيلا سقياً ومسحاً ودخان خشبها إذا أصاب صاحب الادرة لا يملك نفسه من وجع المثانة والخصية ولبن عيدانها إن قطر على موضع اللسعة لم يسر سمها في الجسد وقضبانها تهري اللحم إذا طبخ معها وعصارتها قبل أن تورق تنفع إذا جعلت على السن المتآكلة .

(وقال أيضاً) : يجعل ورق شجر التين طرياً مع الفج من ثمرتها على عضة الكلب فإنّه ينفع وعصارة ورقها تقلع آثار الوشم .

(وقال أيضاً) في التين : الفج منه يضمد به الخيلان والثآليل والبهق يقلعها والمداومة على أكله تصلح اللّون الفاسد وهو يسمّن سمناً ، سريع التحلّل ويعمل جدّاً وينفع أكله رطباً ويابساً من الصرع ويطلي بلبنه الدّماميل ينضجها ويقطر على الثّآليل يقلعها وعلى الجراحة التي عليها لحم فاسد ينقيها ولبن التّين مع العسل ينفع من الغشاوة ويقطع شهوة الطعام وينفع من لدغ العقرب .

(قال ابن عبّاس رضي اللّه تعالى عنه) هذه الثمرة أقسم اللّه بها لأنها تشبه ثمار الجنّة لكونها على قدر اللّقمة وخلوها عن العجم والنوى .

(وقال رسول اللّه ﷺ) وأحضر عنده التين لو قلت ثمرة أنزلت من الجنة لقلت هذه كلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس .

(قال صاحب الفلاحة) في التين : إذا أردت غرسه فاجعله في

---

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٩ إلى ١٠ .

ماء الملح يوماً ثم أجعله تحت خثى البقر ثم أغرسه فإنّ طعم ثمرته يطيب جداً وإذا سقيتها بماء الزّيتون لا يسقط من ثمرتها شيء وإذا غسلت ورق التين بالماء الحار هلك جميعاً .

(وقال أيضاً) : إذا نثرت رماد خشب التين في البساتين هلك ديدانها[1] .

خواص الجوز

(١١)

وفيه : (جوز) من الاشجار التي لا تنبت إلّا بالبلاد الباردة .

(قال ابن سينا) : الجوز الرّطب ضماد لآثار الضربة يزيلها ولبه مصدع يثقل اللسان والإكثار منه يسهل الديدان وحب القرع وإذا فتّت الجوزة وألقيتها في القدر التي ينبت منها الدّخان إلتقطت التين منها ولو القيت تلك الجوزة في الزّيت لم يتغير ولو بقي سنة وإذا أُحرق قشرها يجفّف القروح تجفيفاً جيداً لا لذع فيه ، والجوز المحرق بقشره يسوّد الشعر .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا أردت أن تفتّت قشر الجوز باليد فخذ جوزة وأتركها في بول صبي غير مدرك خمسة أيام ثم أزرعها وأنثر عليها الرّماد وإن شئت خذ جوزة وقشرها بحيث لا يصيب اللّب خدش ثم ضعها في كاغذ أو خرقة وورقة من كرم أو ذلب ثم أزرعها وأنثر عليها الرّماد فإنّها تثمر جوزاً وقشرها كالكاغذ . وقال إذا وصلت الجوز بشيء من الأشجار لا يعلق إلّا بالفستق فإنها تعلن بها وتكون لها ثمرة عجيبة[2] .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ١٠ إلى ١١ .
(٢) ج ٢ ص ١١ إلى ١٢ .

خواص شجرة خسرودار

(١٢)

(خسرودار) شجرة عظيمة جداً خشبها خولنجان .

(قال ابن سينا) خشبها ينفع من القولنج ويزيد في الباه ويطيب النكهة[١] .

خواص شجرة خلاف

(١٣)

وفيه : (خلاف) شجرة الصّفصاف خشبها خفيف جدّاً يتخذ منه الصوائح ورقها على شكل الخنجر يقوي الدّماغ ويرطبه ويجعل في فراش من ضربه السموم ينفعه .

(قال ابن سينا) إذا ضمد بشجرة خلاف رطباً منع نزف الدم ورماد ورقه مع الخل يقطع الثآليل والنملة وفقاحها طيب الرّائحة جدّاً ويقوي الدّماغ دماؤه يسكن الصداع[٢] .

خواص الزيتون

(١٤)

(زيتون) شجرة مباركة كثيرة النفع أقسم اللّه تعالى بها في القرآن العزيز لعموم نفعها .

(وعن حذيفة بن اليمان رضي اللّه تعالى عنه) عن النبي ﷺ قال : بشجرة الزيتون وأمره أن يغرسها ويأخذ ثمرتها فيعصرها وقال له إنّ في دهنها شفاء من كل داء إلا السام ومن عجيب خواص هذه الشجرة أنّها تصبر عن الماء طويلاً ولا دخان لخشبها ولا لدهنها .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٢ .

(٢) ج ٢ ص ١١ إلى ١٢ .

(قال ابن سينا) في الزيتون : ورقها الأخضر إذا طبخته بالماء ورششت به البيت هرب منه الذّباب ورماد ورق الزيتون يقوم مقام التوتيا وإذا طبخ ورق الزيتون بالخل نفع من وجع الأسنان وإذا طبخ بماء العسل حتى يصير كالعسل وجعل على الاسنان المتآكلة قلعها وصمغها ينفع من البواسير إذا ضمد به وإذا نقع في الماء وبلّ به الخبز وترك للفأرة فإذا أكلته ماتت وصمغ الزيتون البري ينفع من الجرب والقوباء ولوجع الأسنان المتآكلة إذا حشيت به وهو يعدّ من الأدوية القتالة . ثمرتها : روي عن النبي ﷺ : عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويذهب بالإعياء ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم وزيت الزيتون البريّ ينفع من الصّداع واللّثة الدامية تمضمضاً به ويشد الأسنان المتحركة ونواها ينجرّ به لوجع الضّرس وأمراض الرّئة .

(قال صاحب الفلاحة) في الزيتون : ينبغي أن تكثر تحت شجرة الزيتون من المدر فإنّ الغبار إذا سطع على الزيتون زاده دسما ونضجاً وإذا أخذت أوتاداً من شجر البلوط ودققتها في الأرض حول شجرة الزيتون فإنّها تقوّي ويكثر ثمرها .

خواص السفرجل

(١٥)

(سفرجل) : رماد خشبها يفعل فعل خشبها وزهرها عجيب الأثر في تقوية الدّماغ والقلب ، ثمرتها كثيرة الفوائد .

(قال ابن سينا) : السفرجل يسكن العطش ويقوي المعدة .

(وقال غيره) : إذا داومت المرأة الحامل على أكل السفرجل سيما في الشهر الثالث كان ولدها حسن الصورة وإذا انعقد اللّبن في ثدي المرأة يطبخ السفرجل بالعسل ويوضع على ثديها يسكن ألمها ويزيل

ورمها وإذا وضعت السفرجل في موضع فيه العنب يفسد .

(روى) يحيى بن طلحة بن عبد الله عن أبيه قال : دخلت على رسول الله ﷺ وبيده سفرجلة فألقها إليّ وقال دونكها يا أبا محمد فإنّها تجمّد الفؤاد أي تقوّيه .

(وروي) أنّه ﷺ كسر سفرجلة وناول منها جعفر بن أبيطالب رضوان الله تعالى عليه وقال له كل فإنّه يصفّي اللّون ويحسن الولد .

ومن عجيب شأن السفرجل أنه إن قطع بالسكين ذهبت مائيّته ويبقى أيبس ما يكون وإن كسر كان الأمر بخلاف ذلك .

(وقال صاحب الفلاحة) في السفرجل : إذا أردت أن يبقى السفرجل زماناً طويلاً فضعه على نشارة الخشب أو التبن ولا تدع السفرجل في بيت فيه شيء من الثمار فإنّه يفسدها كلّها ويهلك ما سواه[1] .

خواص شجرة الشباب

(١٦)

وفيه : (شباب) ، شجرة يشبه ورقها السمك الصّغار ويكون في طول أصبع ، ثمرتها مثل البنادق الكبار في كل ثمرة ثلاث حبّات سود يقال لحبها ما هو دانه ويقال لها أيضاً حبّ الملوك .

(قال ابن سينا) في شباب أنّه نافع إسهاله من أوجاع المفاصل والنقرس وعرق النساء والإستسقاء ، ورقها يطبخ بالدّيك الهرم ينفع من القولنج[2] .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ١٩ إلى ٢٠ .

(٢) ج ٢ ص ٢١ .

خواص شجرة صندل

(١٧)

(صندل) شجرة هندية معروفة وهو نوعـان أحمر وأبيض أمّـا الأحمر فخشبهـا صلب يطلي بـه الحمرة وينفـع من الصداع أيضـاً طـلاء . وأمّـا الأبيض فخشبها رخو ورائحتها طيّبة .

(قـال ابن سينا) في خشب صنـدل : ينفع من الصـداع والخفقـان العارض في الحميّات شرباً وطلاء[١] .

خواص شجرة عرعر

(١٨)

وفيـه : (عرعر) شجرة كبيرة يشبه ورقها ورق السرو قالـوا هو السرو الجبلي .

(قال ابن سينا) : التّدخين بأي شيء كـان من أجزاء شجـرة عرعـر يطرد الهوام . ثمرته تشبه الزّعرور إلا أنّه شديد السـواد حادّ الـرائحة طيبهـا يقال له الأبهل إذا أغلى بالشيرج في مغرفـة من حديـد حتى يسود الجـوز وقـطّر في الأذن نفـع من الصمّم جـدّاً وإذا شـرب الأبهــل أسقط الجنين وإذا تدخن به أو احتمل بفعل ذلك أيضاً[٢] .

خواص شجرة عفص

(١٩)

(عفص) : شجـرة جبلية ، قـالو إنّ شجـرة البلوط تثمر سنـة بلوط وسنة عفصاً .

(قال ابن سينا) في شجرة عفص : يطلى بها القوباء تزيلهـا ويمنع الرّطوبات الزائدة الفاسدة عن اللّثة وينفع من تآكل الأسنان .

(وقال غيره) : ينثر على القروح الرطبة ينفعها وماؤها يسود الشعر .

---

(١) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ١٩ إلى ٢٠ .

(٢) ج ٢ ص ٢١ .

(وقال الجاحظ أيضاً) : نقلاً عن الفضل بن إسحق أنّه قال رأيت العفص والبلوط على غصن واحد فإن كان صحيحاً فإنّها في الاشجار كالأرانب في الحيوان . فإنّ الأرنب تلد سنة ذكراً وسنة أنثى والتي عليها البلوط والعفص كالخنثى[1] .

خواص شجرة غرب

(٢٠)

وفيه (غرب) شجرة كبيرة (قال ابن سينا) : خشبها يحرق ويعجن بالخل يجفّف الثآليل شجرها يدخل في خضاب الشعر يفيده فائدة جيدة وورقها يجعل على الجراحات الطريّة مسعوقاً ينفعها .

(وقال غيره) : ينفع شرباً من تثبت العلق بالحلق وإذا شرب زهرها ينفع من ظلمة العين ، وصمغها ينفع من ظلمة البصر أكلاً[2] .

خواص زهرة شجرة الغبراء

(٢١)

(غبراء) : شجرة مشهورة خشبها أصبر خشب يكون على الماء يبقىٰ في الماء زمناً طويلاً لا يتعفّن منه شيء .

(زهرتها) : إذا شمّت المرأة رائحتها هاجت بها شهوة الوقاع حتّىٰ ترمي الحياء والصّيانة وراء ظهرها .

(قال ابن سينا) : ينقل بثمرتها يبطىء السّافر ويحبس القيء وينفع من إكثار البول[1] .

خواصّ الفستق

(٢٢)

وفيه : (فستق) : هي شجرة تركيب الحبة الخضراء على اللّوز

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٢٤ .

(٢) ج ٢ ص ٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٥ .

خشبها يشعل في النار وإن كان نديا لفرط دهنيته بخلاف غيره من الأخشاب ثمرتها تنفع من نهش الهوام ويزيد في الباه وينفع من السعال البلغمي ودهنها يزيل الزّرقة من العين إذا داوم على اكتحاله[1] .

خواص شجرة فلفل
(٢٣)

(فلفل) : شجرة تنبت بالهند بناحية منها تسمى مليار وهي شجرة غالبة لا يزال الماء تحتها فإذا هبّت الرّياح تساقطت على وجه الماء .

(قال ابن سينا) في الفلفل إنّه : يجفّف المني وينبذه ويدرّ البول وينفع من ظلمة البصر وإن احتملته المرأة بعد الجماع منع الحبل[2] .

خواص شجرة الفندق
(٢٤)

وفيه : (فندق) : شجرة معروفة ذكر انه إذا خطّ بخشب الفندق دائرة حول العقرب لا يقدر على الخروج منها بقراط ثمرتها تزيد في الدّماغ .

(قال ابن سينا) : زعم قوم أن الفندق يطلي به نافوخ الصّبي الأزرق العين يذهب زرقته .

وقال انه ينفع من النهوش سيّما مع السذاب والتين .

(وقال غيره) : من أستصحب فندقة يأمن من لدغ العقرب ويشوي ويسحق ويطلي به داء الثعلب ينبت الشعر وإذا أكل مدقوقاً محلولاً بالعسل يذهب السّعال العتيق والتنقل به يبطىء السكر والمداومة على أكله يشحذ الخاطر وقشره يحرق ويسحق ويجعل في

---

(١) ج ٢ ص ٢٥ إلى ٢٦ .

من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٢٦ .

الزيت يزيل زرقة عيون الأطفال إكتحالاً ويسودها[1] .

خواص شجرة القرنفل

(٢٥)

(قرنفل) : شجرة تنبت في بعض جزائر الهند ثمرتها كالياسمين إلّا أنّها أشدّ سواداً .

(قال ابن سينا) : ثمرة قرنفل تطيب النكهة وتحد البصر وتنفع من الغشاوة .

(وقال غيره) : ثمرتها تنفع من الغشيان ورائحتها تقوّي الدّماغ البارد الذي غلبت عليه السوداء وتقوّي القلب وتفرحه[2] .

خواص قصب السكّر

(٢٦)

وفيه : (قصب) : معروف وأنواعه كثيرة وأنفعها قصب السكّر وأحسنها ما يوجد بأرض مصر .

منها : قصب الذّريرة يجلب من نهاوند .

(قال ابن سينا) في قصب الذّريرة انه ينفع من كمودة الدّم الميت ويجلو البصر ويبخّر به في الحلق ينفع السعال ومع العسل وبذر الكرفس ينفع من الإستسقاء .

ومنها قصب القنا ينبت بأرض الهند يتخذ منه الرّماح قالوا إنّها تحترق لإحتكاك أطرافها عند عصوف الرّياح ورمادها الطباشير وهو ينفع للخفقان وأورام العين الحارة ويقوّي القلب وينفع من الحميّات[3] .

---

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) نفس المصدر ٢ / ٢٨ .

(٣) ج ٢ ص ٢٨ و ٢٩ .

خواص شجرة كافور

(٣٧)

(كافور) : شجرة كبيرة هنديّة يألفها النسر تظل خلقاً كثيراً لا يصل إليها الناس إلاّ وقت من السنة معلوم وهي سفحيّة بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافورو يسيل من أسفل الشجرة .

(قال ابن سينا) إستعمال الكافور يسرع الشّيب وينفع من الصّداع الحار ويسهر ويقوّي الحواس ويقطع الباه[1] .

خواص شجرة كرم

(٣٨)

(كرم) أكثر الأشجار وجوداً ونفعاً .

(قال ابن سينا) في الكرم : ورقها وخيوطها ضماد الصّداع الحار وأصناف ثمرتها كثيرة وأعجبها عيون البقر كل حبّة كجوزة وأصابع العذارى فإنّ حبّاتها طوال كأصابع العذارى المخضوبة فربّما يكون العنقود نحو الذّراع والدّوالي وهو عنب أسود غير حالك وعناقيده عظيمة كأنّها رؤس معلقة وحبّاته تنكسر بالفم .

(وقال أيضاً) : العنب المقطوف في الوقت يحرّك البطن .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا أخذت وزناً من العنب الأسود وآخر من الأبيض وثالثاً من الأحمر وشققتها بحيث لا يقع منها قشرها وتلصق بعضها بالبعض وتغرسها تثمر العنب الأسود والأبيض والأحمر فترى هذه الألوان الثلاثة على شجرة واحدة[2] .

خواص الورد

(٣٩)

وفيه : (ورد) : (قال ابن سينا) : هي الشجرة المعروفة إذا أردت

(١) المصدر السابق ج ٢ / ٢٩ .

(٢) ج ٢ ص ٢٩ و٣٠ و٣١ .

أن تخرج أوراقها من أكمامها سريعاً فاسقها الماء الحار وإذا جعلت وقت غرسها في جوف قضبانها شيئاً من الثوم تزداد رائحتها جدّاً ، خشبها تهرب منه الحيّات وإن لسعت حية عند شجرة الورد لا يؤثّر سمّها شيئاً . زهرها أحسن الأزهار لوناً وشكلاً ورائحة .

(وقال أيضاً) : الورد يصلح رائحة العرق إذا استعمل في الحمام ولذلك تستعمله النساء محالفة علاجاً لزفر العرق[1] .

خواص شجرة الياسمين

(٣٠)

وفيه : (ياسمين) : شجرة معروفة ثمرتها زهرها وهو أصفر وأبيض وأرجواني .

(قال ابن سينا) رطبه ويابسه يذهب الكلف وكثرة شمّه تورث صفرة الوجه ويصدع لكنه يحلل الصداع البلغمي .

(وقال غيره) : ينفع أصحاب اللّقوة والفالج وعرق النّساء ودهنه ينفع عسر البول تمريخا[2] .

ماورد في المشمش

(٣١)

مشمش : شجرة عجيبة شحم ثمرتها ولبّها مأكولان طيّبان بخلاف غيرها من الثمار فإنّ المأكول إمّا شحمها أو لبّها .

(حكي) أنّ طبيباً مرّ برجل يغرس شجرة المشمش فقال له ماذا تضع فقال أعمل لي ولك يعني أنتفع أنا بغلّته وأنت بعلّته يأكلها الناس فيمرضون ويحتاجون إلى الطّبيب دهن نواه ينفع من البواسير ودهن لبّه المرله خاصيّة دهن اللّوز المر .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٤١ .

(٢) ج ٢ ص ٤٢ .

(وروي) عن عليّ بن أبيطالب رضي الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنّ نبياً من الأنبياء بعثه الله تعالى إلى قومه وكان لهم عيد يجتمعون فيه كل سنة فأتى النبي ذلك اليوم ودعاهم إلى الله تعالى فقالوا له أدع الله تعالى أن يخرج لنا من هذا الخشب اليابس ثمرة على لون ثيابنا وكانت ثيابهم صفراء فدعا النبي ﷺ فاخضر وأورق وأتى بالمشمش في ساعته فمن أكل منه على عزم أن يؤمن خرج نواه حلوا ومن أكل على عزم يكفر ولا يؤمن خرج نواه مرّاً .

ورقها يزيل الضّرس كلال الأسنان من أكل الحامض والرّطب من المشمش يولد الحمّيات بسرعة عفونته ومقدده إذا نقع بالماء يزيل الحميّات[1] .

ومن خواص الموز

(٣٢)

(موز) شجرة تنبت بالحروف وأكثر ما يوجد في الجزائر أوراقها طويلة عريضة تكون ثلاثة أذرع في ذراعين ليست منخرطة كنبات العسفة لكنّها تشبه المربعة ويكون ارتفاعها قامة بأسطة ولا تزال تنبت فراخها حولها فإذا أدرك موزها وتطلع فراخها التي كانت قد لحقت بها فتصير أمّاً ولا تثمر كل أمّ إلاّ مرّة واحدة ثمرتها تشبه بالعنب إلاّ أنّها حلوة دسمة .

(قال ابن سينا) في الموز إنّه يدرّ البول ويزيد في الباه والاكثار منه يولّد السدد[2] .

وممّا ورد في الباذنجان

(٣٣)

وفيه : (باذنجان) : أكله يورث أخلاطاً رديئة وخيالات فاسدة .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٧ و٣٨ .

(قال ابن سينا) في الباذنجان أنّه يولّد السّدد والسوداء ويفسد اللّون ويسود البشرة ويصفّر الوجه ويولد الجذام والسرطان والصداع والسدد والبواسير وإن أردت أن يبقى زماناً طويلاً فاغمسه في الشحم المذاب فإنّه يبقى زماناً .

(وقال الحكماء) : يشقّ الباذنجان ويجفّف في الظّل ثمّ يسحق بشحم البقر ويطلي به ثدي البنات قبل أن يكعّب فإنّه لا يتدلى ويبقى على الصّدر.

(وقال معمر بن المثني) : قطعت في ثلاث مجالس ولم أجد لذلك سبب إلاّ أني أكثرت من أكل الباذنجان في أحدها ومن الباقلاّء في الثاني ومن الزيتون في الثالث[١] .

خواص البصل

(٣٤)

(بصل) : (قال ابن سينا) : البصل بحمر اللون يجذبه الدّم إلى خارج وله خاصيّة في دفع ضرر المياه وتهييج الباه وينفع من عضّة الكلب إذا طلي عليها وأكله يدفع ضرر الرّيح السموم وعصارته تنفع من الماء النّازل من العين ويجلو البصر وبزره يكتحل به لبياض العين ويذهب البهق ويدلك به لداء الثّعلب فينفع وهو بالملح يقلع الثآليل .

(وقال صاحب الفلاحة) إذا أردت زرع البصل فقشّر بزره لتكون ثمرته حسنة وكلّما كان نزوله في الأرض أكثر كان أقوى وليترصد لوقت زرعه غروب الثريا ليكون طعمه طيباً وكذلك عند حصاده قال الإكتحال بماء البصل مع العسل مما يحد البصر ويزيل ضعفها .

(وزعم الجاحظ) : أنّ الإكثار من البصل يفسد العقل .

ومن العجائب أنّ من أراد تقشير البصل وتقطيعه يغرز سكينة في

---

(١) ج ٢ ص ٤٧ .

بصلة ويتركها على رأس السكين ثم يقطعها ويقشرها فإنّه لا يتأذى من رائحتها[1] .

خواص البطّيخ

(٣٥)

(بطيخ) : (قال ابن سينا) : البطيخ ينقي الجلد وبزره ينفع من البهق والكلف والحزاز قشره يلصق بالجبهة يمنع النوازل إلى العين أكل لحمه ينفع الكلى والمثانة .

(روي) أنّ النبي ﷺ قال : تفكّهوا بالبطيخ وعضوا منه فإن ماءه رحمة وحلاوته من حلاوة الجنّة من أكل لقمة من البطيخ كتب اللّه له ألف حسنة ومحا عنه ألف سيّئة ورفع له ألف درجة فإنّه أخرج من الجنّة .

(وقال صاحب الفلاحة) : ينقّع بزر البطيخ في العسل واللبن ثمّ يزرع فتكون ثمرته في غاية الحلاوة ورائحة البطيخ يحدثها قوى الأدوية وإذا كان البطيخ في بيت لا يختمر فيه العجين أصلاً ، وإذا اجتازت الحائض بالمطبخة تغير جميع بطيخها وإذا أصاب بزر البطيخ والقثاء رائحة الدّهن يصيرا مرّاً وذلك بأن يجعل البزر في ظرف كان فيه خرقة أصابها دهن وإذا وضعت بذر البطيخ في وسط الورد ثم زرعته تشم من بطيخه رائحة الورد[2] .

خواص الثّوم

(٣٦)

(الثّوم) : (قال ابن سينا) إنّه ينفع من تغيّر المياه ويشرب بطبيخ القوتنج فيقتل القمل والسيبان ورماده إذا طلي بالعسل على البهق وكهبة العضو نفع ، ومشويه يسكن أوجاع الأسنان ويصفي الحلق مطبوخاً

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ .

(٢) نفس المصدر السابق ج ٢ ص ٤٩ و٥٠ .

وينفع من السّعال المزمن وهو نافع من لسع الهوام والحيّات إذا شرب بالشّراب .

(وقال أيضاً) إنّ من خواص الثّوم دفع الحكاك عن المقعدة إذا أخذ منه شيئاً وأحتملته . وإذا أردت أن تعرف المرأة بكر أم ثيّب فاخلط الثّوم المدقوق مع العسل وأمرها أن تتحمّل بها وأصبر عليها ساعتين فإن شممت رائحة الثّوم من فيها فهي ثيّب وإلاّ فهي بكر . ومن خواصّه : إزالة البخر الذي لا يقبل المعالجة إذا داوم على أكله سنة كاملة .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا زرعت الثّوم في الأيّام التي يكون القمر بها تحت الأرض لم توجد له رائحة أو ليتر صد غروب الثّريا لوقت الزّرع ورقه يمضغ ويجعل على العين الرّمدة يكون أنفع لها من كل ذرور، وإن مضغ مع العسل وطلي به الوجه ذهب شقاقه وكلفه ومن أكله على الرّيق لا يضرّه ولا لدغ[1] .

خواص الحشيش حاشا

(٣٧)

(حاشا) : حشيشة لها زهر يميل إلى الحمرة مستديرة وأوراق صغار .

(قال ابن سينا) : هذا الحشيش يجلّل الثآليل ويخلط بالطعام فيحفظ صحّة البصر ويزيل ضعفه .

(وقال ديقوريدس) : أكثر ما ينبت على الصّخر[2] .

خواص حبّ الرّشاد

(٣٨)

وفيه : (حُرف) : هو حبّ الرّشاد أكله يزيد في الذّهن والذّكاء

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) من هامش حياة الحوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٥٤ إلى ٥٥ .

ويهيج الباه وعصارته تحفظ الشعر .

(قال ابن سينا) حبّ الرّشاد ينفع من الجرب المتقرّح ومن عرق النسا والقوباء شرباً وضماداً وكذلك من نهش الهوام شرباً وضماداً مع العسل وإذا دخّن به مطرد الهوام وإذا داومت على أكله الحبلى سقط جنينها[1] .

خواص النّبات حَرْشَفْ

(٣٩)

وفيه (حَرْشَفْ)[2] نبات ذو شوك يقال له بالفارسية كنكر .

(قال ابن سينا) الحرشف ينفع من داء الثّعلب طلاء وماؤه يقتل القمّل إذا غسل به الرأس ويذهب الحدار وإذا أكل يزيل نتن الإبط لخاصيّة فيه ويزيد قوة الباه .

خواص الحرمل

(٤٠)

(حرمل) نبت معروف له رائحة كريهة .

(قال ابن سينا) : الحرمل صالح لأوجاع المفاصل وفيه قوة مسكرة وينفع من القولنج شرباً وطلاء وبذر الحرمل ينقّع في خل ويرش في البيت لا يدخله الذّباب[3] .

خواص الحلبة

(٤١)

وفيه : (حلبة) : (قال ابن سينا) : دهن الحلبة مع الآس ينفع الشّعر والآثار المتقدمة وهو من أدوية الكلف ويحسن الوجه ويغير

---

(١) نفس المصدرج ٢ ص ٥٥ .

(٢) في اللغة نبات من المركبات الأنبوبية الزهر قريب الشبه بالأرضي الشوكي يزرع لأوراقه التي تؤكل أطرافها ، وهي لذيذة الطعم .

(٣) نفس المصدر السابق ج ٢ / ٥٥ .

النّكهة وإنّه ينتن رائحة البدن والعرق .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا خلطت بذر الحلبة بالبذر ثم زرعته يسلم من الدّود[1] .

خواص الحمص

(٤٢)

وفيه : (حمّص) : (قال ابن سينا) : أكل الحمّص يحسن اللّون وكذلك الطّلاء به ويجلو النّمش .

(وزعموا) أنّ أكله نيئاً يورث البخر ودهنه ينفع من القوباء ونقيعه ينفع من وجع الضرس ويصفي الصوت وطبيخه يخرج الجنين ويزيد في الباه وينعظ بقوّة إذا شرب على الريق[2] .

خواص الحندقوق

(٤٣)

(حِنْدَقُوق)[3] من خواصّه أنّه ينفع من نهش الحيّات طلاء وعصارته تنفع من ظلمة البصر شرباً واكتحالاً .

(قال ابن سينا) في حَندقوق إنّه ينفع من الصّرع ووجع الحلق والخوانيق وورقه وبذره يهيجان الباه .

(وقال أيضاً) فيما يقال إنّ صاحب حمى الغب يسهي من ورقه ثلاث ورقات أو من بذره ثلاث حبّات فيشوش على الحمى أربعاً من أيهما شئت .

(وقال غيره) : بذر الحندقوق يورث الجرب لكنه ينفع من

---

(١) نفس المصدرج ٢ ص ٥٦ .

(٢) ج ٢ ص ٥٦ .

(٣) في اللغة : بقلة وحشيشة مثلثة الورق تسمى أيضاً الذُرق : وهي من فصيلة القطانيات الفراشية تنبت برياً في الحقول والمروج .

الهوام[1] .

خواص النّبات خطمي

(٤٤)

وفيه : (خطمي) هو النبت المشهور له نور أحمر وقد يكون أبيض .

(قال ابن سينا) في خطمي : يطلى على البهق بالخل ويجلس في الشمس ينفع نفعاً وينفع من الخنازير سيما مع الكبريت ويطبخ ويشرب من مائه ينفع من عسر البول وعسر الولادة، ورق الخطمي الرّومي منه يدّق مع الكرّاث والشحم ويوضع على لدغ العقرب والحيّة ينفع جدّاً وينفع منه مثقال من القولنج شرباً وإذا غسل به الشعر نفعه ونعمه يضمد به الجرب ينفع نفعاً بيناً[2] .

خواص الرّيحان

(٤٥)

(ريحان) يقال له بالفارسيَّة شاهسفرم .

(قال ابن سينا) : إستعمل الرّيحان ينفع من البواسير بذره يجعل فيه دم الجمل ويطلي به الإبط فإنّه يدفع الصّنان القوي الذي لا علاج له والرّيحان ينفع من الدّوار والرّعاف . وحكوا الفرس في هذا الموضوع حكاية وهو أنّه لم يكن قبل كسرى أنوشروان شيء من الرّيحان وأنّه وجد في زمانه وسببه أنّه كان ذات يوم جالساً للمظالم إذ أقبلت حيّة عظيمة تنساب تحت سريره فهمّوا بقتلها فقال الملك كفّوا عنها فإنّي أظنّها مظلومة فمرّت تنساب حتى استدارت على فوهة بئر فنزلت فيها ثم أقبلت تتطلّع فإذا قعر البئر حية مقتولة وعلى متنها عقرب أسود فأدلى بعض الأساورة رمحه إلى العقرب ونخسها به وأتى الملك

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٥٦ .

(٢) ج ٢ ص ٦١ .

يخبره بحال الحيّة فلمّا كان العام القابل أقبلت الحيّة في اليوم الذي كان كسرى قاعداً فيه للمظالم وجعلت تنساب حتى وقفت ونفضت من فيها بزر أسود فأمر الملك أن يزرع فنبت منه الشاهسفرم وكان الملك كثير الشكاية من الزّكام واجتماع الفضول في الدّماغ منه فنفعه جدّاً[1] .

خواص الزّعفران

(٤٦)

(زعفران) هو نبت نوره الزّعفران وأصله يشبه البصل يدق ويعصر يكون عصيره كالحليب وقد يجفّف ويتخذ منه الدّقيق ويؤكل .

(قال ابن سينا) بذر الزّعفران ينوّم ويحسن اللّون ويجلو البصر ويمنع النّوازل إليه ويكتحل به للزرقة العارضة في الأمراض ويهيج الباه ويدرّ البول .

وزعم قوم أنّه إن سقي للطّلق المتطاول وضعت من ساعتها ويقوي القلب ويفرح ويورث الضّحك ، والزّائد على الدّرهم سم قاتل ولا يقرب سام أبرص بيتاً فيه زعفران .

(وقال بليناس الحكيم) : إذا عسرت الولادة على المرأة أو سقوط المشيمة تأخذ بيدها عشرة دراهم زعفران لا زائداً ولا نقصاً فتخلص[2] .

خواص النّبات سذّاب

(٤٧)

وفيه : (سَذَاب)[3] هو النبت المشهور فوائده كثيرة عجيبة .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٦٤ إلى ٦٥ .

(٢) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٦٥ .

(٣) في لغة المنجد : السذاب نبات من فصيلة السذابيات قويّ الرائحة ، أزهاره صغيرة قلما ترى يزرع في أوروبا وآسيا له بعض الفوائد الطبية لكن استعماله خطر للغاية .

قالوا الاكتحال بعصارته مع لبن النساء يزيل ظلمة العين وإن تقع في ماء ورش به البيت ماتت براغيثه والمدقوق منه بالزيت يجعل تحت السن الوجعة يسكن ألمها .

(قال ابن سينا) : السَذاب بطلي مع النطرون على البهق والثآليل والتوتيا يزيلها ويقطع رائحة الثّوم[1] .

خواص السلق

(٤٨)

(سلق)[2] قالوا يلقى السلق في النّبيذ يصيرها خلاً في يوم وليلة .

(قال ابن سينا) عصارته تقلع الثآليل وتقتل القمل ويغسل به الرأس فيذهب النخالة وانتشار الشعر ويزيل الكلف إذا غسلت الموضع بالنّطرون ثم طليت به .

(وقال صاحب الفلاحة) إن سمدت أرضها بخثى البقر يقوي أصله ويطيب طعمه[3] .

خواص السمسم

(٤٩)

وفيه : (سمسم) : (قال ابن سينا) ورق السمسم وعصارة شجره يطوّل الشعر وبزره يزيل خضرة الضّربة والدّم الجامد وهو نافع من الشقاق شرباً وطلاء ومسمن جدّاً ونقيعه يدر الحيض ومقلوه يزيد في قوّة الباه ومادّة المني[4] .

---

(١) ج ٢ ص ٦٦ من هامش حياة الحوان الكبرى للدّميري .
(٢) بيان : السّلق : في اللغة بقل من فصيلة السرمقيات أوراقه كبيرة غليظة مرغوب في أكله ومعروف منذ قرون عديدة .
(٣) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٦٦ .
(٤) ج ٢ ص ٦٦ إلى ٦٧ .

خواص النبات سيسنبر

(٥٠)

وفيه (سيسنبر) : نبت لـه رائحة طيّبة يقال لـه النّمـام لأن رائحتـه تدل عليه ورقه يسكن الصداع إذا ضمد به الجبهـة والصّدغين وينفـع من لسع الزّنآبير ضماداً .

(قال ابن سينا) : إذا فرشت السّيسنبر تهـرب منه أكثـر الهوام وهـو يقتل القمّل ضماداً ويزيل الفواق شـرباً ويخـرج الجنين الميّت والديـدان وحبّ القـرع شـربـاً . بـزره يسكن الفـوارق المغص شـربـاً ويسهـل الولادة[1] .

خواص النبات شبث

(٥١)

(شبث) : (قال ابن سينا) إنّـه منوّم جـدّاً وإذا سحق وعجن وضمد به البواسير قلعها وأبرأها .

(قـال بلينـاس) : إذا مضغت الشبث الأبيض وأخـذت النـار في فمـك لا تضـرّك وإذا وضعت الشبث تحت مخـدّة الإنسـان ذهب عنـه الفـزع والغطيط ، بزره يـدرّ اللبن ويمنـع من الفـواق الإمتـلائي والمغص ويقطع مادة المني ويقطع البواسير .

(وقـال صـاحب الفـلاحـة) : إذا ثيـرت الأرض وسقيت ولم تـزرع ومضى على ذلـك سنة ينبت فيهـا الشبث من غيـر بث حب أكله يـورث ظلمة البصر[2] .

خواص شجر مريم

(٥٢)

وفيه (شجرمريم) شوك أصله الغرطنيثا .

---

(١) ج ٢ ص ٦٧ إلى ٦٨ .

(٢) نفس المصدر ٢ / ٦٨ .

(قال ابن سينا) شجر مريم ينفع من الزّكام البارد ونزول الماء في العين أصله يدفع الفواق ويسقط الأجنة[1] .

خواص الشعير

(٥٣)

(شعير) من الحنطة (قال ابن سينا) : الشعير يستعمل على الكلف طلاء ويطبخ بالخل الثقيف ويضمد به الجرب المتقرح والنقرس .

(عن علي رضي اللّه تعالى عنه) عن النبي ﷺ أنّ اللّه تعالى خلق الشعير من الحنطة وذلك أن جبرائيل ﷺ أتى آدم ﷺ بحفنة من الحنطة وقال هذا الذي أخترته على جنة ربّ العالمين هو لك رزق ولولدك فعمد آدم إلى قبضة منها وعمدت حوّاء إلى قبضة فقال آدم لحوّاء لا تزرعي فخالفته فجاء الذي زرعت حوّاء شعيراً ، وخاصيّة الشعير أن يحفظ الأشياء عن التعفن والتغير .

(وقال صاحب الفلاحة) : لو تركت في الشعير عنباً بعناقيده لم يتغير وأكلت في كل يوم عنباً طوياً كأنّه قطف من كرمه[2] .

خواص شقائق النعمان

(٥٤)

(شقائق النعمان) والعرب يقولون إنّه خد العذارى، قيل كان ظهر في الكوفة نبت الشقائق فمر النّعمان بن المنذر به وقال من نزع منه شيئاً أنزعوا كتفه فنسب إلى النعمان وشقائق النعمان يدور مع الشمس يتفتح ورقه بالنهار وينضم بالليل الاكتحال منه ينقي ظلمة البصر .

(قال ابن سينا) : ورق شقائق النعمان مع قشر الجوز خضاب

---

(١) ج ٢ ص ٦٨ .

(٢) نفس المصدرج ٢ ص ٦٨ إلى ٦٩ .

يسوّد الشعر وهو نافع للجرب والقروح وإذا طبخ بقضبانه يدر اللبن ويمزج عرق الشقائق النعمان بماء الورد فإذا رشت على الثياب البيض يحمر الثوب وإذا يبس لا يبقى على الثوب منه أثر أصلاً[1] .

خواص النبات طرخون

(٥٥)

وفيه : (طرخون) هو النبت المعروف إذا مضغ أزال حس الذّوق حتى لا يحس الإنسان بعد مضغها بمرارة الأدوية المرّة .

(قال ابن سينا) هذا النبات يحدث وجع الحلق ويقطع شهوة الباه وأصل الطرخون الجبلي العاقر قرحاً وهو نافع من وجع السن وإذا يطبخ بالخل وأمسك بالفم يشد الأسنان المتحركة ويدلك البذر به قبل نوبة النافض ينفعه وإذا مضغ وجعل على موضع اللسعة ينفعها نفعاً بيناً[2] .

خواص النبات عبيران

(٥٦)

وفيه : (عبيران) (قال ابن سينا) : انه نافع من الزّكام الحادث من البرودة وماؤه يحدّ البصر[3] .

خواص العدس

(٥٧)

وفيه : (عدس) إذا خلطت العدس بأي بذر كان وافقه فإذا أردت أن يتعجل فاجعله في اخثاء البقر ثمّ أزرعه .

(قال ابن سينا) : العدس مع السويق ضماد جيد للنقرس أكله يرى أحلاماً رديئة .

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٦٩ إلى ٧٠ .

(٢) ج ٢ ص ٧١ إلى ٧٢ .

(٣) المصدرنفسه ٢ / ٧٢ .

(وزعم العلماء) : أن أكل العدس يزداد إرتياحاً وجذلا إلاّ أنّ الاكثار منه يورث الجذام وظلمة البصر[1] .

خواص الفجل

(٥٨)

وفيه : (فجل) : (قال ابن سينا) : ورق الفجل وما سرجويه يحدّ البصر ويزيد في اللبن .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا نقّعت بذر الفجل في العسل وزرعته يأتي فجله حلواً طيّباً أكله يورث جِشاء منتنا[2] .

خواص النبات قثاء

(٥٩)

(قثّاء)[3] : (قال ابن سينا) : ثمرة القثاء تنفع من عضّة الكلب أكلاً ، وثمرتها تسكن العطش وتقوّي المثانة وتنفس حرارة المغمى عليه بذرها يدرّ البول ويحسن اللّون طلاء ويطفي حرارة الصفراء[4] .

خواص النبات قِرطم

(٦٠)

(قِرطم) :[5] نبت يقال له بالفارسية كابربرة .

(قال ابن سينا) : بذر القِرطم ينقي الصّدر ويصفي الصوت وينفع من القولنج وإذا أكل بتين أو عسل ينفع من الباه ، زهره هو العصفر

---

(١) ج ٢ ص ٧٢ .

(٢) ج ٢ ص ٧٢ و٧٣ إلى ٧٤ .

(٣) في اللغة : نوع من النبات ثمره يشبه ثمر الخيار .

(٤) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٧٦ .

(٥) بيان : في اللغة القرطم يقال له أيضاً العصفر نبات زراعي صبغي من فصيلة المركبات الانبوبية الزهر . له رويسات ضخمة وتويجات ذات اصفر ضارب إلى البرتقالي مغليّ زهر مدرّ للبول في الحصبة .

ينقي الكلف والبهق ويطلي بالخل على القوباء[1] .

خواص البقلة قنبيط

(٦١)

(قنَّبيط)[2] هـو الكرنب (قـال ابن سينـا) : القنَّبيط يسكن الأوجـاع وينفع من الرّعشة ومنوّم جدّاً ومظلم بـذره يدخّن بـه المناخس والبسـاتين يقتل دودها وإذا احتملته المرأة بعـد الجماع أفسـد المني وأكله يزيـد في مادّة المني .

(وقـال صاحب الفـلاحة) : إذا زرع في الأرض السبخـة كبرجـرمه ويطيب طعمه ولا يدود ورقه مع قضبانه يدق ويـوضع على جبهـة الحزين يفـرج عنه ومن أكـل منه يـرى منامـات هائلة وإن اعتـادت الصّبيـان أكله أسرع نباتهم ويصفيّ صوت من به بحـوحة ولـذلك يـديم عليه أصحـاب الغناء[3] .

خواص النبات قيصوم

(٦٢)

(قيصوم): نبت طيّب الرّائحة والحيّات تهـرب منه ومن رائحتـه فإن زرعته حوالي القرية لا يبقى فيها حيّة .

(قال ابن سينا) : هذا النبت ينفع من إنبات اللّحية البـطيئة النبـات إذا طبـخ ببعض الادهان ويـدرّ الـطّمث ويخـرج الجنين وينفـع من عسـر البـول ومن النافض إذا مـزج بالـدّهن وإذا أفترش طـرد الهـوام وإذا سقي بالشراب نفع من السمّوم كلّها[4] .

---

(١) ج ٢ ص ٧٦ .

(٢) بيـان: في لغـة المنجـد القنبيط : بقلة تـطبـخ من فصيلة الصليبيات ، تسمى أيضاً القرنبيط . تقطف قبل ازهرارها بيضـاء ولحمية في جميع أجزائها .

(٣) المصدر السابق ٢ /٧٧ .

(٤) ج ٢ ص ٧٧ إلى ٧٨ .

خاصّيّة النّبت كاوزاوان

(٦٣)

(كاوزوان) : معناه لسان الثّور .

(قال ابن سينا) : خاصّيته التّفريح وإزالة الغم[١] .

خواص الكرّاث

(٦٤)

وفيه : (كرّاث) : منه شامي ومنه نبطي .

(قال ابن سينا) : الكرّاث الشامي يذهب بالثآليل والبشرات وأكله يفسد اللثّة والأسنان ويضر بالبصر ، والنبطي ينفع البواسير مسلوقاً مأكولاً وضماداً ويحرّك الباه ويوضع على الجراحات الدّامية يقطع دمها وأصحاب الألحان يستعملونه لتصفية أصواتهم .

(وقال صاحب الفلاحة) : من أراد زرع الكرّاث فلينثر بذره ثم يسقيه بعد ثلاثة أيام ليكون نبته قوياً ، وإن أردت أن يكون أصله قوياً جدّاً تجعل في كل بعرة من بعر الغنم ثلاث حبّات فإنّه ينبت أقوى ما يكون ، والكرّاث يدّق ويوضع على لسع العقرب والزنبور يسكن وجعه في الحال ، وإدامة أكله تورث ظلمة البصر .

خواص النّبت كرسنة

(٦٥)

(كِرسنّة)[٣] حب في حجم العدس إلّا أنّه غير مفرطح بل مضلع

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٧٨ .

(٢) ج ٢ ص ٧٨ إلى ٧٩ .

(٣) توضيح ذلك ، في لغة المنجد : الكرسنة والكرسَنة : نبات عشبي من فصيلة القطانيات معروف في الشرق الاوسط ، له حب في غلف تعلفه الحيوانات وعلى الأخص البقر .

ولونه ما بين الغبرة والصفرة وطعمه ما بين الماش والعدس .

(قال ابن سينا) : الكرسنّة طلاء جيّد للبهق والكلف والبرص ويحسن اللّون ودقيقه يسمّن المهازيل يضمد بالشراب على نهش الأفاعي وعضّة الكلب والاسنان الصائم[1] .

خواص الخضرة كرفس

(٦٦)

وفيه : (كرفس) : منه بريّ ومنه بستاني ، يطيب النكهة ويهيج شهوة الباه للرّجال والنساء ويوضع على العضو المرتعش يسكن .

(قال ابن سينا) : كرفس البستاني يطيب النكهة ويستعمله من يشاور الملوك سرّاً وينفع من الجرب والقوباء إذا لدغت العقرب آكله يشتدّ الأمر به ، فينبغي أن يتجنّب أيّام ظهور العقارب ، عصارته تنفع من ظلمة العين إكتحالاً أصله يعلق على الرّقبة ينفع من وجع السن ، بذره ينفع من الاستسقاء وعسر البول ويخرج المشيمة ، وإذا بخّر به عند قوم سدروا وناموا ، وهو ينفع من وجع السن والفواق الذي عن الامتلاء[2] .

خواص النّبت كزبرة

(٦٧)

(كزبرة)[3] : (قال ابن سينا) : رطب الكزبرة ينوّم ويولّد ظلمة البصر ويابسه يكسر قسوة الباه ويجفّف المني ، وعصارته مع اللّبن تسكن الضّربان الشديد والاكثار منه رطباً ويابساً يخلط الذهن ، بذره

---

(١) المصدر نفسه ٢ / ٧٩ .

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٧٩ .

(٣) يلفظ بثلاثة ألفاظ في لغة المنجد الكُزْبَرَة والكُزْبُرَة والكَزْبُرة (ن) بقلة من فصيلة الخيميات ، مهدها الاصلي أوروبا الجنوبية . أوراقها وردية أو بيضاء بزرها من الأفاوية ، يستعمل كتابل ويدخل في تركيب بعض المشروبات .

ينفع من لسعة الزنبور ، يتناول منه ثلاث راحات يسكن الوجع ويزيل رائحة البصل والثوم .

(وقال بليناس) : يقلع الكزبرة بأصلها قلعاً رقيقاً ويعلّق على فخذ صاحبة الطلق تضع في الحال ، وبخّر به البيت تهرب الحيّات والعقارب منه[١] .

خواص النّبت كمون

(٦٨)

وفيه (كمون) : (قال ابن سينا) إذا غسل الوجه بمائه صفاه وإن استكثر من أكله يورث صفرة الوجه وإذا سحق بالخل واشتم قطع الرّعاف وعصارته تجلو البصر ويؤخذ الكمون والملح سواء ويجعل أقراصاً ويترك في وسط الدّقيق الدّرملك يبقى زمناً طويلاً لا تصيبه آفة أصلا[٢] .

خواص النّبت كمأة

(٦٩)

(كمأة)[٣] نبات يتولّد من تحت الأرض لا بذر لها ولا عرق لكنّه ينطبخ كالجواهر في أعماق الأرض جاء في الحديث أنّ الكمأة المن وماؤها شفاء للعين وإنّما شبه بالمن لأنه ينبت في الأرض بلا تعب كما أنّ المن يقع من الهواء من غير تعب .

(قال ابن سينا) : الكمأة يخاف منها الفالج والسكته وماؤها يجلو العين كما هو مروي عن رسول اللّه ﷺ .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٧٩ إلى ٨٠ .

(٢) ج ٢ ص ٨٠ .

(٣) في لغة المنجد : الكمأة جنس فطر من فصيلة الكمئيات يعيش تحت الأرض لونه يميل إلى الغبرة يهيّأ منه طعام لذيذ .

(وقال غيره) : يورث القولنج وعسر البول[1] .

خواص النّبت لبلاب

(٧٠)

وفيه (لبلاب) ويقال له حبل المساكين يلتف على الشجر ويرتقي منه خيوط دقاق وورق رقاق طوال ينفع من الصداع المزمن ، ورقه بالخل ينفع من الطّحال .

(قال ابن سينا) : لبن اللّبلاب يحلق الشعر ويقتل القمّل[2] .

خواص النّبات لسان الحمل

(٧١)

(لسان الحمل) نبات يشبه لسان الحمل في شكله .

(قال ابن سينا) أصله يعلق على صاحب الخنازير ينفعه ، وطبيخ أصوله ينفع من وجع السن مضمضة والعدسة التي يكون فيها لسان الحمل بدل الساق تنفع من الصرع ، وقيل إنّه نافع من حمى الربع[3] .

خواص النّبات لسان العصافير

(٧٢)

وفيه : (لسان العصافير) : نبات يشبه لسان العصافير ورقه يدمل الجروح .

(قال ابن سينا) لسان العصافير ينفع من الخفقان ويزيد في الباه[4] .

---

(١) المصدر السابق نفسه ٢ / ٨٠ ـ ٨١ .
(٢) ج ٢ ص ٨١ .
(٣) نفس المصدر ٢ / ٨١ .
(٤) ج ٢ ص ٨١ .

خواص اللّوبياء

(٧٣)

وفيه : (لوبياء) نبت معروف .

(قال ابن سينا) : من أكله يرى أحلاماً رديئة .

(وقال غيره) : يخضب البدن ويخرج المشيمة والجنين الميّت ويدر الطمّث وينقي من دم النفاس[١] .

خواص النّبت لفاح

(٧٤)

(لفّاح)[٢] : منه نوع أبيض الورق لا ساق له يقال هو الذّكر ، شمّه كثيراً يورث السكتة ورقه يدلك به البرص أسبوعاً يزيله من غير تقريح وشمّه ينفع من الصداع لاكنّه يبلد الحواس وينوّم ، بذره إذا خلط بكبريت لم تمسه النار واليبروح أصل اللّفاح البري وهو على صورة الإنسان الذّكر كالذّكر والأنثى كالأنثى .

(قال ابن سينا) : من أحتاج إلى قطع عضو والعياذ بالله يسقى من ماء اللّفاح ثلاث لولوسات في شراب فيسبته ولا يكون له حس عند القطع .

(وزعم العلماء) : أنّ من قلع اللّفاح مات فإذا أرادوا ذلك شدّوه إلى كلب أو حيوان خسيس حتى يمشي به ويقلعه يجعل ضماداً للأورام الصلبة والخنازير والدّماميل وأوجاع المفاصل يبرئها ومن أحتمل منه شيئاً اسبته ويتخذ ذلك لدفع السهر[٣] .

---

(١) ج ٢ ص ٨٢ إلى ٨٣ .

(٢) توضيح ذلك من لغة المنجد اللُّفاح : نبات من فصيلة الشفويات له أوراق كثيرة تتجمع على سطح الأرض ويظهر منها ، في أواخر فصل الشتاء زهر متفرّق تحل محله عنبيات ضاربة إلى الصفرة وطيبة الرائحة .

(٣)من هامش حياة الحوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٢ .

خواص النّبت ماش

(٧٥)

وفيه : (ماش) هو النّبت المعروف (قال ابن سينا) : إنّه مضرّ بالباه .

(وقال غيره) يضمد به الأعضاء فيسكن وجعها ويضعّف الاسنان[١] .

خواص النّبت لينوفر

(٧٦)

(لينوفر)[٢] : نبات طيّب الرائحة ينبت في الآجام والمياه القائمة في فضائها ويغيب النهار كلّه ويظهر باللّيل .

(قال ابن سينا) : النبات لينوفر منوم مسكن للصداع الحار لكنه يكمد شهوة الباه ويجمد المني لخاصية فيه ، بذره يذهب البرص طلاء بالماء وأكله يضعّف الباه وإذا جعل على داء الثعلب أبرأه[٣] .

خواص النّبت مرزنجوش

(٧٧)

(مرزنجوش)[٤] : نبت طيّب الرائحة .

(قال ابن سينا) : إنّه نافع من الشقيقة والصداع وطبيخه ينفع من الاستسقاء والمغص وعسر البول ومع الخل ضماداً للسع العقارب وبذره يسقي لمن لسعه الزنبور قدر درهم يسكن وجعه في الحال ،

---

(١) ج ٢ ص ٨٣ .

(٢) بيان : لينوفر في اللّغة يقال له أيضاً النيلوفر : ضرب من النبات ينبت في المياه الرّاكدة ، له أصل كالجزر وساق ملساء تطول بحسب عمق الماء فإذا ساوت سطحه أورقت وأزهرت (فارسية) .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٣ .

(٤) المرزنجوش (ن) : المردقوش (فارسية) .

دهنه ضماد للفالج يابسه يطلي بالعسل على كهوبة الدم واخضراره خصوصاً لجرب العين[1] .

خواص النّبت نانخواه

(٧٨)

(نانخواه) : نبت معروف (قال ابن سينا) شربه والطلاء به يحلّ اللّون إلى الصفرة وهو من أدوية البهق والبرص ويعجن بالعسل لكهوبة الدّم ضماداً وطبيخه يصب على لدغ العقارب يسكن ويشرب للدغ الهوام .

(وقال صاحب الفلاحة) : من علف الغنم منه في الشتاء كثرت نطفها وولدت إناثها توأمان وازدادت أصوافها وألبانها ولم يتعرّض لها القراد وكذلك نحل العسل إذا حرست منه وهو نافع من كل لدغ ولسع[2] .

خواص الورد نسرين

(٧٩)

وفيه : (نسرين)[3] : (قال ابن سينا) : البستاني منه يقتل ديدان الأذن وينفع من الطنين ودود أوجاع الأسنان .

والبري منه يطلي به الجبهة يسكن الصداع وينفع من الفواق[4] .

خواص النّبت نرجس

(٨٠)

(نرجس)[5] : (قال ابن سينا) : إنّه يخرج الشوك والسلاء سيما

(١) المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٤ إلى ٨٥ .

(٢) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٥ .

(٣) في لغة المنجد : النّسرين (ن) : ورد أبيض عطري الرائحة (فارسية) .

(٤) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٦ .

(٥) بيان في اللغة : النِّرجس والنرجس ، الواحدة نرجسة (ن) : نبت من الرّياحين =

. مع دقيق السلم والعسل ، زهره يجلو الكلف والبهق وينفع من الصداع وأكله يهيج القيء وإذا شرب منه أربعة دراهم مع ماء العسل أسقط الاجنة الأموات .

(وقال جالينوس) : من كان له رغيفان فليجعل أحدهما في ثمن النرجس فإنّ الخبز غذاء البدن والنّرجس غذاء الروح .

(عن رسول اللّه ﷺ) : شمّوا النرجس فما منكم إلّا من له بين الصدر والفؤاد شعبة من برص أو جنون أو جذام لا يذهبها إلّا شمّ النرجس .

(وقال صاحب الفلاحة) : إذا قطعت بصل النرجس قطعاً صليبياً أو عبرت فيه شوكتين عبوراً ثم زرعته نبت نرجساً مضاعفاً .

(وزعم العلماء) : أنّ من وقع نظره على النرجس حالة المجامعة تنعقد شهوته عقداً لا ينحل، وإذا وضعت بصله على الجراحة التأمت شقوقها[1] .

خواص الخضرة نعنع

(٨١)

(نعنع)[2] : (قال ابن سينا) : إنّه يقوّي المعدة ويسكن الفواق ويعين على الباه ، والمرأة إذا احتملته قبل الجماع يمنع الحبل ويضمد به الجبهة ينفع من الصداع ومن عضّة الكلب ، عصارته بالخل تمنع

⁂ من فصيلة النرجسيّات أصله بصل صغار وورقه شبيه بورق الكراث وله زهر مستدير أبيض أو أصفر تشبه به الأعين (فارسية) .

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٥ إلى ٨٦ .

(٢) توضيح ذلك في اللغة : النعنع الواحدة «نعنعة» (ن) : بقل طيّب الرائحة من فصيلة الشفويّات يعيش في المناطق المعتدلة منه أنواع تستعمل في التوابل ولصنع الكحول والأقراص المفيدة للصدر .

سيلان الدّم من الباطن .

(وقال غيره) : إذا شرب بالخل يحرّك شهوة الباه ويقوّي المعدة ويسكن الفواق والامتلاء[1] .

خواص النبت هليون

(٨٢)

وفيه : (هليون)[2] : حشيشة لها ورق وبذره منه جبلي ومنه سهلي .

(قال ابن سينا) : ورق الهليون يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعرق النساو هو نافع من القولنج الرّيحي أصله يطبخ ويشرب ينفع من وجع الظهر وعسر البول وعسر الحبل ويزيد في الباه وفي مادة المني ، بذره جيد لوجع الضّرس ويدر الطمث ويضر بالمعدة[3] .

خواص النّبت هندبا

(٨٣)

(هندبا)[4] : (قال علي رضي اللّه عنه) في كل ورقة من الهندبا حبّة من ماء الجنة .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٦ .

(٢) بيان ذلك الهليون (ن) : نبات معمر من فصيلة الزنبقيّات تمتدّ جذوره تحت الأرض حيث تنطلق سوقاً عديدة تحمل ثماراً حمراء ، مزينة . تؤكل سوقه مسلوقة .

(٣) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٦ إلى ٨٧ .

(٤) بيان في اللغة الهِنْدَبَاء والهِنْدِبَاء والهِنْدِبَا (يلفظ بثلاثة ألفاظ) (ن) : بقل زراعي من المركبات اللسيِّنيَّة ، ينبت برّياً في أوروبا وآسيا الغربية . ورقه أزرق مرّ الطعم قليلاً يدخل في التوابل ويطبخ أيضاً .

الهِندَبَاء البرية (ن) : نبتة عشبية معمرة من المركبات . أوراقها مسنّنة تشبه قواضم الأسد . أنواعها عديدة ، منها ما يستعمل في بعض البلدان «للسلطة» ومنها ما يستعمله الطب كملين تحتوي جذور بعض أنواعها على الكاوتشوك .

(وقال ابن سينا) : يضمد به النقرس ينفعه وينفع من الرّمد الحار ولبن الهندبا البرّي يجلو بياض العين ، أصله مع ورقه ضماداً للسع العقرب والحيّة والزنبور وسام أبرص وينفع من حمى الربع[1] .

خواص الكمأة وأنواعها

١ ـ عن النّوفليّ ، عن عيسى بن عبد الله الهاشمي ، عن إبراهيم بن علي الرافعي ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الكمأة من نبت الجنّة وماؤها نافع من وجع العين[2] .

٢ ـ عن محمد بن علي ، عن محمد بن الفضيل ، عن عبد الرحمان بن زيد بن أسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الكمأة من المن ، والمنُّ من الجنة ومائها شفاء للعين[3] .

٣ ـ عن علي بن الحكم ، عن أبان بن عثمان ، عن أبي بصير ، عن فاطمة بنت علي ، عن أمامة بنت أبي العاص بن الربيع وأمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت : أتاني أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان فأُتي بقثاء وتمر وكمأة وكان يحبُّ الكمأة[4] .

تكملة : الكمؤ بالفتح معروف ، قال الجوهري الكمأة واحدها كمؤ على غير قياس انتهى ، وقال الأطبّاء هو أصل مستديرة لا ورق له ولا ساق ، لونه إلى الحمرة ما هو ، يوجد في الربيع عند كثرة الثلوج والامطار ، ويؤكل نيّاً ومطبوخاً وله أسماء وأصناف :ـ

فمنه الفطر ، قال في القاموس : الفطر بالضمّ وبضمتين ضرب من الكمأة قتال انتهى ، وقال ابن بيطار نقلاً عن ديسقو ريدس : الفطر منه ما يصلح للأكل ، ومنه ما لا يصلح ويقتل ، إمّا لأنّه ينبت بالقرب

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ٨٧ .
(٢ ـ ٣) المحاسن : ٥٢٧ .
(٤) المحاسن : ٥٢٧ .

من مسامير صدّية ، أو خرق متعفنة ، أو أعشاش بعض الهوام الضارّة ، أو شجر خاصيتها أن يكون الفطر قتالاً إذا أنبت بالقرب منها ، وقد يوجد على هذا الصّنف من الفطر رطوبة لزجة فإذا قلع ووضع في موضع فسد وتعفن سريعاً .

وأمّا الصنف الآخر فيستعمل في الأمراق ، وهو لذيذ وإذا أكثر منه أضّر ، ويعرض منه إختناق ، أو هيضة ، وقال جالينوس : قوّة الفطر قوة باردة رطبة شديداً ، ولذلك هو قريب من الادوية القتالة ، ومنه شيء يقتل ، وخاصة كل ما كان يخالط جوهره شيء من العفونة انتهى .

ومنه الفقع قال الفيروز آبادي : الفقع ويكسر : البيضاء الرخوة من الكمأة ، والجمع كعنبة، وقال ابن البيطار: هو شيء يتكوّن تحت الأرض بقرب المياه وهو أبيض مدّود أكبر من الكمأة يوجد في الأرض ، وكل واحدة قد تشققت ثلاثاً أو أربع قطع إلاّ أنّ بعضها ملتصق ببعض ، وهو أسلم من الفطر ، وليس فيه شيء يقتل كما في الفطر ، وهو بارد رطب غليظ .

ومنه[1] ما يقال له بالفارسية : كشنج ويقال له كل كنارة ينبت في الرّمل ، وفي خراسان وما وراء النهر أكثر ، وقيل : هو مسكر ، وهو مجوّف ، ورطبه بمقدار جوزة كبيرة ، وقالوا : هو أيضاً بارد غليظ بطيء الهضم .

ومنه الغرشنة : قال ابن البيطار: هي كثيرة بأرض بيت المقدس وتعرف هناك بالكرشنة ، قال ابن سينا : هو جنس من الكمأة ، والفطرشكله شكل كأس صغير متبسّم متشنج ناعم اللّمس ، ويغسل به الثّياب ، ويؤكل في الاشياء الحامضة وقال ابن البيطار في الكمأة نقلاً

عن بعضهم : الكمأة الحمراء قاتلة ، وأجودها تلذُّذاً أشدُّها إملاساً وأميلها إلى البياض ، وأمّا المتخلخل الرخو فرديّ جداً ، وهو في المعدة الحارة جداً جيد ، وإذا لم تهضم لإكثار منه أو لضعف المعدة ، فخلطه رديٌّ جداً غليظ يولّد الأوجاع في أسفل الظهر والصدر ، وعن ابن ماسة : باردة رطبة في الدّرجة الثّانية ، وعن المسيح يولّد السدد أكلاً ، وماؤها يجلو البصر كحلاً ، وعن الغافقي من خواص الكمأة أنّ من أكلها فأيّ شيء من ذوات السمّوم لدغة والكمأة في معدته مات ، ولم يخلصه دواء ألبتة ، وأمّا ماء الكمأة فمن أصلح الأدوية للعين إذا ربي به الإثمد واكتحل به فإنّه يقويٌّ أجفان العين ، ويزيد في الرّوح الباصرة قوّة وحدة ويدفع عنها نزول الماء انتهى[1] .

حادثة
وقعت في زمن خوارزم شاه محمد بن تكس

(ذكر الشيخ الرئيس) أنّه سقط في زمانه بأرض جوزجان جسم كقطعة حديد قدر خمسين منّا مثل حبّات الجاورس المنضمة فأرادوا كسرها فما كان يعمل فيها الحديد البتّة[2] .

دواء لنبت الشعر

(وفيه : قال الشيخ الرئيس) : في ارنسب البحر : هو حيوان صدفي إلى الحمرة ما بين أجزائه شبيه بورق الاشنان ينفي الكلف والبهق ورأسه تحرق لتنبت الشعر في داء الثعلب سيما مع شحم الدّب .

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٣٢ و٢٣٣ و٢٣٤ .
(٢) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ١ ص ٢٠ .

وهو حيوان رأسه كرأس الأرنب وبدنه كبدن السمك[1] .

نظم لابن سينا في علم الطّب

(٩)

(ذكر الشيخ الرئيس) هذا النظم في إرجوزته . وقيل إنّها لابن حطين وهي تشتمل على خواص مجربة وأسرار من علم الطب .

ذكرها الشيخ الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى وقال نأت بها بكمالها لتتم الفائدة وهي هذه :

بدأت ببسم اللّه في نظم حسن — أذكر ما جرّبت في طول الزّمن
ما هو بالطبع وبالخواص — لكلّ عام ولكل خاص
في شوكة العقرب نجم توأم — تراه عين من يراه يعلم
إذا تراءاه امرءان اصطحبا — واتفقا وذا إذا تحبّبا
لا سيما إن قيل ذا محبّب — بعض لبعض كوكبان كوكب
وتوأم نجمان في سعد بلع — رؤيته لكل ود قد جمع
ومثله أيضاً لسعد الذّابح — رؤيته لكل ود صالح
تخبر من شئت به فيعجب — ثمّ يقول كوكبان كوكب
فينشأ الود بإذن اللّه — بينهما فلا تكن باللاّهي
كفّ الخطيب فرقة إلى الأبد — لكائن من كان من كل أحد
ينظره الإنسان أو جماعه — يفترقوا إلى قيام الساعة
نجم السّها مأمنة من سارق — ومن سموم عقرب وطارق
ومن رأى عشية نجم السّها — لم تدن منه عقرب يمسّها
وقيل لا يدنو إليه سارق — في سفر ولا بسوء طارق
الطخ على الحزاز دهن القمح — مع وسخ الاسنان بعد المسح
فإنّه يذهب منها سعيها — كالنّار فيها ثم يوارى نقيها

(١) ج ١ ص ٢٢٩ .

اكو رؤس كلّ ثؤلول يرى ... بعودتين قد حرقت أخضرا

ومثله رؤس قش الحلبة ... يذهب بالثّؤلول منه الرّعية

تخطيطك الأظفار بعد الصّبح ... بكزلك عرضا مزيل القلح

وطبقك الأضراس في التثاؤب ... يمنع مع هذا لدى التجارب

أعني عروض القلح إن تحرقت ... كذاك إن تحفرت وأصطلمت

يغرغر العليل ذو الخناق ... بمرق الضّبار كالترياق

لا سيما إن شابه كشوث ... لذي الخلاط نفعه موروث

أبلع من الصّابون وزن درهم ... تنج من القولنج غير المحكم

وأمسح على الأضراس والاسنان ... لوكالها بطرف اللّسان

وقد حرمت الأكل من لحم الفرس ... شهراً ولا من هندبا تبغي الحرس

وذاك عند رؤية الهلال ... فتأمن الأضراس من أعلال

كذاك في كلّ هلال يجتلى ... فإنّها مؤمنة من البلا

لا تغسلن ثيابك الكتانا ... ولا تصد فيها كذا حيتانا

عند اجتماع النيرين تبلى ... وفي السرار فاتخّذه أصلاً

اتخذ البرمة من زجاج ... من غير تلوين ولا علاج

والنار جزل ان تشأ أو فحم ... ينضج فيها اللّحم ثمّ الشحم

وكرّر الطبخ بها أيّاماً ... وأشهراً إن شئت أو أعواماً

وذاك سهل ليس بالعسير ... من غير تقتير ولا تكثير

وتتّخذ كحلاً جديداً محرقاً ... منعما موصلاً مروقاً

ومثله من حجر الهنود ... ذي الخاصة الجاذبة الحديد

مطيّباً بالمسك طيب الاثمد ... واكحل به من شئت فرد مرود

ثم اكتحل منه على مرّ المدى ... لأنّه لم يتخذ كحلاً سدى

واكحل المحبوب بالحديد ... يهواك في الوقت بلا مزيد

فيسحر العينين منه فيرى ... وجهك شمساً باهياً أو قمرا

ولا يكاد يستطيع صبرا ... عنك ولو حرقت منه الصّدرا

نشادر الدّخان بالحمام ... ينضجه الفخار من مسام

فريحه يقتل الأفاعي من الهوام والدّبيب الساعي
ووزن مثقال إذا ما شربا مع وزنه من الرجيع انتخبا
يخلّص المسموم من مماته من بعد يأس الأمر من حياته
هذا إذا دبر بالإتقان بالسحق والترويق في الأواني
وكل ما جاد بسحق فاعتبر وفيه يا هذا تفهم واختبر
مرارة الحيّة سم قاتل وهي لملدوغ بها تقابل
إذا سقى المسموم منها حبة نجا من السم بتلك الشربة
وإن سقى منها صحيح ماتا من يومه وفارق الحياتا

الفارق بين الانسان والحيوان عند ابن سينا وغيره

ذكر أهل التجارب : أن لتكوّن الجنين زماناً مقدّراً فإذ اتضاعف ذلك الزمان تحرك الجنين ثم إذا انضاف إلى المجموع مثلاه انفصل الجنين . وقال الشيخ في الشفاء في الفصل السادس من المقالة التاسعة من كتاب الحيوان ، إن امرأة ولدت بعد الرابع من سني الحمل ولداً قد نبتت أسنانه وعاش .

وذكر أرسطاطاليس : أن مدة الحمل في كل حيوان مضبوطة إلاّ في الإنسان . وقال جالينوس : إني كنت شديد الفحص عن مقادير أزمنة الحمل، فرأيت إمرأة ولدت في مائة وأربعة وثمانين ليلة من تفسير النيسا بري في سورة الأحقاف[١] .

ذكروا :

قدماء الحكماء : على أن للحيوانات نفوساً ناطقة مجردة ، وهو مذهب الشيخ المقتول . وقد صرح الشيخ الرئيس في جواب أسئلة

---

(١) حياة الحيوان الكبرى للدّميري ج ٢ ص ١٤٦ إلى ١٤٨ .
(٢) الكشكول للشيخ البهائي ج ٢ ص ٧٤ .

تلميذه بهنيار : بأنّ الفرق بين الإنسان والحيوانات في هذا الحكم مشكل (وقال القيصري في شرح فصوص الحكم) : ما قاله المتأخرون من أنّ المراد بالنّطق هو إدراك الكليات لا التكلم ، مع كونه مخالفاً لوضع اللغة لا يفيدهم ، لأنّه موقوف على أنّ النفس الناطقة المجرّدة للإنسان فقط ، ولا دليل لهم على ذلك ، ولا شعور لهم بأنّ الحيوانات ليس لها إدراك الكليات ، والجهل بالشيء لا ينافي وجوده ، وإمعان النظر فيما يصدر عنها من العجائب يوجب أن يكون لها أيضاً كليات . انتهى كلامه .

ولا يخفى أن كلام القيصري يعطي أنّ مراد المتقدّمين بالنطق هو المعني اللّغوي ، وبذلك صرح الشيخ الرئيس في أول كتابه الموسوم بدانش نامه علائي ، كما نقله ذكر بعض الحكماء على أن الفلزات المنطرقة أنواع مندرجة تحت جنس ، وصيرورية نوع نوعاً آخر محال عنده . وذهب أصحاب الكيمياء وبعض الحكماء على أن الأجساد المذكورة إنّما هي أصناف مندرجة تحت نوع واحدة والذّهب كالإنسان الصحيح وبقيّة الأجساد ناس مرضى دواؤهم الإكسين ، قال بعض المحققين : وعلى تقدير تسليم كونها أنواعاً لا يلزم استحالة الإنقلاب ، فإنّا نشاهد صيرورة النواة عقرباً . والشيخ الرئيس بعدما تصدى لإبطال الكيمياء في كتاب الشفاء ألف في صحتها رسالة سماها «حقائق الأشهاد»[٢] .

نظرية ابن سينا في الدّجاجة

قال ثالثها صاحب الشفاء يعني ابن سينا (المعلم الثالث) :

حكى صاحب الشفاء عن «أرسطو» في طبائع الحيوان :

إنّ الدجاجة إذا تشبّهت كثيراً بالدّيكة في الصوت وفي الحراب

---

(١) الكشكول للشيخ البهائي ج ٢ ص ٣٢٨ .

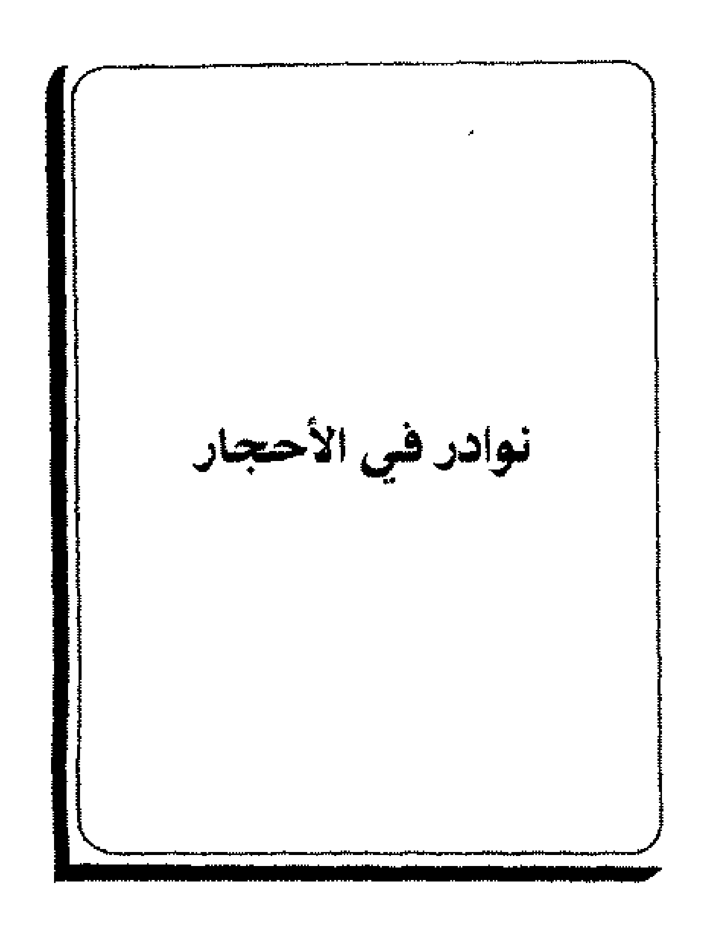
(٢) الأنوار النعمانية ج ١ ص ٢٧٥ .

مع الدّيكة نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الدّيك .

ثمّ قال صاحب الشفاء وهذا يدل على أنّ الأحوال الجسمانية تابعة للأحوال النّفسانية[1] .

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ج ٣ ص ٢٠٨ .

الفصل السادس



نوادر في الأحجار

نظرية ابن سينا
حول بعض الأحجار وخواصها

من الأحجار التي إذا ضربها البرد انطفت حرارتها وتصير حجراً وقد يقع في وسط الصّواعق مثل الحديد والنّحاس .

(قال الشيخ الرئيس) : أخذت من هذه الأجسام وعرضتها على النار لتذوب فما حصل منه الذّوبان وارتفع دخان يضرب إلى الخضرة وما زال هكذا حتى صار رماداً .

(وحكى الشيخ الرئيس) : أنّ في زمانه وقع من الهواء بأرض جوزجان جسم كقطعة حديد في قدر خمسين منّا كحبّات الجاورس المنضمّة فما كان يتناثر من الحديد ، والجواهر المعدنيّة كثيرة لا يعرف منها الإنسان إلّا القليل .

فمن الحكماء من كان له عناية ببحث عنها ، واستخرج خاصيّة بعضها فأوردنا طرفاً منها وما فيها من الخواص العجيبة ومعادنها وكيفية جلبها .

واللّه التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل[1] .

---

(١) من هامش حياة الحيوان الكبرى للدميري ج ١ ص ٣٢٠ إلى ٣٢١ .

(١)

(حجر العاج) : (قال ابن سينا) حجر العاج يمنع من نزول الدّم في القروح والجراحات .

(٢)

(حجر القمر) : (قال ابن سينا) أنّه يوجد ببلاد المغرب عند زيادة القمر . ويقال له أيضاً براق القمر حجر خفيف .

خاصيته أنّه يعلق على الشجر فتثمر وينفع من الصرع إذا علق على المصروع وبالهند حجر إذا خسف القمر يتقاطر منه الماء يقال له أيضاً حجر القمر والله أعلم[١] .

(٣)

وفيه **(حجر زيد البحر)**: (قال ابن سينا) انّه أنواع قطري يصلح لحلق الشعر وينفع من البهق ومنه إسفنجي شديد الجلاء للأسنان ومنه وردي للنّقرس والطّحال والإستسقاء .

ومن عجيب خواصه أنّه يحلّق الشعر وهو ينبته وينفع من البهق والكلف والآثار ويجلو الاسنان وينفع من الخنازير والاستسقاء وعسر البول .

وزعم بعض العلماء أن زيد البحر إذا علق على صاحبة الطلق سهل ولادتها[٢] .

(٤)

(حجر لازورد) : (قال ابن سينا) في حجر لازورد : أنّه ليسقط الثآليل ويحسن الأشعار ويكثرها .

(وقال ارسطو) : هو حجر به رخاوة وهو مشهور من تختم به نبل في أعين الناس وإن اكتحل به في الاكحال ينفع العين[٣] .

---

(١) ج ١ ص ٣٣٤ و٣٣٥ من المصدر السابق .

(٢) ج ١ ص ٣٤٠ إلى ٣٤١ من نفس المصدر السابق .

(٣) ج ١ ص ٣٥٢ من المصدر السابق .

(٥)

وفيـه (حجر مـرداسنج) هـذا حجر متخـذ من الرّصـاص ينفـع من الجـراحات ويخففهـا إذا اتخذت منـه المـراهم ويبـرىء القـروح ويلحم الجروح ويذهب برائحة الزفر من الناس .

(قـال ابن سينا) في حجـر مـرداسنـج : إنّـه يـطيب رائحـة البـدن والابط ويجلو الكلف والآثـار السـود والـدم الميّت وآثـار الجـدري وهـو سمّ قـاتل يحبس البـول وإذا طلي بـه الإبط الفضـلات إلى القلب فليكن بدهن ليأمن غائلة ذلك[١] .

(٦)

(حجر النوشـادر) تولّـده كتولّـد الملح إلاّ أنّ الأجزاء النـارية فيه أكثر من الأرضية ولذا إذا أرادوا تصعيده يتصعد كله .

وقيل إنّه من أجزاء مائية وأجزاء دخانية لطيفة ، كثيرة الحرارة .

(قـال ابن سينا) في حجـر النّـوشـادر إنّـه : إذا رش البيت بـالمـاء الذي جعل فيه النوشادر يهرب منه جميع الهوام[٢] .

---

(١) ج ١ ص٣٥٦ من المصدر السابق .
(٢) ج ١ ص ٣٦١ و٣٦٢ من نفس المصدر السابق .

الفصل السابع



يقــول المؤلف الحكيمي : هـذه القصص الجميلة عن ابن سينــا انقلهـا عن رجال العلم والحديث من أسـاتـذتي في أثناء محـاضـراتهم الدراسية وكانوا ينقلون ذلك لنا ولساثر الـطلاب لتشويقنـا للعلم وتشجيعنا لنزداد رغبة على التعلم اقتداء بالسلف الصالح فرأيتها جـدير بـان أذكرهـا هنا لمن يحب الإطلاع على امثـال ذلك والـراغبين في القصص الجميلة ولعل البعض يجد في بعضها شيئاً من النـوادر وأحيانـاً الغـلو ولكن ليس من هذا من غلو فإنّ سبحانه وتعالى ينشدنـا بقولـه «ذلك فضـل اللّه يؤتيه من يشاء» فلا بعـد أن تكون لهـذه القصص والحكايات واقعيته وفي كـل ذلـك أذكـر اسم النّـاقل من العلمـاء والخـطبـاء والمفكـرين على تـرتيب الأرقام :

حكاية في ذكاء ابن سينا

حكي أنّ ابن سينا كان له من العمر سنتين تقريباً ولم ينطق، حملته أمّه يوماً في بيتها وأرادت بها الخروج بـه إلى الضيافـة ، فعندمـا خرجـوا إلى دار الغير وجلست مع النسـاء نزعت قـلادتها حين تـرائي أحد النسـاء المضيفات ، ودار بينهم الكلام والحديث حتى نسيت أن تلبسها ، وجـاء الغـراب فأخـذت تلك القـلادة وهي لا تعلم ، وعلّقهـا على الشجـرة في

تلك الـدّار ولم يعلم أحد ، واضـطربت هي وتفحّصت وسألت ولم يعلم أحـد بشيء حتى يجيبهـا ، فمضت على هـذه المسـألـة حـوالي خمس سنوات إلى أن نطق ابن سينـا ولدهـا ، ففي هذه الأيـام أيضاً ضيّفـوا في نفس الـدّار ، فـدار الحـديث بين النسـاء أن تلك القـلادة منـذ خمس سنـوات حتى هذا اليـوم لا أثر لـه ، وإذا بـابن سينـا قـال لهـا يـا أُمّاه إنّ القـلادة أخذهـا الغراب وعلّقهـا على الشجرة ، وإنّي علمت ذلـك ولكن لا يمكنني النطق والتكلم ، فتعذّرت عنـد ذاك ، فلّما نـظروا إلى الشجرة هي والنسـاء وإذا بالقـلادة معلقة بأحـد فـروعهـا ، فكبـروا اللّه من هـذا الذّكاء[1] .

ومما حدّثنا به سيّدنا السند والحبر المعتمد أُستاذنـا الأكبر آيـة اللّه العـظمى السيـد محمـد الشيـرازي في مجلس درســه في الأخـلاق : قـال : ذكروا في مـذكرات ابن سينـا وأقوالـه أنّه اصـطنع مـع صبي آخـر أيام صبابته في مكتب درس عند معلم فكـان ابن سينا نـاجحاً في دروسـه عند المعلم حتى كان ممتـازاً عليهم فسأل والـد ذاك الصبي الذي بجنب ابن سينـا في نفس المكتب ، لمـاذا ينجـح الحسين بـن عبـد اللّه بـن علي بـن سينـا ولم ينجح ولـدي ولا يمتاز ويفـوق عليـه وابن سينـا فـائق عليهم جميعـاً ، قال المعلم : ولـدك والآخـرين لا يقـاسـون بحسين بـن سينا . قال لماذا ؟ قال المعلم : لشـدّة ذكائـه وفطانـة ذهنه وتـوقد فكـره وهـذا شيء عطاء من اللّه قـال وكيف تثبت ذلـك ؟ قـال المعلم : دعني وجئني عصـراً فلمـا خـرجـوا الصبيـان كلهم للظهـر إلى الغـداء . جعـل المعلم لابن سينا تحت موضـع الذي يجلس عليـه وهو ذاك الفـرش ورقة يعني (قـرطاس) أو مـا أشبـه ، وتحت فـرش ومكـان الـذي كـان يجلس عليـه ذلـك الصبي لـوحة من الخشب ، والمعلم تـرك الأمر حتى رجعـوا

(١) حدّثنا بهذه الحكاية العلامة الجليل والسيد النبيل والخطيب اللبيب السيد محمد كاظم القزويني الكربلائي صاحب كتاب علي من المهـد إلى اللحد وغيـره في أحدى محاضراته في شهر رمضان المبارك .

بعد الظهر كليهما إلى المكتب أيضاً فلمّا جلسا رأى المعلم إنّ ابن سينا ينظر تارة إلى الأرض وتارة إلى السقف وهو يفكر ، فكرّر النظر مراراً فسأله المعلم : لماذا تنظر إلى الأرض وإلى السقف؟ قال : بحجم ورقة إمّا الأرض مرتفعاً وإما السقف نازلاً . وفكرّوا في هذا الأمر الظريف الذي ما كان في صباح هذا اليوم فلمّا حدث عصراً . وكان المعلم ينظر إلى صبي جنبه وكان تحته لوحة . من الخشب فما التفت بالبت فنظر إلى والد الصبي وقال : هذا الذي قلته لك إنّ العطاء والفضل والموهبة من اللّه وذلك قوله تعالى (وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء) فتوجهوا إلى اللّه في كلّ الأمور فإنّه بيده الخير وهو على كل شيء قدير كما في محكم كتابه .

حكاية ثانية

ويحكى : أنّ ابن سينا كان يعطي لطلابه محاضرة ، ويلقي عليهم الدرس فكان يتكلّم بمستوى عالٍ فقالوا له بعض تلامذته : لو تكلّمت ببساطة وأخفض من هذا ، فكان الجواب من ابن سينا : أنا لا أتكلّم بأخفض من هذا ،ولكن أنت صعّد دماغك حتى تعلم بكلام الرُّقا ومستوى عالٍ[1] .

حكاية ثالثة

ويحكى : أن ابن سينا بعد تأليفه الكتب الكثيرة ، وتهذيبه الطلاب جمٌّ غفير، وشفائه الناس جمع كثير ، فعندما شاع خبره بالعلم والحكمة والفن في كل من العلوم ، قالوا له بعض فضلاء تلامذته : لو شرعت في تأليف تفسير القرآن فإنّها أكبر الكتب ، فقال ابن سينا : أطيع ذلك ولكن مهّلوني قليلاً فأخذ في تفسير القرآن ، ومما شرع من التفسير سورة التوحيد ثبت في فكره لأنّها أقلُ السور آية ، فهي تحتوي على أربعة آيات فقالوا له : لماذا انتخبت هذه السورة من كتاب اللّه

---

(١) بنقل العلامة الثقة الشيخ أحمد المحمودي الفالي .

قال : لأنّها أقل شيء آية فأخاف أنّ عمري لا يكتفي بإكمال سور الطوال فانتخبتها فمضت من هذه الشروع حتى أربع سنوات ، فكلّما سألوه : يا شيخنا هل كمل التفسير ؟ قال : كلّا ، حتى نهاية أربع سنوات قال لهم بعد كثرة السؤال بإكمال التفسير جواباً ، قال : إني قصمت ظهر كل علم ولكن القرآن قصم ظهري وحتى الآن أنا في تفسير سورة التوحيد ولم ينقضي[1] .

حكاية رابعة

ويحكى : أن شيخ الرئيس ابن سينا كان نظره حادّاً بحيث يرى الذباب بمسافة أربع فراسخ ، كل فرسخ ٥ كيلو مترات ونصف = ٢٢ كيلومتر تقريباً ، وكان سمعه أيضاً حاداً بحيث يسمع من ٢٢ كيلو متر وأكثر ، فعلى مثل هذا حكي عنه حكاية : ـ

أنّه كان في زمان الذي كان يدرس في همدان ، ويسهر الليالي كي يطالع الكتب ، فقال يوماً لحاكم همدان : إن الصّفافير وهم أهل النحاس في إصفهان ، إليّ أتأذّى من اشتغالهم بعملهم في بعض الليل ، لأنّ دقّ مطرقتهم على الصفر وكثرة الصوت الكثير وأنا في همدان لا أتمكن من المطالعة ، واستنباط العلوم من الكتب ، فلو قلت لهم بترك عملهم في الليل حتّى لا يزاحمني الصوت ، فتعجّب الحاكم من هذا الحديث ولم يصدّق ، فدانش بعض المسؤولين في هذا الموضوع فقال : أمتحنه ، قل لهم هذه الليلة أن يدقّوا الى الصّبح وهو في همدان لا يراهم ، وهمدان إلى اصفهان مسافة كثيرة اكثر من مئة كيلو متر (١٠٠ كم) فأمرهم الحاكم بالدّق والعمل بالنحاس حتى الصّباح ليمتحنه في ذلك فعند الصباح جاء ابن سينا إلى حاكم همدان وهو يلطم على رأسه وعيناه تجري بالدموع مصفّراللّون بلا عمامة ورداء

---

(١) بنقل أحد المحدثين البارعين في إيران من إذاعة خراسان على ساكنها الف سلام كان يخطب به في شهر رمضان سمعتها من إذاعة ايران .

والسهر بانٍ على وجهه وهو يصرخ ويقول : إنّي بالأمس ما نمت ولا ساعة ، ولا طالعت شيئاً فإنّهم إلى الصُّبح دقُّوا ، فعلموا عندئذٍ بأن الرجل صادق في حديثه وأنّ هذا الذكاء المفرط هو هبة من اللّه تعالى ، فمنع الحاكم بعد ذلك عمل الصّفافير باللّيل احتراماً وإجلالاً لشيخ الرئيس ابن سينا[1] .

عن الامام الصادق عليه السلام

كما روي مثل ذلك عن الامام الصادق عليه السلام عن ابن عباس أنه سئل كيف تفقد سليمان «عليه السلام» الهدهد من بين الطير قال : إن سليمان «عليه السلام» نزل منزلاً فلم يدر ما بعد الماء فكان الهدهد يدل سليمان على الماء فأراد أن يسأله عنه ففقده قيل كيف ذلك والهدهد ينصب له الفخ يلقي عليه التراب ، ويضع له الصبي الحبالة فيغيبها فيصيده ؟ فقال : إذا جاء القضا ذهب البصر ، وقيل : إنّما تفقده لإخلاله بنوبته ،وقيل : كانت الطيور تظله من الشمس فلما أخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه .

أقول : ويشبه الهدهد في حدّة البصر وقوّته من بين الطيور النسر فإنّه كما في الانوار يرى الجيفة من أربعمأة فرسخ ، وكذلك حاسّة شمّه وهو أطول الطيور عمراً يقال يعمر ألف سنة وأقواها جناحاً حتى يطيرها بين المغرب والمشرق في يوم واحد ، وذكروا في خواصه أنّ من حمل معه قلب النسر كان محبوباً ومهاباً مقضي الحاجة عند

---

(١) حدثنا به استاذنا حجة الاسلام والمسلمين آية اللّه العظمى في العالمين السيد السند والحبر المعتمد السيد محمد الحسيني الشيرازي في إحدى محاضرات درسه الخارج . كنا نحضره في الكويت وكما حدثنا بحكايته استاذنا حجة الاسلام والمسلمين شيخنا المعظم شيخ مهدي كابلي في احدى محاضراته في كربلاء المقدسة دراستنا مكاسب الشيخ الانصاري (ره) عنده .

(٢) لئالي الأخبار، الجزء الثاني . صفحة ٩٠ والبحار وغيره .

السلطان وغيره ولا يضرّه سبع أبداً .

حكاية خامسة
حكاية مع تلميذه (بيهمنيار)

ويحكى : أنّ تلميذه قال له يوماً : شيخنا لو ادعيت النبوة مع علمك هذا ، وفطانتك ، وكياستك وكثرة ذكائك ، فاعلم بأن الناس يقبلون منك لو ادَّعيت ويعتقدون بك فقال له ابن سينا :

أجيبك بالجواب في وقتٍ آخر ، فذهبت أيام وجاءت أيام ، وفي همدان بردٌ كثير ، فكان هذا التلميذ ملتزم به لا يفارقه ليلاً ونهاراً وهو (بيهمنيار) حتى ينام معه في حجرته ، فسمع ابن سينا ليلةً من الليالي الشتائية في همدان صوت المأذنة رافعةً بالأذان ، ووصل المؤذّن إلى : أشهد أنّ محمداً رسول اللّه قال ابن سينا لتلميذه : أراقد أنت أم رامق أي أنت واعي أم نائم فقال : لا ، أنا واعي ، فقال ابن سينا : قم واتني بإناءٍ من الماء ، ، فقال التلميذ : يا شيخ لو صبرت بعد قليل لأن الليل شتائية والسحاب تنزل ، وأنا دافىء في مكاني ، ولكن بعد زمان آتيك بالماء ، فقال له ابن سينا : هذا جواب ما قلت لي ، إنَّك لو ادَّعيت النبوة ، صدقوك الناس وقبلوا منك ، فاعلم ؛ أنَّ الذي يحق له النُبوة هو محمد «ﷺ» خاتم الرُّسل وسيِّد الكائنات ، انظر إلى المأذنة بعد ستمائة سنة وأكثر ، كيف يخرج إنسان من منزله ومأواه ويصعد به على المأذنة ويشيِّد ويعلن باسمه : أشهد أنَّ محمداً رسول اللّه ، وأنت من خُلَّص تلامذتي ، وأخذت مني ما أخذت ، وتعبت عليك ما تعبت ، فعندما أقول إعتني بإناءٍ من الماء تقول لي لو صبرت بعد قليل لأنَّ في هذا الوقت : الهواء باردٌ والسحاب تنزل ولم تطعني وتعتذر ، فكيف بالناس الآخرين ، فإذا النبوة لا تليق بمثلي وأمثالي بل يليق بمحمد بن عبد اللّه «ﷺ» حيث بعد هذه المدَّة الطويلة يخرج هذا الإنسان من فراشه ويعلن باسمه ، ويذكر الناس بقانونه ونظامه

وهي الصلاة والمناجاة مع الله ، والتوجُّه إليه ، ومحمد بن عبد الله هو الحاكم في القلوب والمحبوب عند الناس ، فله لياقة النبوة ولا لمثلي وأمثالي ، فأفحم التلميذ وسمع الجواب .

فانظروا أيها المسلمون إلى ذكاء هذا الرجل واعتقاده برسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»[1] .

حكاية سادسة
وصيّته لتلميذه لما بعد موته

ويحكى : أنَّ تلميذه هذا (بيهمنيار) أوصاه ابن سينا ، قال : إذا متُّ أنا فاعلم أنّي صنعت هذا المعجون ، فاطلها بجسدي وانظرني مدَّة واغسلني بالحليب ، ثمَّ اطلني ، ثمَّ اغسلني بالحليب ، ثم اطلني ، ثم اغسلني بالحليب ، ثم اطلني ، ثمَّ اتركني تحت الشَّمس تراني أحيا فلا تتعجَّب .

فلمَّا مات ابن سينا ، كان المعجون عند التلميذ ، ففكَّر في ذلك ، وقال في نفسه : أنا تعبت مع هذا الأستاذ مدَّة مديدة حتى تعلمت منه ما تعلَّمت لكي يصفي الجو بعده لي بالطِّبِّ والعلوم والفنون ، فإذا أنا أحييته بهذا المعجون كما قال فما فائدتي بعد هذا العمر الطويل والتَّعلم الكثير ، والتعب المرير ، فامتنع ذلك وما عمل الوصيَّة ، وترك ابن سينا ميِّتاً ، والعلم عند الله .

هذه القصَّة الأخيرة نقلناها من كتاب حصالة الفكر .

«ومما جاء في ابن سينا»

قبل أن يغادر ابن سينا بخارى كان على اتصال بالمفكرين

---

(١) بنقل آية الله الخطيب اللبيب شيخ عبد الحسين الوحيدي الخراساني في احدى ليالي شهر رمضان المبارك في احدى محاضراته في حسينية السيد محمد بالكويت .

والعلماء من أمثال عبد الرحمن البيروني وأبو نصر الاراك وفي هذه الحقبة بدأت المناظرات العلمية بين ابن سينا والبيروني في الطبيعة والفلك .

إن رجلاً في عبقرية وآراء وعلم وفلسفة ابن سينا جذبت له العديد من التابعين والمؤيدين وكذلك كثيراً من المعارضين من العالم الاسلامي والاوروبي في عصره بل إن تأثيره على هؤلاء جميعاً وخاصّة الأدباء والفلاسفة استمر عبر القرون التي تلته .

ولسنوات طويلة جاب ابن سينا إيران يعمل عند الأمراء المحايين وفي عام ١٠١٧ م عمل كوزير وطبيب لحاكم همدان ولكن بعد موته وفي عام ١٠٢٢ م سجن لمدة أربعة شهور ولكنه تخفى وهرب في زي أحد الدراويش إلى اصفهان حيث أمضى بقية حياته طبيباً لعطاء الدولة .

تأثير ابن سينا العظيم على الطب العالمي .

إن شهرة كتاب القانون لابن سينا كانت عظيمة حتى أنها حجبت شخصيات عظيمة مثل أبقراط وجالينوس حتى نهاية القرن السابع عشر ، وقد وصفه أوسار بأنه أشهر كتاب في الطب كتب في التاريخ وكإنجيل طبي دام أكثر من أي كتاب آخر . جاء في سيرته كما كتبها أحد تلاميذه أبو أياد جوزجاني ـ أن ابن سينا وهو في السادسة عِشرة من عمره . كان طبيباً ذائع الصيت حتى أن حاكم بخارى في ذلك الحين نوح بن منصور دعاه لعلاجه وبعد شفائه وضع مكتبة قصره تحت تصرف ابن سينا حيث قرأ فيها كتباً نادره وفي عام الثامن عشر كان ابن سينا قد قرأ كل ما عرف في عصره .

إن القصة التالية لدليل على مدى براعة ابن سينا واكتشافه الصلة الوثيقة بين الحالة النفسية والمرض العضوي للمريض .

حكاية سابعة
في كشف ابن سينا لعلاج أحد المرضى

ويحكي : أنه استدعي ابن سينا للكشف على أحد المرضى وبعد فحصه فحصاً دقيقاً تأكد أنه لا يعاني من مرض عضوي ولكن من حالة نفسية وعندئذ استدعى رجلاً يعرف أحياء المدينة وشوارعها خير المعرفة وأخذ في سرد أسماء الأطباء اسماً اسماً بينما يضع ابن سينا اصبعه على رسغ المريض ويحس نبضه ويلحظ التغيّرات على وجهه حيث لاحظ عليه التأثر عند ذكر اسم حي معين وعندئذٍ ذكر في شوارع ذلك الحي حتى اكتشف الشارع الذي تأثر بذكره هذا المريض وهكذا حتى وصل إلى ذكر البيوت وساكنيها فرداً فرداً حتى ذكر اسم فتاة معيّنة فعرف أن الشّاب يهواها وكان العلاج هو الزّواج وتم بعده الشّفاء[1] .

إن كتابات ابن سينا في فروع الطّب المختلفة هائلة فهو من رواد الطب النفسي البدني .

حكاية ثامنة
وهذه القصة مثال طريف

ويحكى : طلب ابن سينا لعلاج حالة مريض نفسي يعتقد أنه بقرة ويرفض الطعام الذي يقدّم له ويطلب أن يذبح وعندئذٍ استدعي ابن سينا جزارا ووعد المريض أن يذبحه ولكنّه أخذ يتحسس جسمه ثم قال «لا . . . هذه البقرة هزيلة جداً وتحتاج لبعض التغذية وفعلاً أخذ المريض في تناول الطعام ثم شفي بعدها[2] .

---

(١) بنقل السيكوسوماتيك من جريدة الانباء العدد ١٨٦٧ ، السبت ١ / جمادى الأول / ١٤٠١ هـ / ٨ مارس «٣» / ١٩٨١ م .

(٧) بنقل السيكوسوما تيك من جريدة الأنباء ، العدد ١٨٦٧ ، السبت ١ / جمادى الاول / ١٤٠١ هـ ٨ / مارس «٣» ١٩٨١ م .

«ومما عمل ابن سينا»

إن ابن سينا عمل كوزير أكثر من مرة وكانت لآرائه وزن عظيم ولكن شخصاً بوزنه لا بد أن يكون له أعداء ولكن خلال الأربعة عشرة عاماً الأخيرة من حياته نعم ببعض السلام في بلاط البويجد .

توفي ابن سينا عن ٥٧ عاماً عام ١٠٣٧ م الموافق ٤٢٨ هـ في مدينة همدان الواقعة في غرب إيران أثناء حملة للأمير علاء الدولة .

جاء في كتاب النجاة دعوى له تقول أن هناك مرحلة ما قبل الخلق حيث لم تكن المخلوقات كائنة بعد ثم انتهت هذه المرحلة .

لا يمكننا الخوض اكثر من ميتافيزيقا ابن سينا الآن ولكن هناك الجديد الذي قدمه للعلم فبالنسبة لتكوين الاحجار الكبيرة . يرى ابن سينا هذا يحدث مرة واحدة عندما تتعرض قطعة هائلة من الطين لدرجة سخونة عالية جداً أوبالتدريج بمرور الوقت .

أما الزلازل فلقد اعتقد مثل أرسطو أنها تتكون من الرياح ولكن الصواب ما قاله عن أن التلال تتكون صدفة بسبب الزلازل وينطبق ذلك على تكوين الوديان ويرجع كذلك أن العلم كان موجوداً ولم يكن مسكوناً قبل الزمان ، ثم يتبع نفس نظرية أرسطو أنه غرق تحت المحيط . ولقد ظلت نظريات ابن سينا عن تكوين الصخور معروفة بعد موته بأعوام كثيرة .

ويرجع الفضل للعلماء مثل ابن سينا والبيروني والكندي في اعطاء علماء القرون الوسطى معلومات عن تكوين الصخور وغيرها .

وقد قسم ابن سينا الأجسام المعدنية إلى أربعة درجات أحجار

---

(١) الاثنين العدد ١٨٦٩ ٣ / جمادى الأول / ١٤٠١ هـ ، ٩ / مارس «٣» ١٩٨١ م .

ومواد ـ يمكن دمجها ومواد كبريتية واملاح وهـذا يعني درايته بـأن الأملاح لها درجة انصهـار وعندما يقول أن بعضهـا لين كان يضـع مفهوم التمييـز بين المعادن وغير المعادن ، حيث أن المعادن قابلة للطرق والسحب .

حكاية تاسعة

«القاضي ابن سهلان وكتاب الشفاء ...»

ومن عجـائب ما حكي من لـطف اللّه تعالى في حق القـاضي عمر ابن سهلان[1] انّه قـال : أردت الاشتغال بـالعلوم ومـا كـان لي مـال ولم يبن في ذلـك الـوقت شيء من المـدارس ، وكـان لـه خطّ في غـايـة الحسن ، قـال : كتبت ثـلاث نسـخ من كتـاب الشفـاء لأبي علي ابن سينـا ، وكان إذ ذاك للشفـاء رواج عظيم ، بعت كـلّ نسخة بمـائة دينـار وأودعت ثمنهـا ثـلاثمـائـة دينـار عنـد بزّاز صـديق لي . وكلّمـا احتجت أخـذت منهـا وأنفقت حتى غلب علي ظني أني استـوفيتهـا ، فـانقطعت عنـه ، فـرآني الـرجـل وقـال : مـا لي أراك تـأخـرت عن طلب النفقـة ؟ قلت : لأني استوفيتها ! قـال : ، بعد أكثره باق ! فكنت أمشي إليـه بعد ذلـك مرّة أخـرى ثم انقطعت لمّا علمت أني استوفيت أكثـر من مـالي ، فـرآني وقال : مـا سبب انقطاعـك ؟ قلت : جزاك اللّه عني خيـراً ! أني استـوفيت أكثـر من مـالي ! فقـال : لا تنقـطع فـإنّـه قـد بقي منهـا بعـد كثير ! .

حكاية عاشرة

إبن سينا وطلاّبه وأهل أصفهان

يقـول الحكيمي : وسمعت شيخي ينقل عنـه في درس المكـاسب

---

(١) وصفه القزويني في آثار البلاد . . . بأنّه كان أديباً فقيهاً حكيماً خصّـه اللّه بلطافة الـطبع وفـطانة الـذهن ، وفصـاحـة الكـلام ومتـانـة البيـان ، واستحسن جميـع تصانيفه ، وقال بأنه من أهل ساوه . .

إلينا قال : لو أراد اللّه أن يخلق إنساناً عجيباً خارق العادة لاراد لمشيّته .

ثم قال : كان إبن سينا وهو في همدان آن ذاك وله مدرسة وطلبة ، فإذا خرج من بيته إلى مدرسته يستقبلونه حوالي ألف طلبة حول دابّته وهم يسئلونه إلى أن يصل إلى المدرسة ، وإذا أراد أن يذهب من المدرسة إلى بيته شيّعوه أكثر من ألف إلى البيت ، وهم يسئلونه حتى لا يذهب هذا الوقت العزيز منهم سدئ وتلف .

لأنّ شيخهم شيخ الرّئيس يقال له ذاك اليوم ليس له وقت إضافي ، وكلّ اللّيل مشغول بالمطالعة ومراجعة الكتب المخطوطة وكان عمره ستّة عشر ، كتَبَ كتاب القانون وهو من كُتبه الجليلة ، ونحن إلى الآن يعُوزنا مدرّس (قانون إبن سينا) وهو عَصر النّور ، وقَرن العشرين والكتب والمطابع والإختراعات والدّكاترة والمهندسين والمخترعين .

ولـذا تحيّروا ذاك اليوم في هذا الإنسان العجيب ، وكانوا ينقلون : أنّ سمعه يَسمع أكثر من أربع فراسخ ، يعني ٢٥ كيلومتر ، وعينه يرى الذباب أكثر من أربعة فراسخ ، فلم يُصدّقوا ذلك البعض وأرادوا أن يمتحنوا شيخ الرّئيس إبن سينا هل صحيح ، وهل هناك إنسان غريب الخَلقة .

فنقلوا إلى والي أصفهان هذه الكلمات : أن يوجد شخص يسمع هكذا ويرى هكذا .

ولقد سئل السّلطان والوالي : أنّي سمعتُ أنّه يوجد إنسان عالم في همدان يقول :

لو تركوا أهل إصفهان ومنهم الصّفافير والحدّادين عملهم في اللّيل ، لأنّي بعد الصّلاة أريد المطالعة في درفي إلى الصّبح ، فإنّ أصوات السّوق يشغلني وإن يُعزّل الأسواق بعد الصّلاة كان أحسن .

قال الوالي : فلا أعلم هل هذا صحيح ؟ قالوا : نعم .

فقال : إنّي أختبر ذلك .

فقالوا : كيف اختبارك وهو في همدان ؟

فقال : أءمر هذه اللّيلة أنّ جميع أهل السّوق من الصّفارين والحدّادين يدقّون ويشغلون إلى الصُبح حتى أرى ماذا يكون الخبر ؟

فأمر بذلك ، فجاءه الخبر صباحاً : أن يا سِيادة الوالي سمعنا بأنّ الشيخ الرّئيس في همدان خرج تلك اللّيلة من بيته وترك مطالعته ويلطم على رأسه ويقول : هذه اللّيلة شغلوني بهذه الأصوات من دقّ الصّفافير والحدّادين ولم أتمكّن من المطالعة .

وعطّل الدّرس وصار ما صار في بلدة همدان ، فيريدون أن يفيدون عليك حتّى تنهاهم عن هذه الأعمال في اللّيل .

فقال الوالي : إذاً فصحيح ، ثم أمر أن يتركوا العمل باللّيل بعد العشائين وحَمِدَ اللّه وسجد للّه سجدة الشُّكر على أن يوجد هكذا شخص .

حكاية حادية عشرة

«ابن سينا وأحمد الخازن والجوزة ..»

قال صاحب روضات الجنات في ترجمة أحمد بن محمد الخازن في بعض الكتب . أنّ الشيخ الرئيس دخل يوماً على أحمد بن محمد الخازن في مجلس التدريس . فأراد أن يظهر عليه الفضل بحضرة من طلّابه الكثيرين أو يختبرهم في الأمر ، فألقى بين يدي الاستاذ جوزة كانت بيده وقال متعرضاً له : بيّن لي المساحة من هذه بالشعيرات . فقال له الاستاذ بديهة بعدما نبذ إليه أوراقاً كانت عنده : أما أنت فأصلح بهذه أخلاقك حتى اجيبك عما تريده .

«أمثلة ذهبية» : الندم على السكوت خير من الندم على الكلام .

فلهذا قيل إذا كان الكلام من الفضة فالسكوت من الذهب .

وفي الرواية «العلم يزينه الحلم» .

وقيل لحكيم ما اغنى من الذهب؟ أو ما الشيء أغنى من الذهب ؟ قال النفس الغنية عن الذهب .

وقيل لحكيم هل يوجد شيء أفضل من علم ابن سينا ؟ قال الأدب وحسن الخلق .

ابن سينا وبعض ظريف كلامه في النساء

نقل عن الشيخ الرئيس ابن سينا أنّه قال :

النساء من ثلاث إلى عشر سنين ، لعبة اللاّعبين .

ومن عشرة إلى خمسة عشر هنّ حور العين .

ومن خمسة عشر إلى عشرين ، هنّ لحم وشحم ولين .

ومن عشرين إلى ثلاثين ، هنّ أمّهات البنات والبنين .

ومن ثلاثين إلى أربعين ، هنّ عجوز في الغابرين إلى آخره راجع المنهاج[1] .

ابن سينا القاص

القصة الأولى .

لابن سينا قصص ثلاث عرفوا وذكروا في عداد مؤلفاته . . . وهذه القصص وصفت بانها من نوع الآداب الرمزية التي تسود اوروبا في عصرنا الحاضر ، وهي محكمة المزاج رائعة التصميم ، بعيدة الخيال ، قليلة الأشخاص موجزة ، ولغتها لغة الفلسفة والرموز العميقة المعاني . . لهذا فان فهم رموزها وأهدافها يتوقف على العارفين الذين

---

(١) منهاج البراعة ج ٦ ص ٩٨ .

تمكنوا من الاطلاع على الفلسفة وادراك ابعادها .

وقبل ان نبدأ باستعراض القصص الثلاث ، وما جاء فيها ، لا بد لنا من العودة إلى ما قبل ابن سينا اي إلى رسائل إخوان الصفاء ، لنرى رأي هؤلاء في هذا الموضوع ، ولنؤكد : بان ابن سينا لم يكتب قصصه الثلاث إلا بعد أن قرأ وتشيع بما جاء في رسائل إخوان الصفاء ، وعلى الأخص في الرسالة الثانية والعشرون ـ المعروفة بقسم الجسمانيات الطبيعيات . . . وهذه الرسالة طويلة وشيقة وتحتوي على قصة الانسان والحيوان ، وقد جاءت على السنة الحيوانات المتعددة الأشكال والأنواع ، ويقابلها ألسنة الرجال الذين يختلفون بلهجاتهم وأصلهم وأوطانهم .

ومن الجلي الواضح أنها جاءت طافحة بالرموز العديدة ، والمسائل المغلقة ، ذات المعاني التي تحتاج إلى تفسير وتأويل . . . وقد تركها اخوان الصفاء كما هي دون ان يفسروها . . . وهكذا حذا حذوهم ابن سينا بالنسبة لقصصه الثلاث ، فإنه تركها للقارىء لكي يستخلص منها ما يريد .

يقول إخوان الصفاء :

ثم اعلم : إننا بينا في هذه الرسالة ما هو الغرض المطلوب . . ولا تظن بنا ظن السوء ، ولا تعد هذه الرسالة من ملاعبة الصبيان ، ومخارفة الأخوان . . اذ ان من عاداتنا الجارية ان نكسو الحقائق الفاظاً وعبارات واشارات .

وفقكم اللّه لقراءتها واستماعها ، وفهم معانيها ، وفتح قلوبكم وشرح صدوركم ونور بصائركم بمعرفة اسرارها .

ويقولن :

---

(١) ابن سينا في مرابع اخوان الصفاء ـ ٢١٩ .

انه ولي على بني الجان ملك يقال له «بيراست الحكيم» ولقبه «شاه مردان» وكانت دار مملكته «مردان» في جزيرة يقال لها «صاغون» في وسط البحر الأخضر مما يلي خط الإستواء ، وهي طيبة الهواء والتربة ، فيها انهار عذبة وعيون جارية ، وهي كثيرة الريف والمرافق وفنون الأشجار وألوان الثمار والرياض والأنهار والرياحين والأنوار ، ثم انه طرحت العاصفة في وقت من الزمان مركباً من سفن البحر إلى ساحل تلك الجزيرة وكان فيها قوم من التجار والصناع وأهل العلم وسائر أغنياء الناس فخرجوا إلى تلك الجزيرة وطافوا فيها . . . فوجدوها كثيرة الأشجار والفواكه والثمار والمياه العذبة والهواء الطيب والتربة الحسنة والبقول والرياحين وأنواع الزرع والحبوب مما تنبته امطار السماء . ورأوا فيها اصناف الحيوانات من البهائم والأنعام والطيور والسباع والوحوش والهوام والحشرات أجمع ، وهي كلها متآلفة بعضها في بعض ، ومستأنسة غير متنافرة .

ثم ان اولئك القوم استطابوا ذلك المقام ، واستوطنوا ، وبنوا هنالك البنيان وسكنوا ثم انهم أخذوا يتعرضون لتلك البهائم والأنعام التي هنالك يسخرونها ليركبوها ، ويحملوا عليها اثقالهم على المنوال الذي كانوا يفعلون في بلدانهم ، فنفرت منهم تلك البهائم والأنعام وهربت ، فشمروا في طلبها بأنواع من الحيل في أخذها ، واعتقدوا فيها أنها عبيد لهم هربت وخلعت الطاعة وعصت فلما علمت تلك البهائم والانعام هذا الاعتقاد منهم ، جمعت زعماءها وخطباءها إلى «بيراست» الحكيم ملك الجن وشكت إليه ما لقيت من جور بني آدم وتعديهم عليها واعتقادهم فيها . فبعث ملك الجن رسولاً إلى أولئك القوم ودعاهم إلى حضرته ، فذهبت طائفة من أهل ذلك الموكب إلى هناك وكانوا نحواً من «سبعين» رجلاً من بلدان شتى . فلما بلغه قدومهم امر لهم بطرح الانزال والاكرام ثم اوصلهم إلى مجلسه بعد ثلاثة أيام .

إننا هنا لا نفسر الرموز . . بل نترك للقارىء ان يستخلص ما

بشاء من المعاني ، ولكن لا بد من التنبيه إلى ضرورة معرفة «السبعين رجلاً» الذين وفدوا من بلدان شتى . . ولماذا لم يكن عددهم ، ثمانين أو ستين مثلاً ؟ وإلى «الثلاثة أيام التي حددها الحكيم» «بيراست» للدخول عليه بعد انقضائها . ففي معرفة هذه الرموز يتسنى بعدها الوصول إلى المقصود من القصة ، وإلى ما ترمي إليه هذه الفلسفة .

إن هذا الطريق ، وهذا الاسلوب في كتابة القصة التي تخفي وراءها الرموز والألغاز . هو نفسه الطريق الذي سلكه ابن سينا ، وكل هذا يعطينا الدليل الدامغ بأن هذا الفيلسوف كان تلميذاً لإخوان الصفاء كما ذكرنا يسير على خطواتهم ، ويتبع نهجهم ، ويمثلهم خير تمثيل ، مرتدياً ثوب التلميذ النجيب المتفوق .

فقصته : «حي بن يقظان» وأن تكون قد ارتدت طابع الفلسفة ، الذي يغلق الأبواب على ـ رموزها ، ووقائعها ، فإن المسحة الأدبية الشيقة تلف اجزاءها ، وتضفي عليها اسمى التعابير ، وأروع الكلمات . ومن المفيد ان نشير إلى انه كتبها وهو سجين في احدى قلاع «همدان» وخلاصتها :

إن حي بن يقظان خرج في أحد الأيام مع بعض رفقائه إلى بعض المتنزهات فعرض له شيخ متقدم في السن قد احنت ظهره الأيام ، ولكنها لم تستطع ان تذهب البهاء والجمال عنه .

فاقتربوا منه ، وعندئذ بدأهم بالتحية والسلام ، ثم اخذ يشرح لهم حاله وصنعته وبلده ونسبه ، وخلص إلى القول بأن حرفته هي السياحة في أقطار العالم ، وانه قد فقد والده ، وانه سيظل يطوف الدنيا حتى يصل إليه .

وظلَّ هؤلاء يطارحونه المسائل في العلوم ، فرأوا منه ما يستخرج العجب ، وقد أشاد بفائدة علم الفراسة التي يقصد بها علم المنطق .

ولمَّا توسَّم هذا الشيخ بحي النجابة اخذ يحذره من الرفقاء الذين معه ، ويبين له بأنهم رفقاء سوء ، وانه اذا استمر في رفقتهم وطاعتهم أوصلوه إلى بر الندامة ، ثم اخذ يصفهم له واحداً واحداً .

ثم سأله حي فيما إذا كان باستطاعته ان يدله على سياحة يقوم بها مثل سياحته . . . ؟

فأجابه :

إنك لا تستطيع ذلك . . . ولكني ادلك على سياحة قصيرة المدى ، ثم أخذ يشرح له عن البلاد والأقاليم ، وذكر له عيناً إذا وصل إليها السائح وتطهَّر بها وشرب من عذب مائها سرت في جوارحه قوة يستطيع بها ان يقطع المهامة والمسافات ، ثم يفضي به السير أخيراً إلى فضاءٍ غير محدود ، قد شحن نوراً واستطاع بعد ذلك بشربه مائها ان يخف على الماء فلا يغرق ويصعد الشواهق فلا يتعب .

ثم وصف له أقاليم اخرى ، وهي الأفلاك السبعة ، ووصف له خواص كل فلك وان وراء هذه الأفلاك فلكاً عاشراً هو علة العلل وهو واجب الوجود ، فمن وصل إليه فقد بلغ الغاية ، وهو اقليم لا يعمره بشر ولا نجم ولا شجر . . ووجد عنده قوماً قد استخلصوا للقربى من الملك ـ ومتعوا بالنظر إلى وجهه ـ وحلُّوا تحلية من اللطف في الشمائل والحسن في الاذهان والرواء الباهر والحسن الرائع .

إن حي بن يقظان هنا احد المستجيبين الذين وجد في قراءتهم لهيئتهم الداعي استعداداً للقبول والدخول في دعوته ، فقد توسَّم هذا الشيخ الذي اعلن عن نفسه بأن مهنته السياحة والتجول في كل مكان للوصول إلى المعرفة ، والانضواء تحت ظلال الناموس الذي يعرف بعقل عالم الطبيعة .

وعندما اخذ ينصحه بالابتعاد عن رفاق السوء ، فإنه كان يحذره من الملكات والشهوات الجسمانية التي ترافق النفس ، وتحاول ان

تضللها وتخضعها إليها .

وعندما نبهه إلى أنه إذا ما استطاع ابعادها وصل إلى سياحة قصيرة ـ أي إلى درجة أولى من العلوم ثم انه رسم له مراتب الدعوة السبعة ـ أي العقول الطبيعية التي عليه ان يمر فيها ويرشف من لبنها المعرفة، وهذه العقول مراتب طبيعية وممثولات لحدود علوية وصفها ابن سينا في كتبه وحدد صلاحياتها وافعالها ، فاذا فعل ما امره به يصل إلى النهاية والغاية ، وأخيراً إلى نهاية النهايات التي هي واجب الوجود أو العقل العاشر المبدع للموجودات .

ومن الجدير بالذكر . . إننا كنا ذكرنا : إن ابن سينا ، ومن قبله اخوان الصفاء ، ومن بعدهم الكرماني اعتقدوا : بأن للافلاك والكواكب ممثولات في عالم الطبيعة ، وهي كائنات حية ، أو بالمعنى الفلسفي عقول تمد عقول عالم الطبيعة . . وقد حددوا عددها بسبعة وجعلوا لها عالماً مستقلاً ابداعياً . . وإن الدعوة الامامية في عالم الدين والطبيعة هي صورة مصغرة عنها . . ولكي لا نغفل شيئاً من هذا ، اضافوا إلى السبعة عقول العرش والكرسي ، وعقل عاشر أولهم وآخرهم اذ بعده لا خلاء لا ملاء ، أي لا نفي ولا اثبات ، وليس وأيس .

وفي القصة تلميح إلى سقوط النفس البشرية من علياء قداستها ، ووقوعها في عالم الكون والفساد بحيث ظلت تتطلع وتتشوق إلى موطنها الأول في الملأ الأعلى ، محاولة قطع الاغلال وتحطيم القيود والانفلات من الجسم البشري . . . ولكن وجود النفس الشهوانية المرافقة لها كانت في كافة الأحوال تزين لها الزخارف والمباهج واللذائذ من عالم الكون والفساد .

في قصة حي بن يقظان لابن سينا رموز تركها ابن سينا دونما حلول ، وهذا يدل انه وضعها لطبقة خاصة من الدارسين الذين يفهمون ابعاد هذه الرموز ومعانيها وتأويلاتها . . وكل هذا يجعلنا نؤكد : بأنه

سار على نهج اخوان الصفاء في قصتهم المذكورة .

أما قصته : «سلامان وابسال» فأصلها يوناني ، وقد نقلها إلى العربية «حنين بن اسحق» ، أما ابن سينا فقد اخذ الاسم فقط ، وأدخل أفكاراً جديدة ، ووقائع مختلفة ، وجعل رموزها تتلاءم ، وعقيدته الفلسفية . . فجاءت كما يلي :

إن «سلامان وابسال» كانا اخوين . . وكان سلامان الأكبر ، أما ابسال فهو الأصغر وقد تربىّ في حجر أخيه وتحت رعايته . . فنشأ جميل الصورة عاقلاً متأدباً عفيفاً شجاعاً ، وتشاء الظروف ان تعشقه وتقع في حبه امرأة أخيه سلامان ، فقالت لزوجها يوماً :

لماذا لا تأتي بأخيك إلى أهلك ، فيعلم اولادك العلوم . . فقبل سلامان ذلك وقال لأخيه :

إن امرأتي بمنزلة امك . . ويجب عليك ان تأتي إلى منزلنا وتقيم بيننا . . فرضي ابسال وعندما جاء اكرمته زوجة أخيه ، وقدمت له كافة الخدمات والرعاية . . وفي احد الأيام اختلت به ، واظهرت له عشقها . . فانقبض ابسال من ذلك . . واعرض عنها . . ولما رأت الزوجة اعراض ابسال ـ عنها قالت لزوجها :

لماذا لا تزوج اخاك من أختي . . فنزل عند رغبتها . . ثم إنها طلبت من أختها بأن تقبل بأن تكون زوجة لابسال ، ولكنها اشترطت عليها قبولها بأن تقاسمها أياه .

وفي ليلة الزفاف جاءت امرأة سلامان إلى المخدع بدلاً من أختها ، وأخذت تعانق أبسال ، وتضم صدرها إلى صدره . . وهنا لاح برق من السماء جعل ابسال يرى وجهها على حقيقته ، فخرج مذعوراً وجاء إلى أخيه ، وطلب منه ان يجنده ، فولاه قيادة جيوشه ، وذهب حيث اخذ يحارب ويفتح البلدان ، وبعد فترة رجع إلى وطنه مكللاً بالظفر ، وهو يحسب ان امرأة أخيه قد نسيته . . ولكن على العكس

فإنها لم تلبث ان عادت إلى سيرتها الأولى ، فأخذت تغازله ـ وتراوده عن نفسه ، فأبى وطلب من أخيه ان يسمح له بالعودة إلى الحرب ثانية .

وهنا يئست الزوجة من حبها له ، مما جعلها توعز لبعض رؤساء الجيش بأن يخذلوه ويكيدوا له . . ففعلوا ، وتخلوا عنه في احدى المعارك . . فظفر به الاعداء وتركوه طريحاً في احدى المفازات . . وهنا جاءت مرضعة من حيوانات الوحش ، فعطفت عليه ، وبدأت تعطيه الغذاء إلى ان انتعش وعوفي[1] .

فرجع إلى اخيه ، وقص عليه ما فعله به رؤساء الجيش . . فما كان منه إلا ان عاقبهم على خذلانهم وفي هذه الفترة عادت امرأته إلى شرورها ، فاتفقت مع الطابخ والطاعم وأمرتهما ان يدسّا له السم في الطعام ففعلا . . ومات ابسال من جراء ذلك .

في هذه القصة . . يمثل سلامان عقلاً من عقول عالم الطبيعة . . والمملكة التي يحكمها هي دعوة «علم الدين» الحقيقية . . وكان اخاه ابسال احد المستجيبين الذين تربوا فيها ونهلوا من معينها . . واصبحت له مهمة الدعوة والأرشاد .

أما امرأة سلامان فهي النفس الشهوية الامّارة بالسوء ، التي تتصدى للتحكم بالنفس الناطقة ولكي تجعلها خاضعة لها ومسخرة لارادتها . أما اختها التي أرادت ان تزوجها بأبسال ، فهي النفس الحسية التي النفس الأولى الشهوية في متناول يدها وتحت تصرفها .

والبرق اللامع فهو الخطرات الإلهية التي تسنح للعقل المدرك الصافي ، وتجعله يبصر الأشياء على حقيقتها مما يكفل له الافلات من الشرور . وأما فتح البلدان والانتصارات ، فهو انارته العقول وغرس

---

(١) هذه الفكرة اقتبسها ابن طفيل عن ابن سينا في قصته حي بن يقظان .

العلوم فيها . . واللبن الذي اعاد له القوة والحياة ، فهو الفيض الإلهي والعلم الذي يلهمه اللّه للانسان العاقل بواسطة الالهام ، وهو الذي مكنه من النهوض من عثرته والعودة إلى مقره .

أما الطابخ فهو القوة الغضبية ، والطاعم هو القوة الشهوانية ، وهما القوتان اللتان تآمرتا على العقل وصرعاه .

وعندما تغلّب سلامان عليهما وقتلهما ، فتأويله تغلب الخير على الشر ، وسيطرة العقل على النفس . وننتقل إلى رسالة «الطير» لنقول :

إن ابن سينا كتبها في اللغة الفارسية ، ثم ترجمها إلى العربية ، وهي مأخوذة بالأصل عن اللغة اليونانية . . . وفيها يصور ابن سينا حقيقة حياته ، وما تعرض له ، ثم وصوله إلى المعرفة والحقيقة .

ومن الجدير بالذكر . . إن هذه القصة طافحة بالرموز والتعابير الفلسفية الباطنية ، ولها مقدمة رائعة ضمنها نصائح لكل من يريد الوصول إلى المعرفة .

وخلاصتها :

إن جماعة من الصيادين ، عقدوا العزم على اصطياد الطيور ، فذهبوا إلى احد الأمكنة ونصبوا شباكهم ، وبعد فترة قصيرة وقع فيها عدد من الطيور . . لم يلبثوا ان اخذوا يتململون ويتعذبون محاولين الافلات والهرب . . وساعد الحظ بعضهم فخرجوا من الشباك وأصبحوا أحراراً ، وعند ذلك حاولوا استدعاء الطيور الباقية المحبوسة ، وتعليمها طريقة الخلاص من الشرك . . ولما لم يتم لهم ذلك غادروا المكان بسرعة ، ولكن صعوبات عديدة واجهتهم في طيرانهم . . لأنه كان عليهم ان يقطعوا ثانية جبال حتى يصلوا إلى المكان المقصود . فعبروا الجبل الأول ، بعد صعوبات ثم الثاني والثالث ، وكل مرة تبرز صعوبة أمامهم أكبر من الأول ، وأخيراً وصلوا إلى قصر الملك العظيم ، فطلبوا اذناً بالمثول أمامه وعندما سمح لهم بالمثول بين يديه ، اخذوا

يشكـون له مـا اصابهم من مشقـة وعنـاء في أسـرهم أولاً ، ثم طيـرانهم وسفـرهم ، فمنحهم عطفـه ورعايتـه ، ثم وعدهم بـأن يرسـل رسولاً من قبله تكـون مهمتـه فـك الاسـرى الآخـرين من رفـاقهم الـذين ظلوا في الأسر .

قلنا :

إن هذه القصة طافحة بالرموز . . فالـطيور هم بني الانسان الذين قدر عليهم ان يقعوا في اسر عالم الكـون والفساد ، والشبـك هو البـدن الذي هو سجن النفس .

أمـا الـطيـور التي تخلصت من الأسـر ، فهي الأشخـاص المؤمنـة العـارفـة التي عـرفت الحقيقـة وتمكنت بفضـل هـذه المعـرفـة أن تمنـع النفس عن ان تتحكم بـالعقـل . . بينمـا الـطيـور الـذين لـم يهتـدوا إلى الـطريق الـذي يؤدي إلى الخـروج من الشبـك فهم الـذين وقعـوا تحت حكـم النفس ، ولـم يتمكنـوا من الخـلاص بـالـرغم من ان العــارفين من رفاقهم سموا له معالم الطريق ودلوهم على طريق الخلاص .

وعندما يذكر ابن سينا الجبال الثمانية التي قطعتها الـطيور للوصـول إلى الهـدف ، فهـذه هي العقـول التي ذكـرنـاهـا أكثـر من مـرة . هؤلاء الطيور كان عليهم ان يقطعـوا هذه المـراتب ويمرون بهـا آخذين من كـل واحـد منها بنصيب حتى يصلوا إلى مقـر الملك الأعلى وواجب الـوجود الذي رعاهـم وكرمهم ، ووعدهـم بخلاص رفقائهم .

فعندما تظلموا ، وحزنوا على رفقائهم من الطيـور الذين وقعـوا في شرك النفس ، وعـالم الكـون والفسـاد ، وعـدهـم بـارسـال «رسـول» من قبله تكون مهمته تعليمهم وتخليصهم من الأسـر ، وترقيتهم في المـراتب العالية .

إن الموت بنظر ابن سينا يفسح المجال أمام النفس الـطيبة العـارفة

للوصول إلى اللذات العرفانية الراقية ، فالموت ما هو إلا قطع للشواغل والموانع ، ثم ان للعارفين وهم «أهل الدعوة» درجات بعضها فوق بعض ، وقد يصل إليها الانسان بحسب استعداده وتحمله .

فهؤلاء مع اتصالهم بأبدانهم في الحياة الدنيا، يستطيعون أن يقفزوا إلى أعلى الدرجات، وهو لا يصل إلى قدر من العلو إلا بمعاونة من غيره من العارفين ، وقد لا يتمكن إلا بالرياضة والانضواء تحت لواء «الدعوة الامامية» التي تعلّم ايثار الخير على الشر ، وتطويع النفس على اعمال البر ، وتلطيف الأجواء لادراك ما يصعب ادراكه .. وكل هذا يتم بالزهد بالدنيا ، وترك الملذات ، والانصياع للعبادات العلمية والعملية .

وترمز رسالة الطير أيضاً : إلى ان النفس الانسانية التي وقعت في اسر الطبيعة ، هي الطيور الذين تمكنوا من النجاة بفضل العقل الهادي الذي رسم لهم معالم الطريق . أما الطيور الذين ظلوا في الأسر فمثلها مثل النفس الحيوانية التي ضلّت الطريق ، ولم تطع ارشادات العقل .

وأمّا الجبال فهم العقول ، وممثولاتهم في عالم الدين الحدود الذين يتولون تربية المؤمنين وايصالهم إلى عين الحقيقة ، وهم يستمدون قواهم من الأفلاك العليا كما ذكرنا .

ويذكر ابن سينا في قصته هذه بان في الانسان نفس حيوانية تصدر عنها افعال وانفعالات ، وفيه نفس ناطقة تضفي على الحيوانية من خصائصها وطبائعها ما يوجهها إلى الأسمى والأرقى ، والنفس الحيوانية لها قوة غضبية واخرى شهوانية ، كما ان الناطقة لها قوة العقل ، وهناك نفوس ارقى من الحيوانية واسمى من الناطقة وهي التي فازت بمعرفة الخير المطلق .

وبالنسبة للنفس فابن سينا له فيها جولات واسعة ، وكم يحلو

التأمل والاستماع إليه ، عندما يتساءل عن مصدر الاجسام بقوله :

من أين جاءت ، وما هي ، وإلى اين تذهب بعد مفارقتها الابدان ؟

وهنا يقرر :

بان آراء افلاطون هي أكثر خيالاً ، وأقرب إلى الحقيقة . . . وهذه الآراء الافلاطونية تتلخص :

بأن النفس قبل ان تتصل بالبدن تكون في الملأ الأعلى أي في عالم التجريد والابداع وهناك ترتكب ذنباً ، فتسقط إلى الأرض جزاء لها وعقاباً حيث تتصل بجسم مادي ، ثم تعود بعد عمليات التصفية والتكرير إلى المكان الذي جاءت منه . ولكن ابن سينا بعد موافقته على جزء من هذه الآراء يعود فيخالف افلاطون بقوله :

النفوس التي تلازم عالم الابداع والعقول ، لا يمكن ان ترتكب ذنباً لأنها تكون صافية مجردة وملتزمة بالطاعة والخلود والسرمدية .

وكنا ذكرنا : ان اخوان الصفاء قبل ابن سينا قسموا الأرض إلى سبعة أقاليم واثنتا عشرة جزيرة والعالم الجرماني إلى سبعة افلاك مدبرة ومؤثرة في هذه الأقاليم ، وإلى سبعة طبائع للانسان مقابل ـ الأقاليم السبعة . . . وزادوا على ذلك فذكروا :

بان الأفلاك ذوات عقول وعددها عشرة ، والعاشر هو المحيط وواجب الوجود . ويفيض ابن سينا بالشرح عندما يبين بأن الأفلاك سبعة ، وهناك ملكان مدبران خارجان عن الطبائع هما فلك البروج أو العقل أو العقل والنفس ، واعتقد انه بذلك لا يختلف عن اخوان الصفاء إلا بطريقة التعبير والأسماء .

أما المعلم لدى اخوان الصفاء أو الناموس ، فهو الرسول الناطق صاحب الشريعة والوحي . وهي ممثول العقل الفعال المشرف على

عالم الطبيعة ، ومركزه القلب في عالم الجسم أو الشمس في عالم الافلاك . . . ويذهب ابن سينا هذا المذهب أيضاً .

أمّا الكرماني فيقول في هذا المعنى :

بأنه لا يمكن ان يكون الخلق فعلاً اختيارياً محضاً حصل في عالم البقاء بل لا يمكنه أن يكون إلا وجوباً في الذات الإلهية . فالخلق يقوم على فعل المتأمل الإلهي الذات . وهذه المعرفة التي يعيها الكائن الإلهي لنفسه منذ الأزل ، ان هي إلا الفيض الأول . والعقل الأول فهذا المعلول الأول ، والوحيد للقدرة الخلاقة المماثل للفكر الإلهي يؤمن الانتقال من الواحد إلى الكثرة مع المحافظة على المبدأ الفلسفي القائل :

«عن الواحد لا يصدر إلا الواحد» .

فانطلاقاً من هذا العقل الأول تنشأ الكثرة في الوجود تماماً كما هي الحال عند الفارابي في سلسلة من التأملات تجعل من علم نظام الكون نوعاً من ظواهر الوجدان الملائكي .

فالعقل الأول يتأمل مبدأه ، ويتأمل ذاته بانه واجب الوجود بغيره ، ويتأمل ذاته ممكن محض بذاته تلك التي تظهر وهماً وكأنها خارجة عن نطاق المبدأ الأول فيفيض بذلك عن تأمله الأول ـ العقل الثاني ـ ويفيض عن تأمله الثاني ـ النفس المحركة للفلك الأقصى ـ فلك الأفلاك ـ ويفيض عن تأمله الثالث حرم ذلك الفلك ، وهو الذي يصدر عن البعد الأسفل للعقل الأول . وهذا التأمل الثلاثي المبدع للوجود ، يتعاقب من عقل إلى عقل حتى يكتمل ذلك الترتيب المزدوج ، واعني به ترتيب العقول الكروبيين ، وترتيب الأنفس السماوية التي لها صفات وملكات حسية ، ولكنها تملك قوة المخيلة الصرف أي الخالية من كل علاقة بالحس ، والتي يفعل شوقها إلى العقل الذي فاضت عنه لتضفي على كل الافلاك حركاتها الخاصة .

فالدوران الفلكي المستمر هو نتيجة الشوق المستمر الذي لا يرتوي .

كلمة أخيرة :

ليس ما قلناه كل ما يجب قوله في ابن سينا . . فهذا العبقري الكبير ، والفيلسوف الملهم يسمو على الكلمات والصفحات والمجلدات . . . وأنّى لمثلنا إيفاءه حقه ، أو الوصول إلى أبعاده ومراميه ؟

إن ما قلناه عنه بالأمس ، وما نقوله الآن . . . أو يقوله غيرنا اليوم أو غداً ليس هو إلاّ القليل من الكثير ، والنقطة من البحر الواسع الزاخر بالعلوم والمعارف التي ما زالت بعد مضي ألف عام منهلاً عذباً للقاصدين والواردين ، يفوح منها الأريج والشذا والطيب .

لقد تحدثنا في كتابنا عن ابن سينا ، ولكننا نسينا أن نضيف إلى حديثنا :

بأنه كان غزيراً في صنعته العقلية ، وفياضاً في توضيحاته وتعليلاته . . ويملك من حدة الذهن وقوة الحفظ والصبر ما يكاد يكون خارقاً وخارجاً على المألوف .

من الجلي :

إن ابن سينا جاء قبله وسبقه مفكرون وفلاسفة كثيرون ، وشارحون للكتب الفلسفية اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ، فكانوا أصحاب شهرة وقدوة في عصور الحضارة العربية والإسلامية ولكنهم لم يتركوا أثراً مثل الذي تركه في الحضارة سواء في المشرق أو في المغرب . والسبب إنه لم يكن طائفياً ، ولا متزمتاً ، ولا متعصباً بل كان إنساناً متفتحاً ومسلماً صالحاً يرى في الدين طريقاً لخدمة المجتمع

وتقريب القلوب ، وتوصيد الأهداف وإشاعة الحب والخير والجمال بين بني الإنسان .

ولم تكن أفكاره رجعية ، أو وقفاً على فئة أو هيئة أو جماعة ، والدليل على ذلك بأن العديد من المفكرين ممن هم ليسوا على مذهبه تأثروا بآرائه واتخذوا منها دليلاً ونهجاً ومنهم :

فخر الدين الرازي ، والأشعري ، والغزّالي ، وهكذا صدر الدين الشيرازي ، وابن ميمون اليهودي ، وابن العبري والمعدني السريانيين ، وجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، فضلاً عن رهبان ولاهوتيين مسيحيين وعبريين .

وليس جديداً إذا ما قلنا : بأن فلسفته وآرائه في التصوف وعلم الكلام كانت تدرس في المعاهد الإسلامية في الزيتونة بتونس وفي المغرب والأزهر ، ومعاهد دمشق وبغداد وأصبهان وشيراز .

ممّا يحملنا على القول :

بأنه من الواجب علينا ، أن لا ينحصر موقفنا من ابن سينا عند حد التقدير والإعجاب . . بل علينا أن نسير على خطواته بالتجديد والابتكار والتجرد والانقطاع لخدمة الإنسانية .

أجل . . . لقد كتب ابن سينا رسائل عديدة ، وكتب لا تحصى في الأخلاق . . . في علم طبقات الأرض . . . في الفلك . . . في الرياضيات . . . والحساب والهندسة . . . في علم الفراسة والهيئة . . . في السياسة ، والاجتماع ، والنبوءة ، والإمامة ، وأخيراً في علم الاقتصاد ، كما ذكر الفيلسوف «بروسون» بأنه وجد له مقالة عجيبة نادرة في هذا الموضوع . . . وكل هذا لم نتحدث عنه . . لأنه في الحديث عنه الدخول في عالم واسع الأرجاء ليس له آخر .

لقد قدّر الغرب ابن سينا حق قدره . . . وأعطاه المكانة التي

يستحقها . . . وذلك عندما تيقّظت أوروبا من سباتها الطويل في مطلع القرن الثاني عشر للميلاد . . . في تلك الفترة رأوا أن مؤلفاته جديرة بالترجمة والتعميم في أوروبا . فترجموا له «الشفاء» على مرحلتين : الأولى : في النصف الثاني من القرن الثاني عشر للميلاد . والثانية : بعد مئة عام . . . ثم إنهم ترجموا له «ايساغوجي» ـ واعتبروه خطأً من تأليف أرسطو . كما ترجموا له الطبيعيات على مراحل . فالقسم الأول والثاني والسادس في علم النفس ، ثم الإلهيات في جزئين . . . ثم كتاب النجاة والإشارات وبعض الرسائل الصغيرة ، كما ترجم له «روجيه باكون» كتاب في الكيمياء وذلك في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد .

وحول هذا الموضوع . . . نقول :

بأن إسبانيا كانت في العصر الأوسط تشكل حلقة الإتصال الأولى بين أوروبا والثقافة الإسلامية . . ومن المعلوم : إن انتقال المؤلفات العربية إلى اللاتينية إرتبط باسم العالم اللاهوتي المسيحي «ريمون» الذي كان رئيس أساقفة طليطلة . . . ومن الواضح إن المسلمين كانوا يعيشون جنباً إلى جنب مع المسيحيين في بلاد الأندلس بكل ثقة ومحبة وانسجام .

ففي طليطلة أسس «ريمون» ديواناً أو معهداً لترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية وهذا المعهد تولّى ترجمة مؤلفات أرسطو والفارابي وابن سينا . . . ولكن بعد تجاريب وفحص واستقصاء ودراسة للمؤلفات المترجمة استقر الرأي عندهم على اختيار ابن سينا ، واعتباره الممثل الأول للفلسفة الإسلامية ، وهكذا فضلوه على أرسطو والفارابي ، وقرروا أن فلسفته هي الأجدر بالبقاء ، وإنها الأقرب إلى الفكر الأوروبي عامة ، وإلى المجتمع المسيحي خاصة . حتى إن بعض اللاهوتيين المسيحيين اتخذوا من فلسفته مصدراً لإلهامهم ، وبعضهم

اعتنقوا مذهبه لأنه حاول التوفيق بين العقل والإيمان ، أو بين الدين والفلسفة .

إن العالم الذي تصوره ابن سينا جعل فيه الإنسان مكاناً فسيحاً . . . فقد وضعه على حدود الأرواح والأجسام . . . والجديد فيه قوله :

إنه يصدر عن علة أولى فاعلة . . . وإن له تاريخ . . . والله هو أصل العالم ، وإذا كان ابن سينا يرى إن العالم قديم ، وإن علة الخلق هي الصدور ، فهذا لا يتعارض مع تعاليم المسيحية . . وهكذا نظرية المعرفة والنفس والعقل الفعّال . . . فابن سينا يقرر : إن العقل الفعّال واحد ، وإنه مفارق للمادة ، وإنه المحرك للفلك الأقصى ، وعلة النفوس الإنسانية .

إن القول ان العالم قديم أي ليس له بداية في الزمان ، وإنه عن الله صدر عقل أول صدوراً ضرورياً ، ولم يصدر عنه سوى ذلك العقل ، وإن صدرت على التوالي كل عن الذي سبقه ، وإن العقول عشرة ، وإن العقل الفعّال هو جوهر مفارق .

هذه الآراء حركت فلاسفة أوروبا فقرروا :

إن ابن سينا جدد وابتكر وأضاف إلى الثروة الفلسفية والعلمية إضافات قيمة جعلته يسمو ويرتفع ويصل إلى أعلى مرتبة بين الفلاسفة العالميين .

أمّا بالنسبة لآراء الفلاسفة السريان . . . . فهؤلاء قد عكفوا على ترجمة مؤلفاته بعد أن توفروا على دراستها وتمحيصها ، ومن الواضح انهم فضلوها على فلسفة اليونان باعتبارها تجنح إلى الإيمان بالله ، بينما تلك تقود إلى الوثنية . وهكذا فقد ثبت لديهم بالدليل القاطع والبرهان الدامغ بأن فلسفة ابن سينا تصلح لكل زمان ومكان .

وبالإضافة إلى كل ذلك : فإنه لم يكن معروفاً في صفوف العلماء ورجال الفكر وحدهم فحسب ، بل في صفوف الجماهير الشعبية التي تذكر مآثره ، وتتغنى بخدماته ، وتنوه بمزاياه وقدراته وإسهامه في خدمة الإنسانية لا فرق بين غني وفقير أو عربي أو فارسي .

إن إسهامه في العلوم والثقافة لم تكمن فيما قدمه من أفكار ، وابتكره من علوم ونظريات فحسب بل في أفكاره الإنسانية الواسعة ذات الشمول التي دعت إلى التقارب والتمازج والإلفة والمحبة ، ونبذ التعصب الديني ، وإلى الحرية المطلقة للجماعات والأفراد في مجال الاعتقاد والتفكير والقول .

لقد ثبت إن ابن سينا كان مسلماً ورعاً عاكفاً على الصلاة والعبادة الانقطاعية الصوفية ، وإنه كان خاضعاً ومنفذاً للشريعة الإسلامية المحمدية الغراء ، يطبق قواعدها وموادها على طريقته الخاصة الأصيلة . . . فكانت صلاته هي تلك التي يؤديها النسّاك في صوامعهم ، فيرتلون آياتها ويرسلونها ـ أناشيد عذبة في الأرجاء ، فتمتزج بحفيف الأوراق في أعلى الغصون ، وعلى أجنحة النسيم في الإمساء والإصباح . . . وتتبعها روحه الشفّافة الباصرة إلى الملأ الأعلى لترى عالماً غير هذا العالم . . . إنه عالم النور الذي يخيم عليه السكون ، وينبثق من جوانبه السرور ، ليروي الغليل ، وليشفي الألم والظمأ والحرمان .

كان ابن سينا عارفاً بالله ، يتوق إلى الوقوف على عتبة واجب الوجود . . . حيث الروحية السامية ، والقلب الكبير الطافح بالفضيلة والقداسة . . . والنفس التي نفضت عنها جلابيب المادة لترتدي حلة النور الوضاءة وللتحلّي بالقوة والشجاعة والحب والترفع عن دنايا عالم الكون والفساد .

وأخيراً :

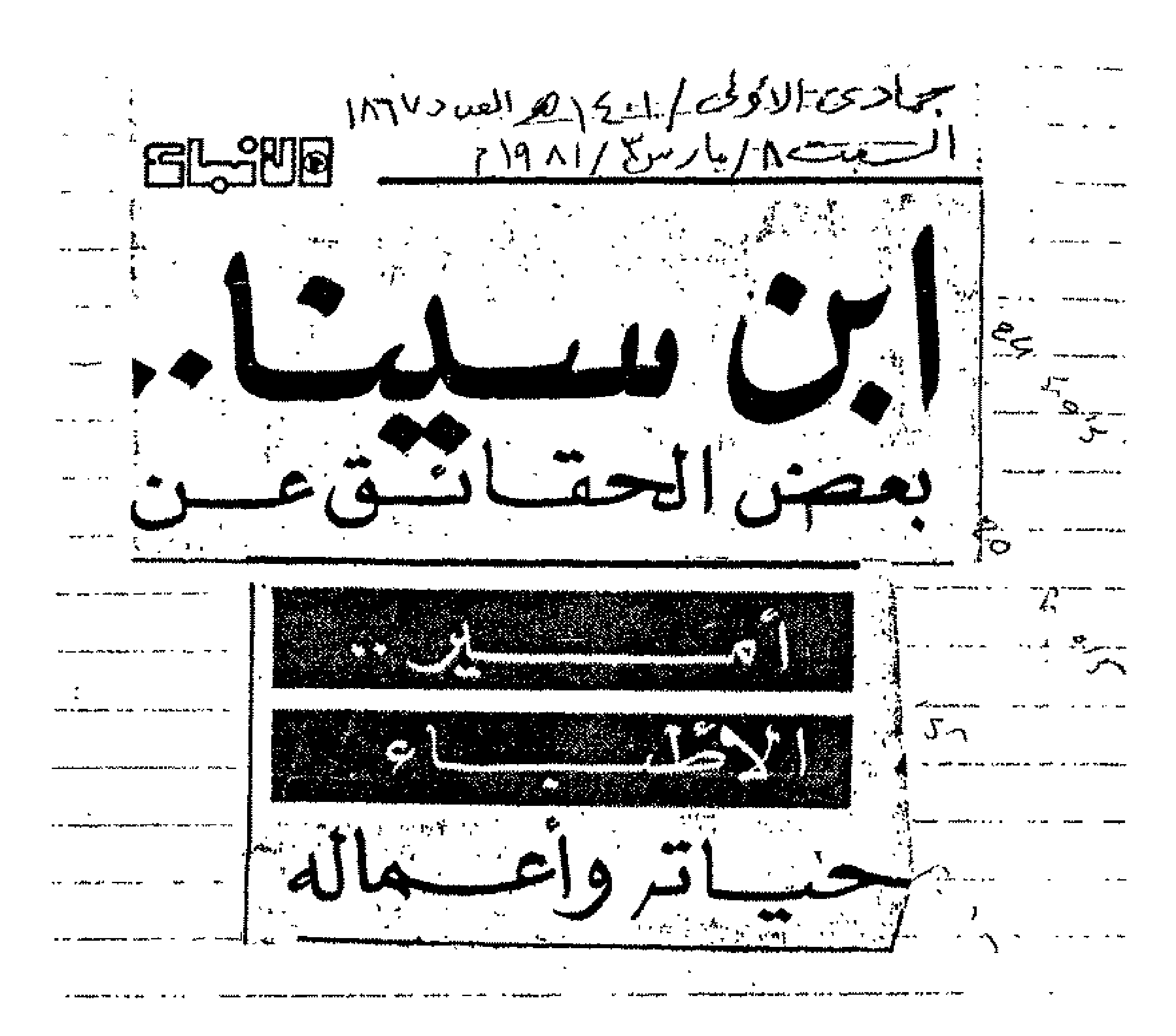
فهذا كتابنا عن ابن سينا . . . إنه الكتاب الذي ضمنّاه الآراء الجديدة التي كنا نطمح منذ زمن طويل إلى الإعلان عنها ، والتي لم يكن هناك بدأ من قولها في هذه الفترة الزمنية التي شاع فيها الجدل والنقاش .

أجل . . . لم يكن ابن سينا فارسياً ولا تركياً ولا روسياً . . . وعندما نرفض هذا بكبرياء وشمم نصرُّ على قولنا : بأنه .

كان عربياً أصيلاً ، وعريقاً في عروبته ، ومسلماً ضليعاً في إسلامه ، واسماعيلياً امامياً شيعياً في عقائده ودينه .

لقد قدمنا الأدلة الدامغة . . . وأثبتنا بالوقائع والأرقام هذه الحقيقة . . . فمن أراد أن يؤمن فليؤمن . . . ومن أراد أن ينكر فله الحرية المطلقة . . . وحسبنا إننا أدينا ما علينا من واجب ، للعلم وللتاريخ[1] .

(١) أخذنا هذا العرض من كتاب ابن سينا في مرابع اخوان الصفاء من ص ٢٤٧ - إلى ص ٢٥٨ .



جمادى الأولى / ١٤٠١هـ العدد ١٨٦٧

السبت ٨ / مارس / ١٩٨١م

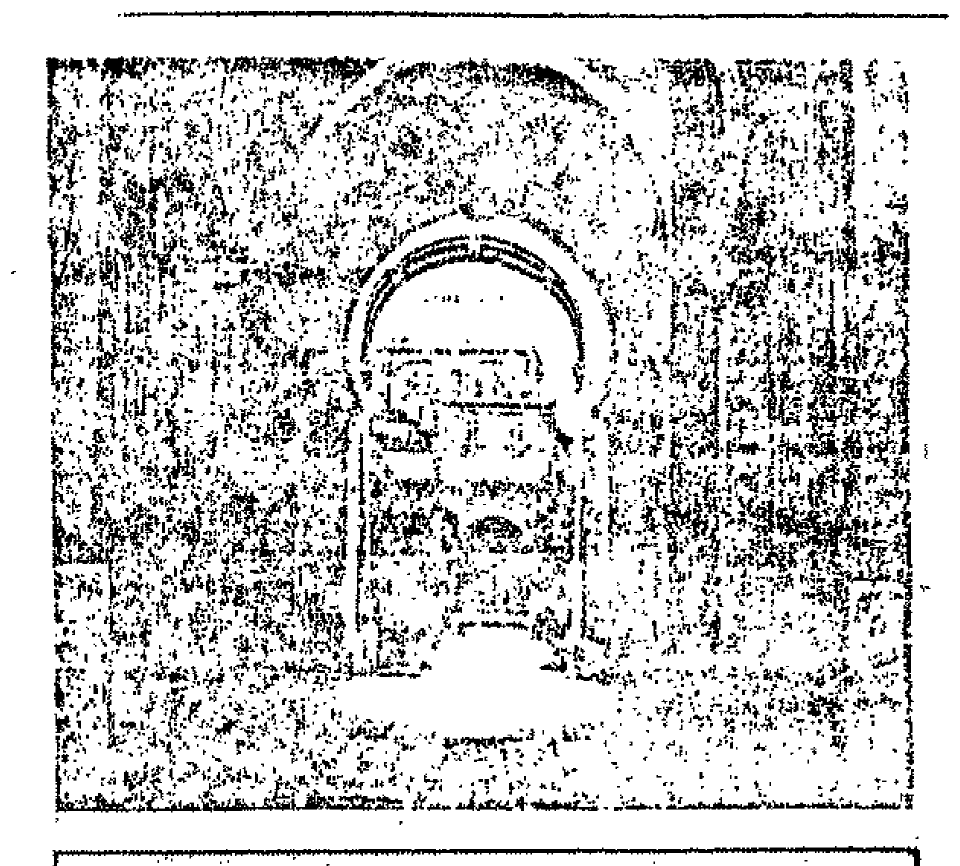
الأنباء

ابن سينا..

بعض الحقائق عن

أمير.. الأطباء

حياته وأعماله



حفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره

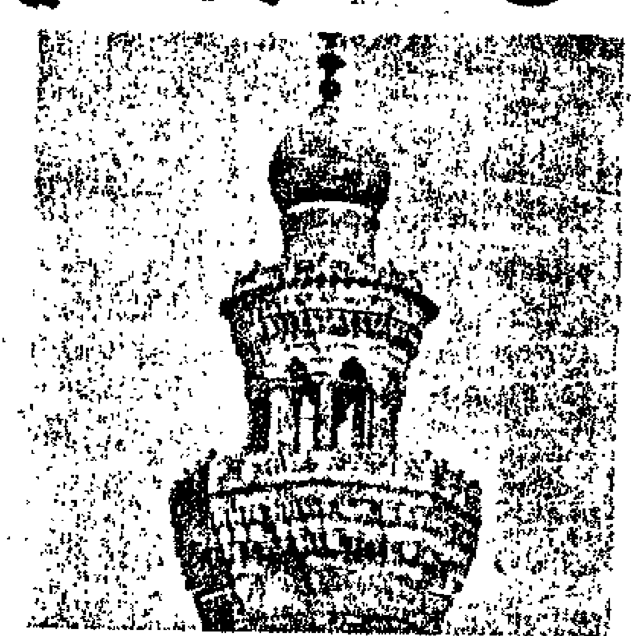
عاش ٥٧ عاماً وألف أكثر من مائتي كتاب

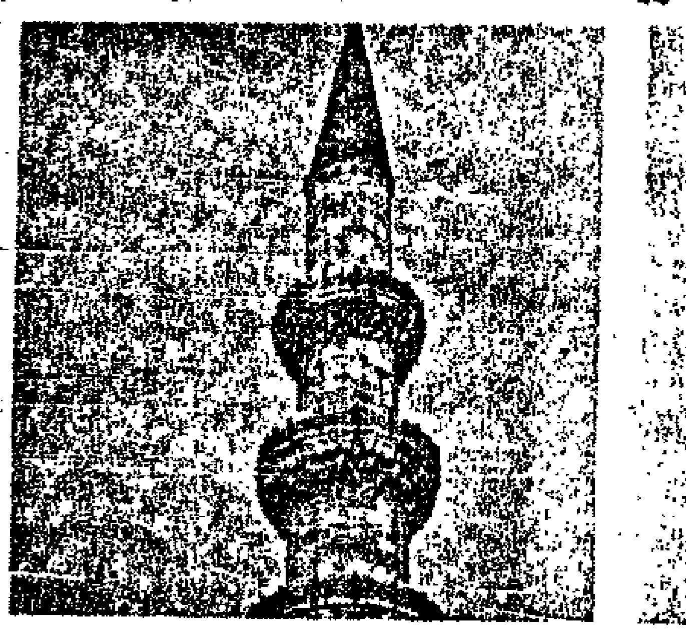
كتابه في الطب «القانون»

يحوي أكثر من مليون كلمة

الأنباء

لو كان لابن سينا حاسب آلي ..





- « قانـــون » ابـــن سينـــــا أخفـــى بريـــق جاليـنـــوس
- عـرف الميكروبـات وشرح ماهيــة الـــدورة الدمويــة وضغــط الــدم
- طـــور الوصـــــف الاكلينكـــــــي لتشخيـــص الامـــــراض
- لو كـــان لابن سينـــــا حاسب آلــي لصارت جوائز نوبــل أقــل عـددا

● أعد البحث : الدكتور عبدالعزيز موسى ـــ افغانستان ـــ الولايات المتحدة الاميركية

الأنباء

ابن سينا

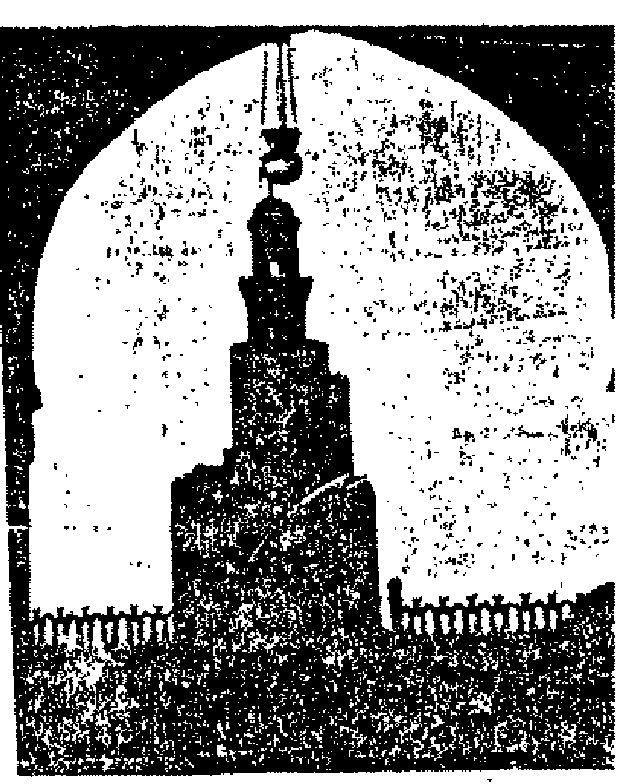
طبيب وفيلسوف وعالم

• اعداد: الحكيم محمود سعيد وسعدية راشد ـ باكستان ـ

كما توصل ابن سينا الى الطبيعة المعدية لمرض السل ويقال انه أول من وصف طريقة تحضير حامض السلفور والكحول كما ان استعمال النبيذ فوق الجرح كان شائعا جدا في العصور الوسطى ـ ٨ ـ

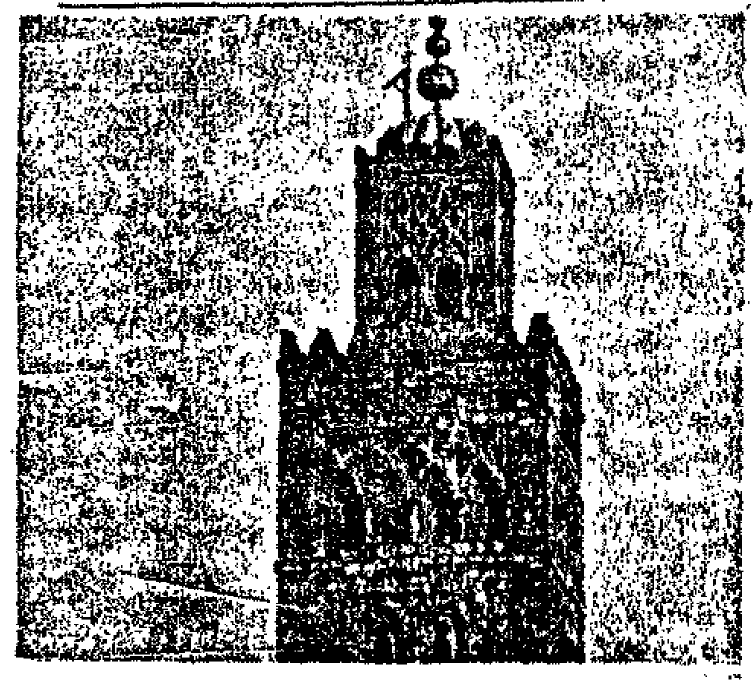
عدد ١٨٧ / الثلاثاء ٤ / جمادى الأولى / ١٤٠١ هـ ـ ١٠ / ٣ / ١٩٨١م





● بقلم : الحكيم محمد سعيد

وسعدية راشد ــ باكستان ــ



● كان لارائه في المسائل الطبية والسياسية وزن عظيم

● كان ابن سينا فيلسوفا وعالما وشاعرا وطبيبا وموسيقيا

● كتاب القانون يضم معارف تعتمد على العقل والمنطق والمبدأ

● ابن سينا هو أول من فكر واستعمل التخدير عن طريق الفم

الفهـرس

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس

الفصل السابع